فوات الوفيات

والذيل عليها

تأليف

محمد بن شاكر الكتبي

(- ٧٦٤ هـ)

المجلد الرابع

تحقيق

الدكتور احسان عباس

دار صادر
بيروت

٤٨٧

الشمس الدهان

محمد بن علي بن عمر المازني الدهان ، الشيخ شمس الدين الدمشقي الشاعر ؛ كان يعمل صناعة الدهان وينظم الشعر الرقيق ويدري الموسيقى ويعمل الشعر ويلحنه ويغني به المغنون[1] . وكان يلعب بالقانون .

توفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ، وكان قد ربّى مملوكاً وهذبه وأحبه حباً مفرطاً ، فمات فأسف عليه أسفاً عظيماً ورثاه بشعر كثير ، غنى به ونقله المغنون[1] ، من ذلك :

تيَّمَ قلبي وزادني أسفا بدرٌ به البدرُ قد غدا كلفا
مهفهفُ القدّ لينُ قامته علَّم غصنَ الأراكةِ الهَيَفا
يا راحلاً أودع الحشا حرقاً[2] كدتُ بها أن أشارف التلفا
بعدك دمعي قد كاد يغرقني وكلما قلت قد كفى وكفا

وقال أيضاً موشح :

يا بأبي غصن بانةٍ حملا بدرَ دجًى بالجمال قد كملا أهيف

فريد حسنٍ ما ماسَ أو سفرا
إلا أغار القضيب والقمرا
يبدي لنا بابتسامهِ دررا

---

٤٨٧ — الوافي ٤ : ٢٠٩ والزركشي : ٣٠٢ والدرر الكامنة ٤ : ١٩٦ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٥٢ ؛ ولم يرد أكثر هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : المغنيون .

٢ حرقاً : لم ترد في المتن ؛ وإنما هي ترجيح من الحاشية ، وهي كذلك عند الزركشي .

في شهدٍ لذَّ طعمُهُ وحلا   كأن أنفاسَهُ نسيمُ طلا   قرقف

مورّدُ الخدّ فاترُ المقلِ
يفوقُ ظبيَ الكناس بالحملِ
وينثني كالقضيبِ في الميَلِ

من حملِ ردفٍ مثلِ الكثيبِ علا   نيطَ بخصرٍ كأضلعي نحلا.   مخطَف

ظبيٌ من التركِ يقنصُ الأسَدا
مقرطقٌ قد أذابني كمدا
حاز بديعَ الجمالِ فانفردا

واهاً له لو أجار أو عدلا   لمستهامٍ بهجره نحلا   مدنف

غزالُ سِربٍ جماله شَرَكُ
ستُرُ اصطباري عليه منهتك
لكلّ قلبٍ هواه مُنتَهِكُ

علّم قلبي الوَلوعَ والغزلا   طرف له بالفتور قد كحلا   أوطف

لله يوم به الزمانُ وَفى
إذ منّ بالوصلِ بعد طول جفا
حتى إذا ما اطمأنّ وانعطفا

أسفر عنه اللثامَ ثم جلا   ورداً بغير اللحاظ منه فلا   يقطف

فظَلْتُ من فرطِ شدّةِ البرحِ[1]
إذ زارني والرقيبُ لم يَلُحِ
ألثم أقدامَـهُ من الفرح

وقلت إذ عَنّ صدوده عدلا   أهلاً بمن بعدَ جفوةٍ وَقِلى   أسعف

---
١ الوافي : الترح .

٤٨٨

كمال الدين ابن الزملكاني

محمد بن علي بن عبد الواحد ، الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة ذو الفنون جمال الإسلام ، كمال الدين ابن الزملكاني [١] الأنصاري السماكي الدمشقي ، كبير الشافعية في عصره ؛ ولد في شوّال سنة سبع وستين وستمائة ، وسمع من ابن علان والفخر علي وابن الواسطي وابن القواس ، وطلب الحديث وقرأه ، وكان فصيحاً متشرّعاً [٢] ، وكان بصيراً بالمذهب وأصوله ، قويّ العربية ، قد أتقنها ذكاء ودربها ، ذكياً صحيح الذهن صائبَ الفكر ، تفقه على الشيخ تاج الدين ، وأفتى وله نيف وعشرون [٣] سنة ، وكان يضرب بذكائه المثل ، وقرأ العربية على الشيخ بدر الدين ابن مالك ، وقرأ على قاضي القضاة شهاب الدين الخُوَيِّي وقاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي وعلى شمس الدين الأيكي وصفي الدين الهندي ، وحفظ « التنبيه » و « المنتخب » في أصول الفقه ، و « المحصل » في أصول الدين ، وغير ذلك ، وكتب المنسوب .

وكان شكله حسناً ومنظره رائعاً وتجمله في بزته وهيئته غاية ، وشيبته منوّرة بنور الإسلام يكاد الورد يلقط من وجنتيه ، وعقيدته صحيحة متمكنة أشعرية ،

٤٨٨ – الوافي ٤ : ٢١٤ والبدر السافر : ١٣٤ وطبقات السبكي ٥ : ٢٥١ والزركشي : ٣٠٣ والدرر الكامنة ٤ : ١٩٢ والأسنوي ٢ : ١٣ والدارس ١ : ٣١ والبداية والنهاية ١٤ : ١٣١ والشذرات ٦ : ٧٨ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٧٠ وذيل العبر : ١٥٤ ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المطبوعة .

١ الزملكاني : نسبة إلى قرية تسمى « زملكا » بغوطة دمشق .

٢ الوافي : متسرعاً .

٣ ص : وعشرين .

وفضائله عديدة ، وفواضله ربوعها مَشيدة ، وكان كريم النفس عالي الهمة ، حشمته وافرة .

صنف أشياء : منها «رسالة في الردّ على الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسألة الطلاق» و «رسالة في الرد عليه في مسألة الزيارة»[1] ورسالة سماها «رابع أربعة» نظماً ونثراً ، وشرح قطعة جيدة من «المنهاج»[2] .

وتخرج به الأصحاب وانتفع به الطلبة ، ودرس بالشامية البرانية والظاهرية والرواحية ، وولي نظر ديوان الأفرم ونظر الخزانة ووكالةَ بيت المال ، وكتب في ديوان الإنشاء ووقّع في الدست ، وله الإنشاء الجيد والتواقيع المليحة . نقل إلى قضاء[3] القضاة بحلب ومَدارسها فأقام بها أكثر من سنتين ، واشتغلوا عليه الحلبيين[4] ، ثم إن السلطان طلبه من حلب ليوليه قضاء دمشق لما نقل قاضي القضاة جلال الدين القزويني إلى مصر ، وفرح الناس بذلك ، فمرض في الطريق وأدركه الأجل في بلبيس في سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، قيل إنه سمّ في الطريق ، وعند الله تجتمع الخصوم .

وحكى ولده تقي الدين أن والده الشيخ كمال الدين قال له : يا ولدي ، أنا والله ميت ولا أتولى لا مصر ولا غيرها ، وما بقي بعد حلب ولاية أخرى لأنه في الوقت الفلاني حضر إلى دمشق فلان الصالح فترددت إليه وخدمته وطلبت منه التسليك ، فأمرني بالصوم مدة ، ثم أمرني بصيام ثلاثة أيام أفطر فيها على الماء واللبان الذكر ، وكان آخر ليلة في الثلاث ليلة النصف من

---

١ هي «العمل المقبول في زيارة الرسول» (البدر السافر) .

٢ له كتاب سماه «عجالة الراكب» وكتاب في أصول الفقه ؛ وأما المنهاج فهو تصنيف الشيخ أبي زكريا النووي .

٣ ص : قضى .

٤ كذا هو في ص .

شعبان ، فقال لي : الليلة تجي إلى الجامع تتفرّج أو تخلو بنفسك ؟ فقلت : أخلو بنفسي ، فقال : جيد ، ولا تزال تصلي حتى أجي إليك ، فخلوت بنفسي أصلي ساعة جيدة ، فلما كنت في الصلاة إذا به قد أقبل ، فلم أبطل الصلاة ، وإذا قد خيل لي قبة عظيمة بين السماء والأرض ، وظاهرها مَعارج ومراقي ، والناسُ يصعدون فيها من الأرض إلى السماء ، فصعدت معهم ، فكنت أرى على كل مرقاة مكتوباً : نظر الخزانة ، وعلى أخرى وأخرى وأخرى : وكالة بيت المال ، التوقيع ، المدرسة الفلانية ، قضا حلب ، فلما وصلت إلى هذه المرقاة أشفقت [1] من تلك الحالة ، ورجعت إلى حسي ، وبتُّ ليلتي ، فلما اجتمعت بالشيخ قال : كيف كانت ليلتك ؟ جيت إليك وما قصّرت لأنك ما اشتغلت بي ، والقبة التي رأيتها هي الدنيا ، والمراقي هي المراتب والوظايف [2] والأرزاق ، وهذا الذي رأيته كله تناله والله يا عبد الرحمن ؛ كل شيء قد رأيته نلته ، وكان آخر الكل قضا حلب ، وقد قرب الأجل .

وكان الشيخ كمال الدين كثير التخيّل شديد الاحتراز ، يتوهم أشياء بعيدة ويبني عليها ، وتعب بذلك وعودي وحسد وعمل عليه ، ولطف الله به ، رحمه الله .

ومن نظمه قصيدة يذكر فيها الكعبة المعظمة ، ويمدح النبيّ صلى الله عليه وسلم :

أهواك يا ربّةَ الأستار أهواك   وإن تباعد عَن مَغناي مغناك
وأُعمِلُ العيسَ والأشواقُ ترشدني [3]   عسى يشاهدُ مَعْناكي مُعَنّاك
تهوي بها البيد لا تخشى الضلال وقد   هدت ببرق الثنايا الغر مضناك

---

[1] الوافي : استفقت .
[2] ص : والوضايف .
[3] البدر السافر : تحملني .

تشوقها نسمات الصبح سارية ٌ تسوقها نحـو رؤياك بريّاك
يا ربةَ الحرمِ العالي الأمين لمن وافاه من أين هذا الأمنُ لولاك
إن شبهوا الخالَ بالمسك الذكيّ فهو لذا الخالُ من رؤية المحكيّ والحاكي
أفدي بأسود قلبي نورَ أسوده مَن لي بتقبيله من بعد يمناك
إني قصدتكِ لا ألوي على بشرٍ ترمي النوى بي سراعاً نحو مرماك
وقد حَطَطَت رحالي في حماك عسى تنحط أثقالُ أوزاري[1] بلقياك
كما حططتُ ببابِ المصطفى أملي وقلتُ للنفسِ بالمأمولِ بشراك
محمدٌ خيرُ خلقِ الله كلهمُ وفاتحُ الخيرِ ماحي كلِّ إشراك
سما بأخمصه فوق السماء فكم أوطا أسافلها من علو أفلاك
ونال مرتبةً ما نالها أحدٌ من أنبياء ذوي فضلٍ وأملاك
يا صاحبَ الجاه عند الله خالقـهِ ما ردَّ جاهك إلا كل أفّاك
أنت الوجيهُ على رغم العدا أبداً أنت الشفيعُ لفُتّاكِ ونسّاك
يا فرقةَ الزيغ لا لقّيتِ صالحةً ولا سقى الله يوماً قلبَ مرضاك
ولا حظيتِ بجاه المصطفى أبداً ومن أعانك في الدنيا ووالاك
يا أفضلَ الرُّسْلِ يا مولى الأنامِ ويا خيرَ الخلائقِ من إنس وأملاك
ها قد قصدتك أشكو بعضَ ما صنعت بيَ الذنوبُ وهذا ملجأ الشاكي
قد قيّدتني ذنوبٌ عن بلوغ مدَى قصدي إلى الفوز منها فهي أشراكي
فاستغفر الله لي واسأله عصمته فيما بقي وغنًى من غير إمساك
عليك من ربك اللهِ الصلاةُ كما منا عليك السلامُ الطيبُ الزاكي

وعمل على هذه القصيدة كراريس وسماها « عجالة الراكب »[2] .

---

١ ص : أوزار أثقالي ، ورجح في الحاشية ما أثبته ، وكذلك هو في الوافي ، وعند الزركشي كما في ص .

٢ قال الصفدي : وعمل على هذه القصيدة — فيما أظن — أو على قصيدة ميمية ، أو عليهما كراريس ... الخ ؛ والمؤلف يسقط ما يورده الصفدي من ظن أو ترجيح ، في هذه الترجمة .

ومن شعره :

ياسائقَ الظّعنِ قفْ بي هذه الكُثُبُ   عسايَ أقضي بها ما للهوى يجبُ
فثم حيٌّ حياتي في خيامهمُ   فالموتُ إن بعدوا والعيشُ إن قربوا
لي فيهمُ قمرٌ في القلب منزلُه   لكنّ طرفي له بالبعد يرتقب
لَدْن القوام رشيقُ القدّ ذو هيَفٍ   تغار من لينه الأغصانُ والقُضُبُ
حلو المقبّلِ معسولٌ مراشفه   يجولُ فيها رضابٌ طعمه الضَّرَب
لا غرو إن راح نشواناً[1] ففي فمه   خمرٌ ودرّ ثناياه لها حَبَبَ
ولائمٍ لامني في البعد عنه وفي   قلبي من الشوق نيرانٌ لها لهب
فقلت إنّ صروفَ الدهر تصرفني   عما أروم فمالي في النوى سبب
ومذ رماني زماني بالبعادِ ولم   يرحم خضوعي ولما يبق لي نشب

ولما توفي إلى رحمة الله تعالى رثّاه الشيخ جمال الدين ابن نُباتة بقصيدة أولها[2] :

بَلغا القاصدين أنّ الليالي   قبَضَتْ جملةَ العُلا بالكمالِ
وقفا في مدارسِ العقل والنق   ل ونوحا معي على الأطلال
سائلاها عسى يجيبُ صداها   أين ولّى مجيبُ أهلِ السؤال
أين ولى بحرُ العلوم وأبقى   بين أجفاننا الدموعَ لآلي
أين ذاك الذهنُ الذي قد ورثنا   عنه ما في الحشا من الاشتعال[3]
أين تلك الأقلامُ يومَ انتصارٍ   كعوالي الرماح يوم النزال
ينقل الناسُ عن حديث هداها   طُرُقَ العلم عن متون العوالي
وتفيد الجنى من اللفظ حلواً   حين كانت نوعاً من العسّال

....

١ ص : نشوان .
٢ ديوان ابن نباتة : ٤٠٥ .
٣ ص : الاشتغال .

٤٨٩
المنصور صاحب حماة

محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، السلطان الملك المنصور ابن الملك المظفر تقي الدين ابن الأمير نور الدولة ، صاحب حماة وابن صاحبها ؛ سمع الحديث بالإسكندرية من السِّلَفي ، وكان شجاعاً ، يحب العلماء ، وجمع تاريخاً على السنين في عدة مجلَّدات ، فيه فوائد .

قال شهاب الدين القوصي : قرأت عليه قطعة من كتابه « مضمار الحقائق وسرّ الخلائق »[١] ، وهو كبير نفيس يدل على فضله ، لم يسبق إلى مثله وله كتاب « طبقات الشعراء »[٢] يكون في عشر مجلدات ، وجمع من الكتب ما لا مزيد عليه ، وكان في خدمته ما يناهز مائتي متعممٍ من الفقهاء والأدباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب . وأقامت دولته ثلاثين سنة ؛ وتوفي سنة [سبع][٣] عشرة وستمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

سُحّا الدموعَ فإن القوم قد بانوا ... وأقفر الصبر لما أقفر البانُ

وأسعداني بدمعٍ بعد بينهمُ ... فالشان لما نأوا عني له شان

٤٨٩ — الوافي ٤ : ٢٥٩ والزركشي : ٣٠٤ والسلوك ١ : ٢٠٥ وابن الشعار ٦ : ٣٠١ وتاريخ أبي الفدا ٣ : ١٢٥ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٥٠ وذيل الروضتين : ١٢٤ والشذرات ٥ : ٧٧ وعبر الذهبي ٥ : ٧١ ؛ والترجمة مستوفاة في المطبوعة .

١ نشرت قطعة من هذا الكتاب بتحقيق الدكتور حسن حبشي (القاهرة : ١٩٦٨) .

٢ اسمه « أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء المتقدمين من الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين ... » (ومنه نسخة بمكتبة ليدن رقم Or. ٦٣٩) .

٣ زيادة من الوافي ؛ وفي الزركشي « توفي سنة عشرة وستمائة » كما هو في ص .

لا تبعثوا في نسيم الريح نَشركمُ فإنني من نسيم الريح غَيْرَان
سقاهم الغيثُ من قبليّ كاظمةٍ سحّاً وروّى ثراهم أينما كانوا

وقال :

ادْعُني باسمها فإني مجيبُ وادْرِ أني مما تحبّ قريبُ
حكم الحبُّ أن أُذِلّ لديها نخوةَ الملك ، والغرام عجيب

وقال :

أربي راحٌ وريحا ن ومحبوبٌ وشادي
والذي ساق ليَ الملـ ـكَ له دَفْعُ الأعادي

٤٩٠
الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد ، الشيخ الإمام العالم العلامة ذو الفنون ، البارع صدر الدين ابن المرحل ، ويعرف في الشام بابن الوكيل[١] ، المصري الأصل العثماني الشافعي ، أحد الأعلام وفريد أعاجيب الزمان في الذكاء والحافظة والذاكرة ؛ ولد في شوّال سنة خمس وستين بدمياط ، وتوفي بالقاهرة سنة ست عشرة[٢] وسبعمائة . رثاه جماعة من شعراء مصر

٤٩٠ – الوافي ٤ : ٢٦٤ والبدر السافر : ١٤٢ وطبقات السبكي ٦ : ٢٣ والدرر الكامنة ٤ : ٢٣٤ والأسنوي ٢ : ٤٥٩ والبداية والنهاية ١٤ : ٨٠ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٣٣ والدارس ١ : ٢٧ والزركشي : ٣٠٤ والشذرات ٦ : ٤٠ وذيل العبر : ٩٠ والسلوك ١ : ١٦٧ ودول الإسلام ٢ : ١٧٠ ؛ وأكثر هذه الترجمة ورد في المطبوعة .

١ يعني ابن وكيل بيت المال .

٢ ص : عشر .

والشام وحصل التأسف عليه ، وقال الشيخ تقيّ الدين ابن تيمية لما بلغه وفاته : أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين .

نشأ بدمشق وتفقه بوالده وبالشيخ شرف الدين المقدسي . وأخذ الأصولَ عن صفي الدين الهندي وسمع من القاسم الإربلي والمسلم بن علان وجماعة ، وكان له عدّة محفوظات ، قيل إنه حفظ « المفصل » في مائة يوم ويوم ، و « المقامات الحريرية » في خمسين يوماً ، و « ديوان المتنبي » على ما قيل في جمعة واحدة ، وكان من أذكياء زمانه ، فصيحاً مناظراً ، لم يكن أحد من الشافعية يقوم بمناظرة الشيخ تقي الدين ابن تيمية غيره ، وتخرج به الأصحاب والطلبة ، وكان بارعاً في العقليات . وأما الفقه وأصول الفقه فكانا قد بقيا له طباعاً لا يتكلفهما .

أفتى [1] ودرّس وبعد صيته ؛ وَلِيَ مشيخة دار الحديث الأشرفية سبع سنين وجرت له أمور وتنقّلات ، وكان مع اشتغاله يتنزه ويعاشر ، ونادم الأفرم نائب دمشق ، ثم توجه إلى مصر وأقام بها إلى أن عاد السلطان من الكرك سنة تسع وسبعمائة ، فجاء بعد ما خلص من واقعة الجاشنكير ، فإنه نسب إليه منها أشياء ، وعزم الصاحب فخر الدين ابن الخليلي على القبض عليه تقرّباً إلى خاطر السلطان ، فلما أحس بذلك فر إلى السلطان على طريق البدرية ودخل على السلطان وهو بالرمل ، فعفا عنه ، وجاء إلى دمشق وتوجه إلى حلب وأقرأ بها ودرس وأقبل عليه الحلبيون إقبالاً زائداً ، وعاشرهم ، وكان محظوظاً [2] ، لم يقع بينه وبين أحد من الكبار إلا وعاد من أحب الناس فيه .

وكان حسن الشكل تامّ الخلق حسن البزة حلو المجالسة طيب المفاكهة ، وعنده كرم مفرط ، كل ما يحصل له ينفقه بنفس متسعة ملوكية ، وكان يتردّد إلى الصلحاء ويلتمس دعاءهم ويطلب بركتهم .

---

١ قال في البدر السافر : « أفتى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة » .

٢ الوافي والزركشي : محفوظاً .

قيل [1] إنه وقف له فقير – وكانت ليلة عيد – وقال له : شي لله ، فالتفت إلى غلامه ، وقال : إيش معك ؟ قال : مائتا درهم ، قال : ادفعها إلى هذا الفقير ، فقال له : يا سيدي الليلة العيد وما معنا شي ننفقه غداً ، فقال : امضي إلى القاضي كريم الدين وقول له : الشيخ يهنيك بالعيد ، فلما رأى كريم الدين غلام الشيخ قال : كأن الشيخ يعوز نفقة في هذا العيد ، ودفع له ألفين درهم وثلثمائة للغلام ، فلما حضر إلى الشيخ قال : صدق رسوا الله صلى الله عليه وسلم : الحسنة بعشرة ، مائتان بألفين .

وكان له مكارم كثيرة ولطفاً زايداً [2] وحسن عشرة ؛ وأما أوائل عشرته فما كان لها نظير ، لكنه ربما يحصل عنده ملَل في آخر الحال ، حتّى قال فيه القائل :

ودادُ ابنِ الوكيلِ له شبيهٌ ... بلبادينَ جلقَ في المسالكْ
فأوّله حليّ ثمَّ طيبٌ ... وآخره زجاج مع لوالك [3]

وشعره مليح إلى الغاية ، وكان ينظم الشعر والموشح والدوبيت والمخمّس والزجل والبليق ؛ ومن تصانيفه ما جمعه في سفينة وسماه « الأشباه والنظائر » ، يقال إنه شيء غريب ، وعمل مجلدة في السؤال الذي حضر من عند أسندمر نائب طرابلس في الفرق بين المَلَك والنبيّ والشهيد والوليّ والعالم .

ومن شعره قصيدة بائية أولها :

ليذهبوا في ملامي أيّةً ذهبوا ... في الخمر [4] لا فضةٌ تبقى ولا ذهبُ
لا تأسفنّ على مالٍ تمزّقه ... أيدي سقاةِ الطلا والخرّدُ العرُبُ

---

1 أبقيت هذه الحكاية على حالها ، وفيها صورة من اللهجة الدارجة حينئذ ؛ وقارن بما في الوافي .
2 كذا في ص .
3 اللوالك : جمع لالكة ، وهي نوع من النعال .
4 ص : فالخمر ؛ وأثبت ما في الحاشية ترجيحاً ، وهو كذلك عند الصفدي .

فما كسوا راحتي من راحها حللاً　　إلا وعرّوا فؤادي الهمَّ واستلبوا
راحٌ بها راحتي في راحتي حصلتْ　　فتمَّ عُجْبي بها وازداد لي العجب
إذ ينبعُ الدرّ من حلوٍ مذاقته　　والتبرُ منسبكٌ في الكأسِ منسكب
وليست السكيميا في غيرها وجدت　　وكلٌّ ما قيلَ في أبوابها كَذِب
قيراطُ خمرٍ على القنطار من حَزَنٍ　　يعودُ في الحالِ أفراحاً وينقلب
عناصرٌ أربع في الكأسِ قد جمعت　　وفوقها الفَلَكُ السيّارُ والشهب
ماءٌ ونارٌ هواءٌ أرضها قَدَحٌ　　وطوقها فَلَكٌ والأنجمُ الحبب
ما الكأسُ عندي بأطرافِ الأناملِ بل　　بالخمسِ تقبض لا يحلو لها الهرب
شَجَجتُ بالماء منها الرأسَ موضحةً　　فحين أعْقلها بالخمسِ لا عجب
وما تركتُ بها الخمس التي وجبت　　وإن رأوا تركها من بعضِ ما يجب
ولن أقطّبَ وجهاً حين تبسم لي　　فعند بسط الموالي يحسنُ[1] الأدب
عاطيتُها من بناتِ الترك عاطيةً　　لحاظها للأسود الغُلْبِ قد غلبوا
هيفاءُ جاريةٌ للرّاح ساقيةٌ　　من فوق ساقيةٍ تجري وتنسرب[2]
من وجهها وتثنّيها وقامتها　　تخشى الأهلّةُ والقضبانُ والقضب
يا قلبُ أردافُها مهما مررتَ بها　　قفْ بي عليها وقلْ لي هذه الكُثُب
وإن مررتَ بشَعْرٍ فوق قامتها　　بالله قل ليَ كيف البانُ والعَذَب
تريك وجنتها ما في زجاجتها　　لكنْ مذاقته للرّيقِ تنتسب
تحكي الثنايا الذي أبدته من حبَبٍ　　« لقد حكيت ولكن فاتك الشنب »[3]

وقال أيضاً :

وعارضٍ قد لام في عارضٍ　　وطاعن يطعنُ في سنّهِ

---

١ الوافي : يحفظ .
٢ الوافي : وتنسكب .
٣ مضمن من قول ابن الخيمي ، وصدره : « يا بارقاً بأعالي الرقمتين بدا » .

وقال لي قد طلعت ذقنه[1] فقلت لا أفكر في ذقنه[1]

وقال وهو في غاية الحسن :

شبّ وجدي بشائب من سنا البدر أوجهُ
كلما شاب ينحني بيّضَ الله وجهه

وقال أيضاً :

ولما جلا فصلُ الخريفِ[2] محاسناً وصفّقَ ماءُ النهرِ إذ غرّد القُمري
أتاه النسيمُ الرطبُ رَقّصَ دَوْحَه فنقط وجهَ الماءَ بالذهب المصري

وقال أيضاً :

عيّرتني بالسقم طرفُكَ مشبهي ونحولُ جسمي مثلُ خصرك ناحلا[3]
وأراك تشمتُ إذ أتيتك سائلاً لا بدّ أن يأتي عذارك سائلا

وقال في مليح به يرقان :

رأيتُ في طرفه اصفراراً سبا فؤادي فقلت مهلا
أيا مليكَ الأنامِ حسناً العفوَ من سيفكَ المحلّى

وهذا يشبه قول الوداعي[4] :

قال قومٌ قد شانه يرقانٌ قلتُ أخطأتمُ وحاشا وكلاّ
إنما الخدّ واللواحظُ منه مصحفٌ مُذهب وسيفٌ محلّى

وقال أيضاً[5] :

---

١ ص : دقنه .
٢ الوافي : الربيع .
٣ الوافي : وكذاك خصرك مثل جسمي ناحلا .
٤ هذان البيتان تأخرا عن موضعها في المطبوعة .
٥ لم يرد البيتان التاليان في المطبوعة .

أقصى مناي أن أمرَّ على الحمى ويلوحُ نورُ رياضه ويفوحُ
حتى أُري سحبَ الحمى كيف البكا وأعلّم الورقاءَ كيف تنوح

وقال أيضاً :

بعيشك خَلِّ عاذلتي تلمني ومِنْها في ملامتها ومني
فإن نجحتْ فلا نجحتْ طريقي وأدركت المنيةَ لا التمني
وإن خابت فلا خابتْ طريقي وإن كان الهوى ثانيه عني
فيا غصنَ النقا ويجلُّ قدراً قوامُكَ أن أشبهه بغصن
لحاظك بالمَها فتكتْ عناداً ولا تسألْ عن الظبي الأغَنّ
وعطفك قد كسا الأغصانَ وجداً فمالت بالهوى لا بالتثني
ورقّتْ وُرْقُها فبكتْ عليها وفي الأفنانِ أبدتْ كلَّ فنّ
وقد طارحتها شَجَناً فلما بكيتُ صبابةً أخذتْ تغني

وقال أيضاً في مايح اسمُه خليل :

تلك المعاطفُ أم غصونُ البانِ لعبتْ ذوائبها على الكُثبانِ
وتضرّجت تلك الخدودُ فوردُها قد شقَّ قلبَ شقائقِ النعمان
ما يفعلُ الموتُ المبرِّحُ في الورى ما تفعلُ الأحداقُ في الأبدان
أخليلَ قلبي وهو يوسفُ عصرِه قلبي الكليمَ رمَيْتَ في النيران
قطعته مذ كان قلباً طائراً ودعوته فأتى بغير توان
يا نورَ عيني لا أراك وهكذا إنسانُ عيني لا يراه عياني

وقال أيضاً :

أخفيتُ حبّكَ عن جميع جوانحي فوشَتْ عيوني والوشاةُ عيونُ
وَوَدِدتُ أن جوانحي وجوارحي مُقَلٌ تراك وما لهنَّ جفون
وودتُ دمعَ الخافِقَيْنِ لمقلتي حتى عزيزُ الدمعِ فيك يهون
يا ليتَ قيساً في زمان صبابتي حتى أريه العشق كيف يكون

وقال أيضاً في مليح يلقب بالحامض :

وبديعِ الجمال معتدلِ القا مةِ كالغصنِ والقنا الأملودِ
لقبوه بحامضٍ وهو حلوٌ قَوْلَ مَنْ لم يَصِلْ إلى العنقود

وقال :

يا وجنةً هيَ جنةٌ قد زُخْرِفت ورداً ومن آسِ العذار تخَضَّرتْ
عَيْنٌ بنورِ جمال وجهك متعت وسوى جمالك أبصرتْ، لا أبصرت

وقال ذوبيت[1] :

يا غايةَ منيتي ويا معشوقي من بعدك لم أملْ إلى مخلوقِ
يا خير نديمٍ كان لي يؤنسني من بعدك صلبت على الراووق

وقال أيضاً :

في خدك خطّ مشرفالصدغ سطورْ والشاهدُ ناظرٌ على الفتكِ يدورْ
يا عارضَهُ بالشرع لا تقتلني الشاهد فاتكٌ وذا خطّك زور

وقال :

تغنت في ذُرى الأوراق وُرْقٌ ففي الأفنانِ من طربٍ فنونُ
وكم بسمت ثغورُ الزهرِ عجباً وبالأكمام كم رقصتْ غصون

وقال أيضاً :

وبي مَن قَسا قلباً ولان معاطفاً إذا قاتُ أدناني يضاعفُ تبعيدي
أقرّ برقٍ إذ أقول أنا له وكم قالها أيضاً ولكن لتهديدي

وقال :

إذا قلت تَغْرَكَ صُنْ باللثامِ يقولُ : سيحميه صارمُ جفني

---

١ لم يرد هذا الدوبيت في المطبوعة .

وإن قلت قد صار من فتكه كليلاً يقول : عذاري مِسَنّي

وقال ذوبيت :

كم قال معاطفي حَكَتها الأسلُ والبيضُ سرَقْن ما حوته المقلُ
الآن أوامري عليهم حكمتْ البيضُ تُحَدّ والقنا تعتقل

وقال :

عانقتُ وبالعناقِ يشفى الوجدُ حتى شفيَ الصبُّ ومات الضدُّ[١]
من أخمصه لثماً إلى وَجنته حتى اشتكتِ القضبُ وضجَّ الورد

وقال موشح يعارض به السراج المحار :

ما أخجلَ قَدُّهُ غصونَ البان بين الوَرَقِ
إلا سلب المَها مع الغزلان حُسْنَ الحدَق

قاسوا غلطاً مَن حازحُسنَ البَشَر
بالبدر يلوحُ في دياجي الشعر
لا كيد ولا كرامةٌ للقمر
الحِب جماله مدى الأزمانِ معناه بقي
وازداد سناً وخُصَّ بالنقصان بدرُ الأفق

الصحةُ والسقامُ في مقلته
والجنةُ والجحيمُ في وجنته
مَن شاهدُه يقولُ من دهشته
هذا وأبيك فرَّ من رضوانِ تحت الغسقِ
للأرض يعيذه من الشيطان ربُّ الفلق

قد أنبته الله نباتاً حسنا

---

١ الوافي : الصد .

وازداد على المَدى بهاءً وسنا
من جاد له بروحه ما غُبِنا
قد زيّن حسنَه مع الإحسانِ ّحسنُ الخلق
لو رمتُ لحسنه شبيها[1] ثاني لم يتفق
في نرجس لحظه وزهرِ الثّغَرِ
روضٌ نَضِرٌ قطافُه بالنظر
قد دبج خده بنبت الشعر
كالورد حواه ناعمُ الريحانِ بالطلَ سُقي
والقدّ يميلُ ميلةَ الأغصان للمعتنــق
أحيا وأموتُ في هواه كمدا
من مات جوى في حبه قد سعدا
يا عاذلُ لا أترك وجدي أبدا
لا تعذلني فكلما تلحاني زادت حُرَقي
يستأهل من يهمُّ[2] بالسلوان ضربَ العنق
القدُّ وطرفه قناةٌ وحسامْ
والحاجب واللحاظ قوسٌ وسهام
والثغرُ مع الرضابِ كأسٌ ومدام
والدرّ منظم مع المرجان في فيه نقي
قد رُصِّعَ فوقه عقيقٌ قانِ نظم النسق
وأما موشحة السراج المحار فهي :
مذ شمتُ سنا البروقِ من نعمانِ باتتْ حدقي

---

١ ص : شبيه .
٢ ص : يهيم .

تذكي بمسيل دمعها الهتان نارَ الحرق

ما أومضَ بارقُ الحمى أو خفقا
إلا وأجدَّ لي الأسى والحرقا
هذا سببٌ لمحنتي قد خلقا
أمسي لوميضه بقلب عاني بادي القلق
لا أعلمُ في الظلام ما يغشاني غير الأرق

أضنى جسدي فراقُ إلفٍ نزحا
أفنى جَلَدي ودمعَ عيني نزحا
كم صِحتُ وزند لوعتي قد قدحا
لم تُبقِ يدُ السَّقام من جثماني غيرَ الرمَقِ
ما أصنعُ والسلوُّ مني فاني والوجدُ بقي

أهوى قمراً حلو مذاق القُبَلِ
لم يكحلْ طرفه بغير الكحل
تركيّ اللحظاتِ بابليُّ المقل
زاهي الوجناتِ زائدُ الإحسانِ حلو الخلُق
عذبُ الرشفات ساحرُ الأجفانِ ساجي الحدق

ما حطَّ لثامه وأرخى شعَرهْ
أو هزَّ معاطفاً رشاقاً نضره
إلا ويقولُ كلُّ راءٍ نظره
هذا قمرٌ بدا بلا نقصان تحت الغسقِ
أو شمس ضُحى في غصُنٍ فينان غضِّ الورق

ما أبدع معنًى لاح في صورتِهِ
إيناع عذاره على وجنته

لما سقي الحياة من ريقته
فاعجبْ لنباتِ خده الرَّيحاني من حيث سقي
يضحي ويبيت وهو في النيران لم يحترق

والسراج المحار عارض بهذا موشح أحمد الموصلي ، وهو :

مذ غرَّدتِ الورْقُ على الأغصانِ بين الورقِ
أجرتْ دمعي وفي فؤادي العاني أذكتْ حُرَقي

لما برزت في الدوح تشدو وتنوح
أضحى دمعي بساحة السفح سفوح
والفكرُ نديمي في غبوقٍ وصَبوح
قد هيَّجتِ الذي به أضناني منه قلقي
والقلبُ له من بعد صبري الفاني الوجدُ بقي

ما لاح بُرَيْقُ رامةٍ أو لمعا
إلا وسحابُ عَبرتي قد هَمَعا
والجسم على المُزْمع هجري زمعا
بالنازح والنازح عن أوطاني ضاقت طرقي
ما أصنعُ قد حملتُ من أحزاني ما لم أُطقِ

قلبي لهوى ساكنه قد خفقا
والوجد حبيسٌ واصطباري طلقا
والصامتُ من سرّي بدمعي نطقا
في عشقِ منعّمٍ من الولدان أصبحت شقي
من جفوته ، ولم يزر أجفاني غيرُ الأرق

فالوردُ مع الشقيق من خديه

قد صانهما النرجسُ من عينيه
والآسُ هو السياجُ من صُدغيَه
واللفظُ وريقُ الأغيدِ الروحاني عند الحدق
حلوان على غصن من المرّانِ غضٍّ رشق

الصادُ من المقلةِ من حققه
والنونُ من الحاجب من عرّقه
واللامُ من العارض من علّقه
قد سطّره بالقلم الريحاني ربُّ الفلق
بالمسك على الكافور كالعنوان فوق الورق

ما أبدع وضع الخال في وجنته
خطّ الشكل الرفيع من نقطته
قد حير إقليدسَ في هيئته
كالعنبر في نار الأسيل القاني للمنتشق
فاعجبْ لعبيرٍ وهو في النيران لم يحترق

ومن موشحات الشيخ صدر الدين قوله :

صاحِ صاحَ الهزّارْ قم نحُثّ الكووسْ
قد تجلى النهار فاجْلُ بنتَ القُسوس

ما علينا جُناحْ إنّ فصلَ المصيفْ
قد تولى وراح وتولّى الخريف
قم فذاتُ الجناحْ ذاتُ رَمزٍ لطيف

في اقتلاع الوقار من طروسِ الضروس
وانتهابِ العقار وسرور النفوس

زَوِّجِ الما براحْ يا شبيهَ القمرْ
والشهود الملاح والوليّ المطر
والمغاني الفصاح ساكنات الشجر

وهي بكرٌ تدارْ والسُّقاةُ الشموس
والحَبابُ النِّثار فوق وجه العروس

إن عيشي الرغيد حين ألقى الصديق
وعذار جديد وسلاف عتيق
ثم ألقى شهيد بسيوف الرحيق

كم كذا ذا الفشار وخيوط الرؤوس
طاح عمري وطار في سماع الدروس

وكان الشيخ صدر الدين عارفاً بالطب علماً لا علاجاً ، فاتفق أن شكا إليه الأفرم سوء هضم ، فركّبَ له سفوفاً وأحضره ، فلما استعمله أفرط في الإسهال [1] جداً ، فأمسكه مماليكه ليقتلوه ، وأحضروا أمين الدين الحكيم لمعالجة الأفرم ، فعالجه باستفراغ تلك المواد التي اندفعت وأعطاه أمراق الفراريج ، ثم أعطاه الممسكات حتى صلح حاله ، فلما صلحت حاله سأل الأفرم عن الشيخ صدر الدين فأخبروه المماليك ما فعلوا به ، فأنكر ذلك عليهم ثم أحضره وقال له : يا صدر الدين ، جيت تروّحني غلطاً . فقال له سليمان الحكيم : يا صدر الدين اشتغل بفقهك ودع الطب . فغلط المفتي يُستَدرك وغلطُ الطبيب ما يستدرك ، فقال الأفرم : صَدَقْ لك ، لا تخاطر ، ثم قال لمماليكه : مثل صدر الدين ما يتهم ، والله الذي جرى عليه منكم أصعب مما جرى عليّ ، وما أراد والله إلا الخير ، ثم سير له

[1] الوافي : أفرط به الإسهال .

جملة دراهم وقماش .

ولما أنكر البكري استعارةَ البُسُط والقناديل من الجامع العمري بمصر لبعض كنائس القبط في بعض مهماتهم ، ونسب هذه الفعلة إلى كريم الدين ، فطلع البكري إلى حضرة السلطان وكلمه في ذلك وأغلظ له في القول ، وكاد يجوز ذلك على السلطان لو لم يحل بعض القضاة الحاضرين على البكري ، وقال : ما قصّر الشيخ ، كالمستهزىء به ، فحينئذ أغاظ السلطان له وأمر بقطع لسانه ، فأتى الخبر إلى الشيخ صدر الدين وهو في زاوية السعودي ، فطلع إلى القلعة على حمار فارهٍ اكتراه للسرعة ، فرأى البكري وقد أُخِذ ليمضى فيه ما أمر . فلم يملكْ دموعَه أن تساقطت على خده ، واستمهل الشرطة ، ثم صعد الايوان والسلطانُ جالس به ، وتقدم إلى السلطان من غير استئذان وهو باكٍ ، فقال له السلطان : خير يا صدر الدين ، فزاد بكاؤه ونحيبه ولم يقدر على مجاوبة السلطان ، فلم يزل السلطان يرفُقُ به ويقول له : خير ، ما بك ؟ إلى أن قدر على الكلام ، فقال له : هذا البكري من العلماء الصلحاء ، وما أنكر إلا في موضع الإنكار ، ولكنه لم يحسن التلطف ، فقال له السلطان : إي والله أنا أعرف أنه حطبة ، وانفتح الكلام ، ولم يزل الشيخ صدر الدين يرفق بالسلطان ويلاطفه حتى قال : خذه وروح وانصرف ، هذا كله جرى والقضاة حضور وأمراء الدولة ملء الإيوان ، وما فيهم مَنْ أعانه .

وكان إذا فرغ مما هو فيه مع أصحابه وعُشَراه قام وتوضأ وصلى ومرّغ وجهه على التراب وبكى حتى يبل ذقنه بالدموع ، ويستغفر الله تعالى ويسأله التوبة ، رحمه الله تعالى .

٤٩١
ابن اللبانة

محمد بن عيسى بن محمد ، أبو بكر اللخمي الأندلسي ، الشاعر المشهور بابن اللبانة ، وله كتاب « مناقل الفتنة » و « نظم السلوك في وعظ الملوك » و « سقيط الدرر ولقيط الزهر » في شعر بني عباد ، وتوفي بميورقة في سنة سبع وخمسمائة . من شعره :

هلا ثناكَ عليّ قلبٌ مشفقُ   لترى فَراشاً في فراش يحرقُ
أصبحتُ كالرمَق الذي لا يرتجى   وبقيتُ كالنّفَس الذي لا يلحق
وغرقتُ في دمعي عليك وعمني   طوفٌ فهل سببٌ به أتعلق
أو خدعة بتحيةٍ مقبولةٍ   في جنب موعدك الذي لا يصدق
أنت المنيةُ والمنى ، فيك استوى   ظلُّ الغمامةِ والهجيرُ المحرق
لكَ قدٌّ ذابلةِ الوشيجِ ولونُها   لكنْ سنانك أكحلٌ لا أزرق
ويقال إنك أيكةٌ حتى إذا   غنيتَ قيل هو الحمامُ الأورق
لو في يدي سحرٌ وعندي نَفثةٌ   لجعلتُ قلبك بعضَ يومٍ يَعشق
لتذوقَ ما قد ذقتُ من ألم الهوى   وترقَّ لي مما تراه وتشفق

وقال أيضاً يمدح المعتمد بن عباد :

بكتْ عند توديعي فما علم الركبُ   أذاك سقيطُ الطلِّ أم لؤلؤ رطبُ

٤٩١ – الوافي ٤ : ٢٩٧ والزركشي : ٣٠٦ وقلائد العقيان : ٢٤٥ وبغية الملتمس رقم : ٢١٣ والذخيرة (القسم الثالث : ٢٠٩) والمغرب ٢ : ٤٠٩ والمعجب : ٢٠٨ والمطرب : ١٧٨ والتكملة : ٤١٠ والخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٠٧ (ط. تونس) والمسالك ١١ : ٢٧٠ وله موشحات في صفحات متفرقة من نفح الطيب ودار الطراز وجيش التوشيح ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المطبوعة .

وتابعها سِرْبٌ وإني لمخطىء نجومُ الدياجي لا يقال لها سرب
لئن وقفتْ شمسُ النهار ليوشعٍ لقد وقفت شمس الهوى لي والشهب
هفا بين عصفِ الريح والموج مثلما هفا بين أضلاعي يكوّى به القلب
كأني قَذًى في مقلةٍ وهو ناظرٌ بها والمجاذيفُ التي حولها هُدب

منها في المديح :

حوى قَصَبات السبق [1] عفواً ولو سعى لها البرقُ خطفاً جاء من دونها يكبو
ويرتاحُ عندَ الجودِ [2] حتى كأنه وحاشاه نشوانٌ يلذّ له الشرب
سألتُ أخاه البحر عنه فقال لي شقيقيَ إلا أنه البارد العذب

وقال موشح [3] :

في نرجسِ الأحداقْ وسوسن الأجيادْ
نبتُ الهوى مغروس بينَ القنا الميّاد

وفي نقا الكافور والمندلِ الرطبِ
والهودج المزرور بالوَشي والعَصْب
قُضْبٌ من البلور حُمِينَ بالقضب
نادى بها المهجور من شدّةِ الحب

أذابتِ الأشواق روحي على أجساد
أعارها الطاووس من ريشه أبراد

كواعبٌ أترابْ تشابهت قدّا

١ الوافي : السعي .
٢ الوافي : الحمد .
٣ هي الموشحة رقم : ٤١ في جيش التوشيح .

عضّتْ على العُنّاب بالبردِ الأندا[1]
أوصت بيَ الأوصاب وأغرت الوجدا
وأكثرُ الأحباب أعدى من الأعدا

تفترّ عن أعلاق لآليء أفراد
فيه اللمى[2] محروس بألسن الأغماد

من جوهر الذكرى أعطى[3] نحور الحور
وقلّدَ الدرا سُلالة المنصور
جاوزْ به البحرا واخرقْ حجابَ النور
وقل له شعرا بفضلك المشهور

جمعتَ في الآفاق تنافُرَ الأضداد
فأنت ليثُ الخيسْ وأنت بدر الناد

خرجتُ مختالا أبغي سنا البرق[4]
أقطعُ أميالا غرباً إلى شرق
مؤملاً حالا يكون من وفقي
فقال مَنْ قالا وفاه بالصدق

دعْ قطعك الآفاق يا أيها المرتاد
واقصد إلى باديس خير بني عبّاد

يا من رجا الظلاّ وأمّلَ التعريس

---

١ ص : والاندا .
٢ ص : اللقا .
٣ ص : عطل .
٤ جيش التوشيح : الرزق .

إن شئت أن تحلى بطائل التأنيس
لا تعتمدْ إلا على علا باديس
من قَوْمُهُ أعلى قدراً من البرجيس

مواطنُ الأرزاق أولئك الأمجاد [1]
فاحطط رحالَ العيس وانفضْ بقايا الزاد

وقال أيضاً :

شقَّ النسيمُ كمامَهْ عن زاهرٍ يتبسّمْ
فلا تطعْ لملاَمَه واشرب على الزير والبَمّ

حيا النسيمُ بمندلْ عن طيبِ زهرٍ أنيق
ونرجسُ الروضِ تخجل منه خدود الشقيق
فانهض إلى الدنّ واقبلْ منه سؤال [2] الرحيق

وفُضَّ منه ختامه عن مثلِ مسكٍ مختم
تكادُ منه المدامه للشَّرْب أن تتكلم

حاكت على النهر درعا ريحُ الصبا في الاصايل
وأسبلَ القطرُ دمعا على جيوب الخمايل [3]
فاسمعْ من العود سَجْعًا تشقّ منه الغلايل

ما رنمته حمامه من فوق غصن منعم
ولا ادعته كرامه بنتُ الحسين بن مجذم [4]

١ جيش التوشيح : الأنجاد .
٢ الوافي : سوار .
٣ ص : الأصايل .
٤ الوافي : مخذم .

أما عـلـيٌّ فإني ممن سمعت بذكره
والودّ يشهدُ عني بمـا أبوح . بفخره
وقد رأيتُ التمنّي يختال في ثوب بره[1]

في حلة من أسامه بظاهر الحسن مُعْـلَـم
متوج بالـكرامه وبالسماح مختـتّم

حيّيا النسيمُ تلمسان بواكفِ القطرِ هطال
فقد قضتْ كلَّ إحسانْ بجودها بابن شملال
وقصّرتْ كلَّ إنسان عما حواه من اجلال

ندبٌ يذل همامه ربيعة بن مكدم
وما حـواه أسامه في عصره المتقدم

قد جاءك المتنبي يا سيفَ هذا الزمانِ
يختالُ في ثوب عُجْبِ بما حوى من معان
يشدو ارتجالاً فيسبي كلَّ الوجوه الحسان

هذا المليحْ في العمامه لو أنه يتلثم
لقلتُ هذي غمامه غطّت على قمر التم

---

[1] الوافي : بشره .

٤٩٢
ماني الموسوس

محمد بن القاسم ، أبو الحسن المعروف بماني الموسوس ؛ من أهل مصر قدِمَ بغداد أيام المتوكل ، وكان من أظرَف الناس وألطفهم . توفي سنة خمس وأربعين ومائتين .

ومن شعره :

زعموا أنّ مَنْ تشاغلَ بالل ... لذاتِ عمن يحبه يتسلّى
كذبوا والذي تقاد له البُدْ ... نُ ومن عاذ بالطوافِ وصلّى
إن نار الهوى أحرُّ من الجم ... رِ على قلبِ عاشقٍ يتقلّى

وقال :

دعا طرفُه طرفي فأقبل مسرعاً ... وأثّر في خديه فاقتصّ من قلبي
شكوتُ إليه ما لقيتُ من الهوى ... فقال على رسلٍ فمتَّ فما ذنبي

وقال :

ذنبي إليه خضوعي حين أبصره ... وطولُ شوقي إليه حين أذكرُهُ
وما جرحْتُ بدمع العين وجنته ... إلا ومن كبدي يقتصّ محجره
نفسي على بُخْله تفديه من قمرٍ ... وإن رماني بذنبٍ ليس يغفره
وعاذلٍ باصطبارِ القلبِ يأمرني ... فقلتُ : من أين لي قلبٌ فأهجره

وذكر صاحب « الأغاني » أن محمد بن عبد الله بن طاهر عزم على

. . . .

٤٩٢ – الوافي ٤ : ٣٤٦ وتاريخ بغداد ٣ : ١٦٩ والأغاني ٢٣ : ٥٥ ومعجم المرزباني : ٣٨٧ وطبقات ابن المعتز : ٣٨٣ والزركشي : ٣٠٧ ؛ وقد وردت هذه الترجمة مكتملة في المطبوعة .

الصّبوح ، وعنده الحسن بن محمد بن طالوت ، فقال له محمد : نحتاج أن يكون معنا مَن نأنس به ونلتذ بمنادمته ، فمن ترى أن يكون ؟ فقال له ابن طالوت : قد خطر ببالي مَن ليس علينا بمنادمته ثقل ، قد خلا من إبرام المجالسين ، وبرىء من ثقل المؤانسين ، خفيف الوطأة إذا أدنيته ، سريع الوثبة إذا أمرته ، قال : من هو ؟ قال : ماني الموسوس ، فتقدم إلى صاحب الشرطة بطلبه وإحضاره ، فلم يكن بأسرع من أن قبض عليه ووافى به باب محمد ، فلما مثل بين يديه وسلم ردّ عليه السلام وقال له : ما آن لك أن تزورنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له ماني : أعز الله الأمير ، الشوق شديد ، والوُدّ عتيد ، والحجاب صعب ، ولو سهل لي الأذن لسهلت عليّ الزيارة ، فقال له محمد : لقد لطفت في الاستئذان ، وأمره بالجلوس فجلس ، وكان قد أطعم قبل أن يدخل ، وأدخل الحمام وأخذ من شعره وألبس ثياباً نظافاً وأتى محمد بن عبد الله بن طاهر بجارية كان يحب السماع منها ، فكان أوّل ما غنته :

ولستُ بناسٍ إذ غدوا وتحملوا ... دموعي على الخدين من شدةِ الوجدِ
وقولي وقد زالت بعيني حمولهم ... بواكرَ تحدى : لا يكنْ آخر العهد

فقال ماني : إيذن لي أيها الأمير ، قال : في ماذا ؟ قال : في استحسان ما أسمع ، قال : نعم ، قال : أحسنتِ فإن رأيتِ أن تزيدي في هذا الشعر هذين البيتين :

وقفتُ أناجي الربعَ والدمعُ حائر ... بمقلة موقوفٍ على الضر والجهد
ولم يُعدني هذا الأمير بعدلِـهِ ... على ظالم قد لجَّ في الهجر والصد

فقال له محمد : ومن أي شيء استعديت يا ماني ؟ قال : لا من ظلم أيها الأمير ، ولكن تحرك شوق وكان ساكناً . ثم غنت :

حَجَبوها عن الرياح لأني ... قلتُ للريح بلّغيها السلاما

لو رَضُوا بالحجاب هان ولكن منعوها يومَ الرياح الكلاما

فطرب محمد وشرب ، فقال ماني : أيها الأمير ما على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما :

فتنفستُ ثم قلتُ لطَيفي ويك لو زرتَ طيفها إلماما
حيّها بالسلام سرًّا وإلا منعوها لشقوتي أن تناما

فقال محمد : أحسنت يا ماني . ثم غنت :

يا خليليَّ ساعةً لا تريما وعلى ذي صبابةٍ فأقيما
ما مررنا بدار زينبَ إلا فضَحَ الدمعُ سرنا المكتوما

فقال ماني : لولا هيبة الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يَرِدان على سمع ذي لبّ فيصدران إلا على استحسان لهما ، فقال له محمد : الرغبة في حسن ما تأتي به حائلة عن[1] كل رهبة ، فهاتِ ما عندك ، فقال :

ظبيةٌ كالهلالِ لو تلحظ الصخـ ـرَ بطرفٍ لغادرته هشَيما
وإذا ما تبسمت خِلتَ ما يبـ ـدو من الثغر لؤلؤاً منظوما

وفي الخبر طول وهذا يكفي منه .

---

١ ص : على .

٤٩٣
الملك الناصر

محمد بن قلاوون ، السلطان الملك الناصر ، ناصر الدين أبو الفتح محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون ؛ ولد الملك الناصر سنة أربع وثمانين وستمائة ، وتوفي يوم الأربعاء تاسع عشر ذي الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ، ودفن بالمدرسة المنصورية بين القصرين ، على والده ؛ وكان ملكاً عظيماً دانت له البلاد وملك الأطراف بالطاعة .

لما قتل الأشرف خليل وقع الاتفاق أن يكون السلطان الملك الناصر أخوه هو السلطان ، وزين الدين كتبغا هو النائب ، والشجاعي وزير ، واستقر الأمر على ذلك سنة ، ثم تسلطن كتبغا [1] وتسمى بالعادل ، وخطب له بمصر والشام وزينت له البلاد ، ثم تسلطن لاجين وتسمى بالملك المنصور وقتل في سنة ثمان وتسعين ، فحلفوا الأمراء للملك الناصر ، وأحضروه من الكرك ، وهذه سلطنته الثانية ، وعمره يومئذ خمس عشرة سنة ، فأقام إلى سنة ثمان وسبعمائة ، وذهب إلى الكرك متبرماً من سلار والجاشنكير وحَجْرهم عليه ومنعهم له من التصرف ، وأعرض عن مصر ، فوثب الجاشنكير على السلطنة وتسلطن .

وفي سنة تسع وسبعمائة خرج السلطان من الكرك وطلب دمشق ودخل من باب السر إلى قلعة دمشق ، وجاء الخبر بنزول الجاشنكير عن الملك

٤٩٣ – الوافي ٤ : ٣٥٣ والدرر الكامنة ٤ : ١٦١ والسلوك ٢ : ٥٢٣ والشذرات ٦ : ١٣٤ والنجوم الزاهرة ٨ : ١١٥ وتاريخ أبي الفدا ٤ : ٣٠ والرد الفاخر في سيرة الملك الناصر (وهو ج : ٩ من كنز الدرر) للدواداري ؛ وقد جاءت هذه الترجمة مكتملة في المطبوعة .

١ حدث ذلك في ١١ محرم سنة ٦٩٤ .

وهروبه وهروب سلار ، ورحل الملك الناصر طالب مصر فدخلها ، فلما استقر بها —وهي سلطنته الثالثة — ومد السماط ، قبض على اثنين وثلاثين أمير وأمَّر غيرهم ، وصفا له الوقت إلى حين وفاته ، رحمه الله تعالى .

٤٩٤
الحافظ ابن النجار

محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن ، الحافظ الكبير محب الدين ابن النجار البغدادي صاحب التاريخ ؛ ولد في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، سمع الحديث من ابن كليب وابن الجوزي وأصحاب ابن الحصين وجماعة . وله الرحلة الواسعة إلى الشام ومصر والحجاز وأصبهان وخراسان ومرو وهراة ونيسابور ، وسمع الكثير وحصل الأصول والمسانيد ، وصنف التاريخ الذي ذَيّلَ به على تاريخ الخطيب واستدرك فيه على الخطيب فجاء في ثلاثين مجلداً ، دل على تبحره في هذا الشأن وسعة حفظه .

وكان إماماً ثقة حجة مقرئاً مجوداً[1] حسن المحاضرة كيّساً متواضعاً، اشتملت مشيخته على ثلاثة[2] آلاف شيخ ، ورحل سبعاً وعشرين سنة . يقال إنه حضر مع تاج الدين الكندي في مجلس المعظم عيسى أو الأشرف موسى لأنه ذكره وأثنى عليه ، فقال له الأشرف : أحضره ، فسأله السلطان عن وفاة الشافعي

٤٩٤ — الوافي ٥ : ٩ وطبقات الشافعية ٥ : ٤١ والبدر السافر : ١٦٦ والشذرات ٥ : ٢٢٦ والحوادث الجامعة : ٢٠٥ وتذكرة الحفاظ : ١٤٢٨ والأسنوي ٢ : ٥٠٢ ومعجم الأدباء ١٩ : ٤٩ ومرآة الجنان ٤ : ١١١ والبداية والنهاية ١٣ : ١٦٩ وعبر الذهبي ٥ : ١٨٠ ، وكنيته أبو عبد الله ؛ ولم تخل المطبوعة بشيء من هذه الترجمة .

١ ص : موجوداً .

٢ ص : ثلث .

ومتى كانت ، فبهت ، وهذا من التعجيز لمثل هذا الحافظ الكبير القدر ، فسبحان مَن له الكمال .

وله كتاب « القمر المنير في المسند الكبير » ذكر كلّ صحابيّ وما له من الحديث ، وله كتاب « كنز الإمام في معرفة السنَن والأحكام » و « المختلف والمؤتلف » ذيل به على ابن ماكولا ، و « المتفق والمفترق » و « نسب المحدثين على الآباء والبلدان » . « كتاب عواليه » . « كتاب معجمه » . « جنة الناظرين في معرفة التابعين » . « الكمال في معرفة الرجال » . « العقد الفائق في[1] عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق » . « الدرة الثمينة في أخبار المدينة » . « نزهة الورى في أخبار أم القُرى » . « روضة الأوليا في مسجد إيليا » . « الأزهار في أنواع الأشعار » . « سلوة الوحيد » . « غرر الفوائد » ست مجلدات . « مناقب الشافعي » . ووقف كتبه بالنظامية[2] ، و « الزهر[3] في محاسن أهل العصر » . كتاب نحا فيه نحو « نشوار المحاضرة » مما التقطه من أفواه الرجال . « نزهة الطرف في أخبار أهل الظَّرْف » . « إخبار المشتاق إلى أخبار العشاق » . « الشافي » في الطب .

قال ياقوت في « معجم الأدباء » : أنشدني لنفسه :

وقائلٍ قال يومَ العيد لي ورأى تململي ودموعُ العين تنهمرُ
مالي أراك حزيناً باكياً أسفاً كأنَّ قلبك فيه النارُ تستعر
فقلت إني بعيدُ الدار عن وطني ومُملِقُ الكفّ والأحبابُ قد هجروا

ونظر إلى غلام تركي حسن الصورة فرمد باقي يومه فقال :

وقائل قال قد نظرتَ إلى وجه مليح فاعتادك الرمدُ
فقلت إن الشمسَ المنيرة قد يَعْشى بها الناظرُ الذي يقد

---

١ ص : القانوني .
٢ هذه العبارة في غير موضعها ، وحقها أن تقع بعد الانتهاء من ذكر مؤلفاته كما أوردها الصفدي.
٣ الوافي : أنوار الزهر .

٤٩٥
شمس الدين الأصفهاني

محمد بن محمود بن محمد بن عبد الكافي ، العلامة شمس الدين الأصفهاني الأصولي ؛ قدم الشام بعد الخمسين وستمائة ، وناظر الفقهاء ، واشتهرت فضيلتُه ، وانتهت إليه الرياسة في معرفة الأصول ، وشرح « المحصول » للامام فخر الدين شرحاً كبيراً حافلاً ، وصنف كتاب « القواعد » مشتملاً على أصول الدين والفقه والمنطق والخلاف ، وهو أحسن تصانيفه ، وله « غاية الطلب في المنطق » وله معرفة جيدة بالعربية والأدب والشعر ، ولكنه كان قليل البضاعة في الفقه والسنة .

ولي قضاء منبج في أيام الناصر ، ثم دخل مصر وولي قضاء قوص ، ثم قضاء الكرك ، ورجع إلى مصر وولي تدريس الصاحبية وتدريس مشهد الحسين ، وأعاد وأفاد ، ثم ولي تدريس الشافعيّ ، وتخرج به خلق ورحل اليه الطلبة ؛ كتب عنه علم الدين البرزالي وغيره .

مولده بأصبهان سنة ستّ عشرة ، وتوفي سنة ثمان وثمانين وستمائة .

---

٤٩٥ – الوافي ٥ : ١٢ وطبقات السبكي ٥ : ٤١ والشذرات ٥ : ٤٠٦ والزركشي : ٣٠٨ والأسنوي ١ : ١٥٥ والبداية والنهاية ١٣ : ومرآة الجنان ٤ : ٢٠٨ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٨٢ وعبر الذهبي ٥ : ٣٥٩ ؛ وقد جاءت هذه الترجمة كاملة في المطبوعة .

٤٩٦
ابن المكرم

محمد بن مكرّم – بتشديد الراء – ابن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي ثم المصري ، القاضي جمال الدين ابن المكرم ، من ولد رويفع بن ثابت الأنصاري ؛ ولد أول سنة ثلاثين وستمائة، وكان فاضلاً ، وعنده تشيع بلا رَفض . مات في شعبان سنة إحدى عشرة[1] وسبعمائة . خدم في الإنشاء بمصر ، ثم ولي نظر طرابلس ، وكان كثير الحفظ[2] ، اختصر كتباً كثيرة ، وله نظمٌ ونثر ، فمن شعره :

ضعْ كتابي إذا أتاك إلى الأر ... ض وقَلّبه في يديك لماما
فعلى ختمه وفي جانبيه ... قُبَلٌ قد وضعتهن[3] تؤاما
كان قصدي بها مباشرة الأر ... ض وكفّيك بالتثامي إذا ما

وقال :

الناسُ قد أثموا فينا بظنهمُ ... وصدّقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرُّك في تصديقِ قولهمُ ... بأن نحققَ ما فينا يظنونا
حَمْلي وحملك ذنباً واحداً ثقةً ... بالعفو أجملُ من إثم الورى فينا

وقال :

توهم فينا الناسُ أمراً وصممتْ ... على ذاك منهم أنفسٌ وقلوبُ

٤٩٦ – الوافي ٥ : ٥٤ ونكت الهميان : ٢٧٥ والزركشي : ٣٠٧ والشذرات ٦ : ٢٦ والدرر الكامنة ٥ : ٣١ والبدر السافر : ١٦٧ ، وقد جاءت هذه الترجمة مستوفاة في المطبوعة .

١ ص : عشر .

٢ ص : الحظ ؛ وفي الوافي : وكان كثير النسخ ، فلعل الصواب « الخط » .

٣ البدر السافر : بعثتهن .

وظنوا وبعضُ الظن إثم وكلهم لأقواله فينا عليه ذنوب
تعالَيْ نحققْ ظنهم لنُريحهم من الإثم فينا مرّةً ونتوب

أخذه من قول القائل حيث يقول :

قمْ بنا تفديكَ نفسي نجعلِ الشكَّ يقينا
فإلى كم يا حبيبي يأثَمُ القائل فينا ؟

وأخذه هذا من قول الأول :

ما أنسَ[1] لا أنسَ قولها بمنًى ويحك إنَّ الوشاةَ قد علموا
ونمَّ واش بنا[2] فقلتُ لها هل لك يا هندُ في الذي زعموا
قالتْ لماذا ترى فقلت لها كيلا تضيعَ الظنونُ والتهم

ومن شعر ابن المكرم[3] :

بالله إن جزتَ بوادي الأراك وقبلَتْ أغصانُهُ الخضرُ فاكْ
ابعثْ إلى المماوكِ من بعضه فإنني والله مالي سواك

٤٩٧

ابن الدجاجية

محمد بن مكي بن محمد بن حسن بن عبد الله ، القرشي الدمشقي العدل

١ ص : لا أنس .
٢ ص : بها .
٣ مر البيتان ٣ : ٢٨٠ منسوبين لابن تمرداش .
٤٩٧ — الوافي ٥ : ٥٨ والزركشي : ٣٠٨ والشذرات ٥ : ٢٨٩ والنجوم الزاهرة ٧ : ٧١ والترجمة مستوفاة في المطبوعة .

الأديب ، بهاء الدين ابن الدجاجية ؛ كان يجيد النظم ، روى عنه الدمياطي ، ومن شعره :

ما راح عندكم النسيمُ ولا غدا   إلا ليأخذَ عنـد عبدكمُ يدا
أحبابَ قلبي ذلك القلقُ الذي   قد كاد يأخذني عليكم ما هدا
كدرتمُ بعد الصفا وغدرتمُ   بعد الوفا وبخلتمُ بعـد الجَدا
وجعلتم الريانَ منزلَ حيكم   ولكم محبٌّ مات فيه من الصدا

وقال :

من أين لقدِّك ذا الهَيَفُ   قد حار الواصفُ ما يصفُ
الرمحُ الأسمرُ يحسده   والغصنُ الأخضر والألف
فتبارك مَن أنشاك لقد   في الخلق تفاضلتِ النطف
يا أحسنَ بل يا أظرفَ مَن   زينَتْ بذؤابته الكتف
[وقاك الله تعالى العيـ   ـنَ وعن أعطافك تنصرف] [١]
[كل الأقمار ببلدتنا   بضياء جبينك قد خسفوا]
[فاحكمْ فلأنت أميرهمُ   فيهم فبِبابك قد وقفوا]
راقتْ أخلاقك للغـربا   ءِ فكيف بمن بك قد ألفوا
قسماً بهواك وما أحلى   قسمَ العشاقِ إذا حلفوا
وبمن خاضوا غمراتِ منًى   وحصى الجمراتِ بها حذفوا
لا حُلْتُ عن الميثاقِ ولو   أودى بحشاشتيَ التلف
يلحاني قومٌ ما فهموا   ما شاني فيك ولا عرفوا

وقال أيضاً :

إلى سَلَمِ الجرعاءِ أهـدى سلامه   فمـاذا على مَنْ قد لحاه ولامَهُ
تجلدَ حتى لم يدعْ معظمُ الجوى   لرائيه إلا جِسمه وعظامه

١ [illegible] لم ترد في س أو الوافي ، وهي ثابتة في المطبوعة .

وقال أيضاً :

غـرّتـهُ غـرّتـهُ لما سرى ظنّ بأنّ الصبح قد أسفرا
أقبـل يسعى خـفِراً خائفاً على ذمام الوعد أن يخفرا
يحقّ يا قوم لمن قدّه الـ خطار أن لا يرهبَ الأخطرا
ضممته إذ نام سماره كما يضمُّ البطلُ الأسمرا
بتنا وما في ليلنا من كرًى كأنما النوم غدا منكرا

وقال ذوبيت :

ما عذر فتى ما مدّ للهوِ يدا والدوحُ قد اكتسى ثياباً جددا
مالت طرباً أغصانه راقصةً لمّا صدح الطيرُ عليها وشدا

وكانت وفاته في شهور سنة سبع وخمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

٤٩٨

شرف الدين القدسي

محمد بن موسى الكاتب ، شرف الدين القدسي ؛ كان كاتب أمير سلاح ثم كتب الإنشاء بقلعة الجبل . كان حسن الأخلاق كريم العشرة محتملاً[١] ، فيه كرم وله خط حسن ونظم كثير ونثر .

قال أبو حيان : جالسته مراراً وكتبت عنه وقرأ علينا من نظمه ، وخمس « شذور الذهب » تخميساً حسناً ، أنشدني من لفظه :

٤٩٨ - الوافي ٥ : ٩٣ والدرر الكامنة ٥ : ٣٩ والشذرات ٦ : ٣٢ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٢٣ والزركشي : ٣٠٩ والبدر السافر : ١٧٢ ؛ والترجمة ثابتة كلها في المطبوعة .

١ ص : محتمل .

تبسّم فاستبكى ببارقِ ثغره سحائبَ جفنٍ ما أحلت بعارضِ
مليحٌ أصبناه بعينٍ ونظرة فمن أجل هذا قد أصيبَ بعارض

وقال أيضاً :

بي فرطُ ميلٍ إلى الغزلانِ والغزلِ فكيف لا يقصرُ العذّال عن عَذَلي
مالوا عليَّ ولاموا في الهوى عبثاً مَن لم يملْ سمعُه مذ كان للملل
أضحى الغرام غريمي في هوى رشإ يغنيه عن كُحله ما فيه من كَحَل
فالبدرُ من حسنه قد راح ذا كلَفٍ والوردُ من خده قد راح في خجل
تشاغَلَ الناسُ في الأسمار بي وبه وإنني عن حديثِ الناسِ في شُغُل

وقال أيضاً في مليح اسمه سالم :

وأهيفَ تهفو نحو بانة قدّه قلوبٌ تبثُّ الشجوَ فهي حمائمُ
عجبتُ له إذ دام توريدُ خده وما الوردُ في حالٍ على الغصن دائم
وأعجبُ من ذا أن حية شَعره تَجُولُ على أعطافه وهو سالم

ومن شعره قصيدة بديعة في معناها[1] وهي :

ما ملتُ عنكَ لجفوة وملالِ يوماً ، ولا خطر السلو ببالي
يا مانحاً جسمي السقامَ ومانعاً طرفي المنامَ وتاركي كالآل
عمن أخذت جواز[2] منعيَ ريقك الـ معسول يا ذا المعطف العسّال
عن شعركَ الفحام أم عن ثغرك الـ نظام أم عن طرفك الغزّالي
فأجابني : أنا مالكٌ أهلَ الهوى والحسن أضحى شافعي وجمالي
وشقائقُ النعمان أضحى نابتاً في وجنتي وحماه رَشق نبالي
والصبر أجمل للمحبِّ إذا ابتلي في الحب من محن الهوى بسؤال
وعلى أسارى [الحب][3] في سجن الهوى بين الملاح عرفت بالقفّال

---

١ الوافي : والناس ينسبون ذلك إلى محيي الدين ابن عبد الظاهر .
٢ ص : جوار .   ٣ زيادة من الوافي .

وقتلت معتزليَّ في شرع الهوى وطرقت بالتنبيه عين السالي
وتفقه العشاقُ فيّ فكلٌّ مَنْ نقلَ الصحيح أجزته بوصالي
والجوهريُّ غدا بثغري ساكنا يحمي الصحاحَ بقدّيَ الميال
وشهود حسني [1] لو نظرت إليهمُ بين الأنام عجبت من أفعالي
جرح البكاءُ عيونهم وقلوبهم وزكوا لقذف الدمعِ في الأطلال
والشاهدُ المجروح عندي صادقٌ هل في قضاةِ العاشقين مثالي
وعلى رحيق الثغر صارمُ مقلتي ولَّيته ولكلِّ ثغرٍ والي
وعلى مقاماتِ الغرام شواهدٌ جسمي الحريري والبديعُ مقالي
ولبستُ من حلل الجمال مفصَّلاً حسنَ الملابس مذهب [2] الغزالي
ولحسنيَ الكشافُ في جمل الضيا لمعاً لإيضاح الفصيح مقالي
وأتى المطرز نحو خدّي راقماً طرز العذار وحار في أشكالي
والواقديُّ بنار هجري والجفا وكّلته فلكل سالٍ صالي
وبلفظيَ الفراء يفري قلبَ من وافى بناظر ناظري بنصال
ومصارعُ العشاق بين خيامنا ومقاتلُ الفرسانِ يومَ نزال
ورفضت يوم العاشقين فكلّ من ذكر الفراق فدمعه متوال
ولديَّ سلوانُ المطاع سفاهةً لمتيمٍ أوثقته بحبالي
وخصصتُ إخوانَ الصفا برسائلي ولهم صفا ودّي وهم آمالي
والبيهقيُّ بوجه كلّ معنف في موقف التوديع والترحال
وبوجهيَ النقاشُ زاح مفسراً سورَ الملاحةِ من دليلِ دلالي
ورقيبيَ الكلبيُّ قد أخسأته بوقوفه في باب ذل سؤال
[ومجاهد أضحى عليّ مقاتلاً خوفاً من الرقباء والعذال] [3]

١ ص : حسي .
٢ الوافي : مدهش .
٣ ما بين معقفين زيادة من الوافي ، لم يرد في س وهو في المطبوعة .

[وأبو نعيم منعمٌ في حليتي إذ بات يمليها على النقال]
ومحاسني قوتُ القلوب تكرّما ومناقب الأبرار حسن فعالي
[وبطلعتي [1] زاد المسير ومتبسمي الـ ضحاك والمنثور حسن لآلي]
وبخدّيَ الزهريّ جنات المنى أضحى بها الثوريّ من عمالي
وبمنطقي قسّ الفصاحة واعظٌ في فترةِ الأجفانِ للضلاّل
وقميصُ حسني قدّ من قُبُل الهوى بيدي اليمين وتارة بشمالي
والثعلبيّ رأى الوجوهَ بجهده وحلا له في النقل وجه الحالي
[وعلى أبي الجود اشتغلتُ ونافع علمي كثير عاصم متوالي] [2]
ولحسنيَ الأنساب يرويها عن الـ عدل الزكيّ بصنحةِ النقال
فيراه للتمييز نصباً واجباً ورفعتُ عنه الهجر من أفعالي
وليَ الخلافةُ في الملاح فلحظي الس فاح والمنصورُ في أقوالي
وعلى محـلي بالجمال رواية في رايةٍ نشرت ليومِ جدال
ومدينةُ العلم السخاوي أصبحتْ في راحتي فعرفت بالبذال
قال [3] الأوائل ما رأينا مثله غصنٌ رطيبٌ مثمر بهلال
قد عمه الحسن الغريبُ وخالُه ما في البرية منه قلبٌ خال
فوصلتُ عشاقي فلام معنفي فأجبته هذا الذي يبقى لي
القومُ أبناء السبيل وعندنا تعطى زكاةُ الحسنِ كالأموال
قد طال ما نقلوا حديث محاسني فهمُ عدولي صحةً ورجالي
هذي القصيدة بالأئمة شرفت قدري وفُقْتُ بها على أمثالي
فكأنها العقد النظيم وهم بها الـ ـدرّ الثمين [4] مكلّلاً [5] بلآلي

....

١ الوافي : وتطلعي .
٢ لم يرد هذا البيت في ص والوافي ، وانما هو مما ثبت في المطبوعة .
٣ ص : قالوا .
٤ الوافي : الثمين . . . . النظيم .
٥ ص : فكلا .

٤٩٩
أمير المؤمنين الأمين

محمد بن هارون ، أمير المؤمنين الأمين ابن أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي ؛ كان ولي العهد بعد أبيه ، وكان من أحسن الشباب صورة ، أبيض طويلاً ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة وفصاحة وأدب وبلاغة ، ولكنه كان سيء الرأي ، كثير التبذير أرعن ؛ عاش سبعاً وعشرين سنة ، وآخر أمره خلع ثم أسر ، وقتل صبراً في المحرّم سنة تسع وتسعين ومائة ، وطيف برأسه ، لأنه في سنة خمس وتسعين خلع أخاه[1] المأمون وعقد لعليّ ابن عيسى بن ماهان على الجبال ونهاوند وقم وقاشان ، وأمر له بمائتي دينار ، وأعطى لجنده مالاً عظيماً ، وفرّق على أهل بغداد ثلاثة آلاف [ألف][2] درهم ، وسارت العساكر للتقى المأمون وعليهم ابن ماهان ، فلقيهم طاهر بن الحسين من قبل المأمون ، وهو في أقل من أربعة آلاف فارس ، فكسرهم وقتل ابن ماهان . ولما وصل الخبر إلى الأمين قال : دعوني فإن كوثر الخادم صاد سمكتين وأنا [ما صدت] سمكة[3] .

وقيل إنّ جيش ابن ماهان كان أربعين ألف فارس . وندم الأمين

....

٤٩٩ – الوافي ٥ : ١٣٥ وتاريخ بغداد ٣ : ٣٣٦ ومعجم المرزباني : ٣٦٢ والروحي : ٤٩ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٣٣ وتاريخ الخلفاء : ٢٩٦ والفخري : ١٦١ وخلاصة الذهب المسبوك : ٩٠ والمصادر التاريخية الكبرى : كالمسعودي واليعقوبي والطبري وابن الأثير وابن خلدون ... الخ ؛ وقد وردت هذه الترجمة كاملة في المطبوعة .

١ ص : أخيه .

٢ سقطت من ص .

٣ الوافي : وأنا إلى الآن ما صدت شيئاً .

على خلع المأمون ، ثم جهز عبد الرحمن بن جَبَلَة الأنباري في أربعين ألف فارس ، فسار إلى هَمَذان فلقيه طاهر فقتله وكسر جيشه بعد حروب عظيمة، وسار طاهر وقد خلت البلاد وتقدّم إلى الأهواز ، ثم تقدّم ونزل بباب الأنبار ، ثم سار وأحاط بمدينة المنصور ، فخرج الأمين في حرّاقة هارباً ، فلما سمع طاهر بذلك خرج إليه ورماه بالنشاب فانكفأت الحرّاقة وغرق الأمين ومَن كان معه ، فَسَبَح حتى صار إلى بستان موسى ، فعرفه محمد ابن حميد ، فصاح بأصحابه ، ثم أخذ برجله ، وحمل على برذون إلى بين يدي طاهر ، فأمر بقتله وقطع رأسه ونصبه على حائط بستان ، ونودي عليه : هذا رأس محمد المخلوع ، ثم بعث به وبالبردة والقضيب والمصلّى مع ابن عمه محمد بن المصعب إلى المأمون ، وقال : قد بعثت إليك بالدنيا وهو رأس محمد الأمين وبالآخرة وهي البردة والقضيب ، فأمر المأمون لمحمد بن مصعب بألف ألف درهم ، ولما رأى رأس الأمين سجد .

وكان قتله سنة تسع [1] وتسعين ومائة ، وخلافته أربع سنين ، وكان الرشيد يعرف بالفراسة ما يجري بين الأمين والمأمون ، فكان ينشد :

محمدُ لا تُبْغِضْ أخاك فإنه ... يعودُ عليك البَغيُ إن كنت باغيا
فلا تعجلنْ فالدهر فيه كفاية ... إذا مال بالأقوام لم يُبْقِ باقيا

وفي الأمين يقول أبو الهول الحميري :

ملك أبوه وأمه من نَبعَةٍ ... منها سراجُ الأمَّةِ الوهاجُ
شربوا بمكة في ذُرَى بطحائها ... ماء النبوّة ليس فيه مزاج

يريد أن أباه وأمه من هاشمٍ .

ومن شعر الأمين :

---

[1] ص : سبع .

ما يريد الناس من صـ ـبّ بمن يهوى كئيبِ
كوثرٌ ديني ودنيا يَ وسقمي وطبيبي
أحمقُ الناس الذي يلـ ـحى محبّاً[1] في حبيب

٥٠٠
أمير المؤمنين المعتصم

محمد بن هارون ، أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد ؛ ولد سنة ثمانين ومائة ، وأمه أمّ ولد اسمها ماردة ، بويع بعد المأمون بعهد منه إليه في رابع عشر رجب سنة ثمان عشرةَ ومائتين .

وكان أبيض أصهب اللحية طويلها ربع القامة ، ذا شجاعة وقوة وهمة عالية ؛ وكان يقال له « المثمن » لأنه ثامن خلفاء بني العباس ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر ، وفتح ثمانية[2] فتوح ، وقتل ثمانية أعداء : بابك وباطيش ومازيّار والأفشين وعجيف وقاروت[3] وقائد الرافضة ورئيس الزنادقة . وخلّف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار ، ومن الدراهم مثلها . ومن الخيل ثمانين ألف فرس . وثمانية آلاف مملوك ، وثمانية آلاف جارية ، وبنى ثمانية[2] قصور .

١ ص : محب .

٥٠٠ — الوافي ٥ : ١٣٩ وتاريخ بغداد ٣ : ١٩٧ والبدء والتاريخ ٦ : ١١٤ والفخري : ٢٠٩ والروحي : ٥٢ وتاريخ الخلفاء : ٣٦٠ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٢١ والمصادر التاريخية الكبرى (انظر الترجمة السابقة) ؛ وهذه الترجمة كاملة في المطبوعة .

٢ ص : ثمان .

٣ الوافي : وقارون .

وكان عرياً من العلم ، كان معه مملوك يتعلم في الكتاب ، فقال له أبوه : مات يا محمد غلامك ، فقال : نعم واستراح من الكتاب ، فقال له أبوه : إن كان الكُتّاب ليبلغ منك هذا ، دعوه ولا تعلموه .

وغزا عمُّوريّة وفتحها وقتل ثلاثين ألفاً وسبى مثلهم . وكان من أهيب الخلفاء ، وامتَحَنَ العلماء في القول بخلق القرآن .

وقال أحمد بن أبي دُوَاد : كان المعتصم يخرج يده إليَّ ويقول : عضَّ ساعدي بأكبر قوتك ، فأقول : ما تطيب نفسي ، فيقول : إنه لا يضرني ، فأروم ذلك ، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنان . وقبض يوماً على جندي أخذ ابناً لامرأة فأمره برده فأبى ، فقبض عليه ، فسمعت صوت عظامه ، ثم أطلقه فسقط ، وكان ذلك في حياة المأمون . وجعل زند رجل بين إصبعيه فكسره .

وكان موته في شهور سنة سبع وعشرين ومائتين ، وصلى عليه ابنه الواثق .

ولكثرة عسكره وضيقِ بغداد عليه بنى سامرا وانتقل إليها بعسكره ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وعلق له خمسون ألف مخلاة ، ولما احتضر قال : ذهبت الحيلة ، ولم يزل يكررها حتى صمت ؛ رحمه الله تعالى .

ومن شعره ما أورده ابن المرزبان في « المعجم »[1] :

قَرِّبِ النحّام واعجلْ يا غلامْ واطرح السرجَ عليه واللجامْ
أعلم الأتراك أني خائضٌ لُجّةَ الموتِ فمن شاء أقامْ

وقال :

لم يزل بابكُ حتى صار للعالم عبرهْ

١ انظر معجم المرزباني : ٣٦٤ ويروى البيتان الأولان لغيره .

ركب الفيلَ ومن ير   كَبُ فيلاً فهو شهره

وقال في غلامه عجيب :

إني هَويتُ عجيباً   هَوًى أراه عجيبا
طبيب ما بي من الحـ   ـب لا عدمْتُ الطبيبا
الوجه منه كبدر   والقدُّ يحكي القضيبا

٥٠١

أمير المؤمنين المهتدي

محمد بن هارون ، أمير المؤمنين الخليفة الصالح المهتدي ابن الواثق ابن المعتصم ابن الرشيد ؛ ولد في خلافة جدّه سنة بضع[١] عشرة ومائتين ، وبويع له بالخلافة وله بضع وثلاثون[٢] سنة . وكان أسمر رقيقاً مليح الوجه ، ورعاً متعبداً عادلاً قوياً في أمر الله ، بطلاً شجاعاً ، لكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً على الخير .

وكان يلبس في الليل جبة صوف وكساء ويصلي فيهما ، ويفطر في رمضان على خبز وملح وزيت وخل ، ويقول : فكرت بأنه كان في بني أمية عمر ابن عبد العزيز — وكان من التقلل والتقشف على ما بلغنا — فغِرْتُ على بني هاشم ، وأخذت نفسي بذلك . وكان قد اطرح الملاهي وحرّم الغناء وحسم

---

٥٠١ — الوافي ٥ : ١٤٤ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٤١ وتاريخ بغداد ٣ : ٣٤٧ ومعجم المرزباني : ٤٠١ والروحي : ٥٧ والفخري : ٢٢٢ وتاريخ الخلفاء : ٣٨٩ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٣١ وانظر أيضاً المسعودي واليعقوبي . . . الخ ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المطبوعة .

١ ص : بضعة .

٢ ص : وثلاثين .

أصحاب السلطان عن الظلم ، وكان شديد [الاشراف][1]على الدواوين فخرجوا عليه الأتراك فحاربهم بنفسه ، وجرح فأسروه وخلعوه وقتلوه سنةست وخمسين ومائتين .

قال العمراني : إن الأتراك عَصروا خصاه حتى مات وبايعوا أحمد بن المتوكل ولقبوه المعتمد على الله ، وذلك في سادس عشر رجب سنة ست وخمسين ، وكانت خلافة المهتدي سنة إلا خمسة[2] عشر يوماً .

جلس يوماً للمظالم فاستعداه[3] رجل على ابن له ، فأحضره وحكم عليه وردّ الحق للرجل ، فقال الرجل : أنت والله يا أمير المؤمنين كما قال الأعشى :

حكمتموه فقضى بينكم أبلَجُ مثلُ القمرِ الزاهرِ
لا يَقبَلُ الرِّشْوَةَ في حكمه ولا يبالي غَبَنَ الخاسر

فقال المهتدي : أما أنت فجزاك الله خيراً ، وأما أنا فإني والله ما جلست حتى قرأت قوله تعالى : ﴿ونضعُ الموازينَ القسطَ ليومِ القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين﴾ (الانبياء : ٤٧) قال الإسكافي : فما رأيت باكياً أكثر من ذلك اليوم .

ومدحه البحتري بقصيدة منها[4] :

هجرتَ الملاهي خشيةً وتفرّداً بآيات ذكر الله يتلى حكيمها
وما تحسن الدنيا إذا هي لم تُعَنْ بآخرةٍ حسناء يبقى نعيمها

وخلف من الولد سبعة عشر ذكراً وست بنات ، وأولاده أعيان أهل بغداد ، وهم الخطباء بالجوامع والعدول ، ولم يبق ببغداد أكثر من ولده .

---

١ زيادة من الوافي .
٢ ص : خمس .
٣ ص : فاستعدى .
٤ ديوان البحتري : ٢٠٢٥ وما بعدها .

٥٠٢
الخالدي الشاعر

محمد بن هاشم بن وعلة بن عثمان بن بلال الخالدي — مضى ذكر أخيه سعيد في حرف السين — ؛ كانا شاعرين اشتركا في كثير من الشعر ونسب إليهما معاً ، وكلاهما من خواصّ سيف الدولة بن حمدان .

والخالدية : قرية من قرى الموصل .

توفي سنة ثمانين وثلثمائة تقريباً .

وكانا خزنةَ كتب سيف الدولة ، وقد اختارا من الدواوين كثيراً ، وجمعا مجاميع أدبية ؛ ومن شعر محمد المذكور من أبيات[1] :

وصبغ شقائقِ النعمان يحكي ... يواقيتاً نظمن على اقترانِ
وأحياناً نشبهها خدوداً ... كستها الراحُ ثوباً أرجواني
شقائقُ مثلُ أقداحٍ ملاءٍ ... وخشخاشٍ كفارغةِ القناني
وإما غازَلَتْها الريح خِلنا ... بها جَيْشَيْ وَغىً يتقاتلان
تخالُ به ثغوراً باسماتٍ ... إذا ما افترَّ نَوْرُ الأقحوان
وآذريونُهُ قد شبهوه ... بتشبيهٍ صحيح في المعاني
بكأسٍ من عقيقٍ فيه مسك ... وهذا الحقُّ أيّد بالبيان[2]

---

٥٠٢ — الوافي ٥ : ١٤٩ والزركشي : ٣١٠ واليتيمة ٢ : ١٨٣ ، وانظر سائر المصادر المذكورة في ترجمة أخيه « سعيد بن هاشم » ؛ والترجمة مستوفاة في المطبوعة .

١ ديوان الخالديين : ٩٩ .

٢ ص : بالبنان .

٥٠٣

أبو الوليد ابن حزم

محمد بن يحيى بن حزم من شعراء « الذخيرة »؛ قال ابن بسام: أحلى الناس شعراً ، لا سيما إذا عاتب أو عتب ، وهو ابن عم الفقيه أبي[1] محمد بن حزم، وكنيته أبو الوليد . ومن شعره :

أتجزعُ من دمعي وأنت أسَلْتَهُ ... ومن نارِ أحشائي ومنك لهيبُها
وتزعم أن النفسَ غيرَكَ عُلِّقت ... وأنت ، ولا منٌّ عليك ، حبيبها
إذا طلعت شمسٌ عليك بسلوةٍ ... أثار الهوى بين الضلوعِ غروبها

ومن شعره من قصيدة :

والشمسُ ترمقُ من محاجر أرمدٍ ... والظلُّ يركضُ في النسيم الواني
والراحُ تأخذُ من معاطفِ أغيدٍ ... أخذَ الصّبا من عطف غصنِ البان
ملنا نؤمّل غيرَ ذلك منزلاً ... والراحُ يقصر خطوه فيداني
ثم اعتنقنا والوشاةُ بمعزلٍ ... وقد التقت في جفنه سِنتان
والبدرُ يرميني بمقلةِ حاسدٍ ... لو يستطيع لكان حيثُ يراني

وله أيضاً :

وكم ليلةٍ عاقَرْتُ[2] في ظلِّها المنى ... وقد طرفت من أعينِ الرقباء
وفي ساعديّ حلو الشمائل مترفٌ ... لعوبٌ بيأسي تارة ورجائي

---

٥٠٣ – الوافي ٥ : ١٩٤ والذخيرة (القسم الثاني) : ٢٣٦ والزركشي : ٣١١ ؛ والترجمة مستوفاة في المطبوعة .

١ ص : أبو .

٢ الوافي : ظافرت .

أطارحه حلوَ العتابِ وربما تَغاضبَ فاسترضيته ببكائي
وفي لفظه من سَوْرةِ الراح فَتْرَةٌ تمت إلى ألحاظه بولاء[1]
وقد عابثته الراحُ حتى رمتْ به لقىً بين ثِنْيَيْ بردتي وردائي
على حاجةٍ في النفس لو شئت نلتها ولكن حمتني عفتي وحيائي

وقال أيضاً :

وكم ليلةٍ بات[2] الهوى يستفزني ولا رقبةٌ دون الأماني ولا سترُ
وفي ساعدي بدرٌ على غصنِ بانة يود مكاني بين لبّاتِه البدر
وفي لحظه كالسكرِ لا عن مدامةٍ ولولا اعتراضُ الشكّ قلتُ هو السكر
فلم يكُ إلاّ ما أباح ليَ التقى ولم يبقَ إلا أن تحلّ ليَ الخمر

وقال أيضاً :

كم ليلةٍ ضمت عليه ساعدي والمسكُ يأخذ منه ما يعطيه
والبدرُ من حسدٍ يجمجم قوله ما ضرَّ مجدك لو شركتكَ فيه

توفي بعد الخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٥٠٤
مجير الدين ابن تميم

محمد بن يعقوب بن علي ، مجير الدين ابن تميم الإسعردي ، وهو سبط

---

١ ص : بولائي .
٢ الذخيرة : كاد .
٥٠٤ – الوافي ٥ : ٢٢٨ والزركشي : ٣١١ والشذرات ٥ : ٣٨٩ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٧ والترجمة كاملة في المطبوعة .

فخر الدين ابن تميم ؛ سكن حماة وخدم الملكَ المنصور ، وكان جندياً محتشماً شجاعاً مطبوعاً كريم الأخلاق ، بديع النظم رقيقه لطيف التخيل . توفي بحماة سنة أربع وثمانين وستمائة .

وهو في التضمين الذي عاناه في فضلاء المتأخرين آية ، وفي صحة المعاني والذوق اللطيف غاية ؛ لأنه يأخذ المعنى الأول ويحل تركيبه ، وينقله بألفاظه إلى معنى ثاني ، حتى كأنَّ الناظم الأول إنما أراد به المعنى الثاني ، وقد أكثر من ذلك حتى قال :

أطالعُ كلَّ ديوانٍ أراه ولم أزْجُرْ عن التضمين طيري
أضمّنُ كلَّ بيتٍ فيه معنًى فشعري نصفه من شعر غيري

ومنه قوله يرثي قدحاً :

أيا قدحاً قد صَدَّع الدهرُ شمله فأصبح بعد الراح قد جاور الّتربا
سأبكيك في وقت الصَّبوح وإنني سأكثر في وقت الغَبوق لك الندبا
وإن قَطّبت شمسُ المدام فحقُّها « لأنك كنتَ الشرق للشمسِ والغربا »

ومنه :

أهديته قدحاً فإن أنصفته أوسعته بجماله تقبيلا
نَظَمَتْ به الصهباءُ دُرَّ حبابها « حتى تصيرَ لرأسه إكليلا »

ومنه قوله :

لَوَ انّكَ إذ شربناها كؤوساً ملئن من المدام الأرجواني
حسبت سُقاتها دارتْ علينا « بأشربةٍ وقَفْنَ بلا أواني »

ومنه قوله أيضاً :

إن كان راووقُ المدامةِ عندما تاب[1] الأمير بكى بدمع قاني

[1] الواني : مات .

فاليوم ينشد وهو يبكي عند ما	شربَ المدامةَ من يد السلطان
« يا عينُ صار الدمعُ عندك عادةً	تبكين في فرَحٍ وفي أحزان »

ومنه قوله :

قالوا فلانٌ تولّى نتف عارضه	ليصبح الحسنُ عنه غيرَ منتقلِ
فقلت سَدٌّ طريقِ الشّعر يعجزه	« ومن يسدُّ طريقَ العارض الهطل »

وقال يهجو كحالا :

دَعوا الشمس من كحل العيون فكفه	تسوق إلى الطرفِ الصحيح الدواهيا
فكم ذهبتْ من ناظرٍ بسواده	« وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا »

وقال أيضاً :

لو كنت في الحمام والحنّا على	أعطافه وبجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامةٍ	« سال النضارُ بها وقام الماء »

وقال في مليح كان عند خصيّ فانتقل إلى غيره :

يقول ويبدي للخصيّ اعتذاره	برغبته في غيره واجتنابِه
رأيتك مخصياً فملتُ إلى الذي	« له فضلةٌ عن جسمه في إهابه »

وقال في فَوّارة :

لقد نزهتْ عيني أنابيبُ[1] بركةٍ	تقابلني أمواجها بالعجائبِ
أنابيبُ لجتْ في علوٍّ كأنما	«تحاول ثأراً عند بعض الكواكب »

وقال في عَوّادة :

جاءت بعودٍ كلما لعبت به	لعبتْ بيَ الأشجان والتبريحُ
« غنت فجاوبها ولم يك قبلها	شجر الأراك مع الحمام ينوح »

---

١ ص : في أنابيب .

وقال :

يا ليلةً قصُرَت بزوْرَةِ غادةٍ ... سفرت فأغنى وجهها عن بدرِها
حتّى إذا خافت هجوم صباحِها ... « نشرت ثلاث ذوائب من شعرها »

وقال أيضاً :

وأهيفَ مثل البدرِ غصنٌ قوامه ... عليه قلوبُ العاشقين تطيرُ
يدورُ عذاراهُ لتقبيلِ وجنةٍ ... « على مثلها كان الحصيبُ يدور »

وقال أيضاً :

ولم أنسَ قولَ الورد والنار قد سطتْ ... عليه فأمسى دمعـه يتحدَّرُ
« ترفق فما هذي دموعي الّتي ترى ... ولكنها روحي تذوب فتقطر »

وقال في جارية تحمل فانوساً :

يقولُ لها الفانوسُ لما بدت له ... وفي قلبه نارٌ من الوجد تسعرُ
« خذي بيدي ثم اكشفي الثوبَ وانظُري ... ضنى جسدي لكنني أتستّر »

وقال في مليح يشرب من بركة :

أفدي الذي أهوى بفيه شارباً ... من بركة راقتْ وطابتْ مشرَعا
أبدت لعيني وجهه وخياله ... « فأرتنيَ القمرين في وقت معا »

وقال أيضاً :

طوبى لمرآةِ الحبيب فإنها ... حملت براحةِ غصن بانٍ أينعا
« واستقبلتْ قمر السماء بوجهها ... فأرتنيَ القمرين في وقت معا »

وقال أيضاً :

وليلةٍ بتّ أُسقى في غياهبها ... راحاً تسلُّ شبابي من يد الهرمِ
ما زلت أشربها حتّى نظرت إلى ... غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقال أيضاً :

ألا ربَّ يومٍ [1] قد تقضّى ببركة أقمت به فيما جرى متفكرا
بعيني رأيت الماءَ فيها وقد هوى على رأسه من شاهقٍ فتكسرا

وقال أيضاً :

تأمل إلى الدولابِ والنهرِ إذ جرى ودمعُهما بين الرياض غزيرُ
كأن نسيمَ الروضِ قد ضاع منهما فأصبحَ ذا يبكي [2] وذاك يدور

وقال أيضاً :

ونهرٍ حالفَ الأهواء حتى غدا طوعاً لها في كل أمرِ
إذا سرقتْ حلى الأغصان ألقت إليه بها فيأخذها ويجري

وقال أيضاً :

لم أنسَ قولَ الورد حين جنيتُهُ ودموعُه خوفَ الحريقِ تُراقُ
لا تعجلوا في أخذ روحي واصبروا « فإليكم هذا الحديثُ يساق »

وقال أيضاً :

سيقتْ إليك من الحديقة وردةٌ وَافتْكَ قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك إذ رأتك فجمّعتْ « فمها إليك كطالبٍ تقبيلا »

وقال أيضاً :

كيف السبيلُ للثم مَن أحببته في روضةٍ للزهر فيها مَعركُ
ما بين منثورٍ وناضرِ نرجس مع أقحوانٍ وصفُه لا يُدرك
هذا يشيرُ بإصبعٍ وعيونُ ذا ترنو إليه وثغرُ هذا يضحك

---

١ ص : يوماً .

٢ الوافي : يجري .

وقال أيضاً :

أيا حسنها من روضة ضاع نشرُها فنادتْ عليه في الرياض طيورُ
ودولابها كادت تُعَدّ ضلوعه لكثرة ما يبكي بها ويدور

وقال أيضاً :

لو كنت تشهدني وقد حميَ الوغى في موقفٍ ما الموتُ عنه بمَعزِلِ
لترى أنابيبَ القناة على يدي تجري دماً من تحت ظلٍّ القسطل

وقال أيضاً :

راقبتُ غفوةَ مَن أحبُّ ولم أكنْ أدري بأن الريح من رقبائه
حتى هممت بأن أقبل خده هبّتْ وغطتْ وجهه بقبائه[1]

وقال في بستانه :

ليَ بستانٌ كبيرُ نَجْده أصبحَ غورا
دارتِ الأيام حتى كبشُه قد صار ثورا

وقال أيضاً :

زار الحمى فتعطرتْ أنفاسه شغفاً بمن تصبو إليه الأنفسُ
وأحبّ رؤيته فأنبت نرجساً إن الرياضَ عيونهن النرجس

وقال أيضاً :

قالوا رأيناك كلَّ وقت[2] تهيمُ بالشرب والغناء
فقلتُ إني فتًى قنوعٌ أعيش بالماء والهواء

وقال أيضاً :

---

١ ص : بفنائه .
٢ ص : قالوا رأينا في كل ، والتصويب من هامش النسخة .

لو كان فيضُ الدمع يَرْجع مَن نأى عني بكيتُ بسائرِ الأعضاء
قلبي له قبر وتلك عجيبة أن تقبرَ الأمواتُ في الأحياء

وقال وقد اجتاز ليلة بدار بعض أصحابه ومعه شمعة فطفئت ، وأوقدها من داره :

يا أيها المولى الشريف ومَنْ له فضلٌ يفوقُ به على أهل الأدبْ
لما أزرتك شمعتي لتنيرها جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
وافته حاسرةً فقبل رأسها وأعادها تحوي بتاجٍ من ذهب

وقال أيضاً :

إن تاه ثغرُ الأقاحي في تشبهه بثغر حِبِّيَ واستولى به الطربُ
فقلْ له عندَ ما يحكيه مبتسماً « لقد حكيتَ ولكن فاتك الشنب »

وقال في مليح يطيل حمل الكأس :

قالوا الذي تهواه يحبسُ كاسه في كفه من غير ذنبٍ موجبِ
فأجبتهم كفوا الملامَ فإنه قمرٌ ينزه طرفَهُ في كوكب

وقال أيضاً :

تركت بمصرٍ يوسفاً وَهْوَ أمردٌ وقلت لخلٍّ قاصدٍ مصرَ يا فتى
لك الحمدُ بالرحمن عرِّجْ بيوسفٍ لتخبرني عن نملِ خديه هل أتى

وقال يفاخر بين السماء والأرض :

يا جاعلَ الأفق مثلَ الأرضِ حجته بالشمس إذ بزغت والبدر حين وَضَحْ
كم من شموسٍ وأقمارٍ إذا سرحتْ في الأرض طرتُ إليها خفةً وفرح
فلا تقل قزحٌ[1] في الجوِّ زينه في كلِّ غصنٍ ترى في الأرض قوس قزح

---

١ ص : قزحاً .

وقال في مليح ينظر في المرآة :

وأهيفَ ظلَّ بالمرآة مُغْرًى ... يواظبُ رؤيةَ الوجه المليحِ
يقول طلبتُ معشوقاً جميلاً ... فلما لم أجده عشقتُ روحي

وقال في رثاء مليح :

وكم ساعدتني مذ دفنتُ قوامه ... حمامةُ أيْكٍ بالغرام تبوحُ
فكنتُ وإياها لأجلِ قوامه ... كلانا على الغصن الرطيبِ ينوح

وقال يهجو :

أنت بين اثنتين يا نجلَ داو ... دَ وكلتاهما مَقَرُّ السياده
ليس تنفكّ راكباً أيرَ عبدٍ ... مُسبَطراً أو حاملاً خُفَّ غاده
أيٌّ ماء لحرّ وجهك يبقى ... بين ذل البغا وذل القياده ؟

وقال أيضاً :

لمن أبوحُ بشعري حين أنظمه ... أم من أخُصُّ بما فيه من الزبدِ
إمّا جهولٌ فلا يدري مَوَاقعه ... أو فاضلٌ فَهو لا يخلو من الحسد

وقال أيضاً :

حاذر أصابعَ مَنْ ظلمت فإنه ... يدعو بقلبٍ في الدجى مكسورِ
فالوردُ ما ألقاه في جمر الغضا ... إلا الدعا بأصابع المنثور

وقال أيضاً :

رعى الله وادي النيربين فإنني ... قطعتُ به يوماً لذيذاً من العمرِ
دَرَى أنني قد جئته متنزهاً ... فمدَّ لأقدامي بساطاً من الزهر
وأخدَمَنِي الماءَ الزلالَ فحيثما الـ ... تفتُّ رأيتُ الماء في خدمتي يجري

وقال أيضاً :

مذ لاحظَ المنثورُ طرفَ النرجس الـ ـمزورّ قال وقَوْلُه لا يُدْفَعُ
فتّحْ عيونَكَ في سواي فإنما عندي قبالةَ كلِّ عينٍ إصبع

وقال :

ومدامـةٍ كاساتُها تعطي الأمانَ من الزمانِ
قد أحكّمتْ علمَ النجو م وأتقنتْ سحر البيان
فإذا حساها الشاربو نَ وأوقعتهم في الأماني
بدأتْ بإخراجِ الضمـ يرِ وبعده عقد اللسان

٥٠٥
التلعفري الشاعر

محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة ، الأديب البارع شهاب الدين الشيباني التَّلَّعْفَري ، الشاعر المشهور ؛ وُلِدَ بالموصل سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، واشتغل بالأدب ، ومدح الملوك والأعيان ، وكان خليعاً معاشراً امتُحن بالقمار . وكلما أعطاه الملك الأشرف شيئاً قامر به ، فطرده إلى حلب ، فمدح العزيز فأحسن إليه وقرر له رسوماً ، فسلك معه ذلك المسلك . فنودي في حلب : أي من قامر مع الشهاب التلعفري قطعت يده ، فضاقت عليه الأرض فجاء إلى دمشق . ولم يزل يستجدي ويقامر حتى بقي في أتون حمام ، وفي الآخر نادم صاحب حماةَ . توفي سنة خمس وسبعين وستمائة .

٥٠٥ — الوافي ٥ : ٢٥٥ والزركلي : ٣١٣ والبدر السافر : ١٧٧ (وقال : كنيته أبو المكارم وفي مصادر أخرى : أبو عبد الله) . وابن الشعار ٧ : ٢١ وابن خلكان ٧ : ٤٠ ، ٤٥ ، وتاريخ ابن الفرات ٧ : ٧٦ والشذرات ٥ : ٣٤٩ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٥٥ ، وقد طبع ديوانه ببيروت سنة ١٩١٠ ، واستوفت المطبوعة هذه الترجمة .

ومن شعره[1] :

أقلعتُ إلا عن العُقارِ وتبتُ إلا من القمارِ
فالكاس والفصّ ليس يخلو منهم يميني ولا يساري

وقال الشيخ شهاب الدين ابن غانم رحمه الله تعالى : أنشدني التلعفري لنفسه[2] :

جريتُ بحمراءِ الكميت إلى الشقرا مقر الهوى حُسناً وأعرضت عن مُقْرى[3]
ولم أخْلِ بالخلخال من كأسها يدي وأثبتُّ في تاريخ ما سرّني سطرا[4]
وأبصرت ما بين الميـادين سائلاً فلم أر إلا أن أقابله نهرا
ولاسيّما والروضُ من حوله له بساطٌ وقد مدَّ النسيمُ له نشرا
فللّه أيامٌ تولّتْ بجانِبَيْ يزيدَ[5] فقد كانت ببهجتها العمرا
وما كان مقصودي يزيد وبرده ولكنّ قصدي كان أن أنظر الزهرا

وقال أيضاً[6] :

أيطرقُ في الدجى منكم خيالُ وطرفي ساهر ؟ هذا محالُ
سَقَتْ أيامَنا بأراكِ حُزْوَى وهاتيك الربى سُحُبٌ ثقال
منازلُ للصِّبا ما زال شملي له فيها بمن أهوى اتصال
دموعي بعدها دال وميم على خدي له ميم ودال

وقال من أبيات[7] :

١ الديوان : ١٨ .
٢ الديوان : ١٨ .
٣ مقرى : من قرى دمشق .
٤ سطرا : من قرى دمشق ، وفيه هنا تورية .
٥ يزيد : نهر بدمشق .
٦ الديوان : ٣٥ . ٧ الديوان : ١٦ .

وإذا الثنيّةُ أشرقتْ وشممتَ من   أرجائها[1] أرجاً كنشر عبيرِ
سل هضبها المنصوبَ أين حديثُه[2] ال   مرفوعُ عن ذيلِ الصَّبا المجرور

وقال أيضاً[3] :

حَتَّام أرفُلُ في هواك وتغفلُ   وإلامَ أهزلُ من جفاك وتَهزِلُ
يا مُضرِماً في مهجتي بصدوده   حُرَقاً يكادُ لهنَّ يذبُلُ يَذْبُل
القلبُ دلَّ عليك أنك في الدجى   قمرُ السماءِ لأنه لك منزل
هبْ أن خدَّك قد أصيب بعارضٍ   ما بال صُدْغك راح وهو مسلسل
قسماً بحاجبك الذي لم ينعقدْ   إلا أراني السبيَ وهو محَلَّل
وبماء ثغرك من سلافةِ ريقةٍ   عذبتْ فقيل هيَ الرحيقُ السلسل
لولا مُقبَّلك المنظم عقده   ما بات من يهواك وهو مقبل
حزني وحزنك إن لغا مَنْ لامني   ونحوتَ هجري مجمَلٌ ومفصّل
لو كنتَ في شرعِ المحبة عادلاً   يا ظالمي ما كنت عني تعدل
يا آمري من نصحه بسُلُوه   إن السلو كما تقولُ لأجمل
لكن يعزّ خلاصُ قلبٍ متيمٍ   تركته أيدي الهجر وهو مبلبل
هيهات كلا لا نجاةَ لمن غدا   من جسمه في كل عضو مقتَل

وقال أيضاً

أرأيتَ غيرك يا حياةَ الأنفس   من يحرسُ الوردَ الجنيّ بنرجسِ
أم هل سمعتَ بشمس أفقٍ أشرقت   من قبل وجهك في ظلام الحندس
يا مَنْ يديرُ بمقلتيه ووجنتيـ   ـه وراحتيه لنا ثلاثةَ أكؤس

---

١ الوافي : نفس الحمى ؛ الديوان : وتيممت أرجاؤها .
٢ الوافي والديوان : حديثها .
٣ الديوان : ٣٦ .

ما زاغ عن نهج الصوابِ مشبّه ... منك الجبينَ بشمعةٍ في المجلس
أنسيتَ ليلتنا وقد أخذ الكرى ... بزمام هاتيك العيونِ النُّعَّسِ
إذ قلتُ أين الراحُ قلتَ مغالطاً ... يغنيك عنها رشفُ ثغري الألعَس
فضممتُ منك إليَّ غصناً لم يكن ... دونَ الغلائلِ بالخمائل مكتسي
يا حسنَها من ليلةٍ ما شانَها ... إلا تبلجُ صبحها المتنفس
فوّقتَ للرّقباءِ فيها أسهماً ... من مقلتيك لها حواجبكَ القِسي
[ما كنت أطمع قبلها في مثلها ... فأعَدتَني من مثلها لم أيأس][1]

وقال رحمه الله تعالى :

تولهي بكَ شيءٌ عنك غيرُ خفي ... فراقبِ الله في الهجران لي وخَفِ
واعدلْ عن الظلم واعدل في النفوس ولا ... تَجُرْ على المستهام المغرم الدنف
يا رائشاً أسهماً من لحظِ ناظره ... فوّقْ فغير فؤادي ليس من هَدَف
سبحان معطيك خصراً غيرَ مختصَرٍ ... لي في العذاب وعطفاً غير منعطف
إذا شكوتُ لترثي لي وترحم ما ... تراه من جسميَ المضنى ومن كلَفي
يردّني آيساً من ذاك عارضك اﻟ ... لاميّ والمنثني من قدِّك الألفي
أحبابنا بنواحي الغوطتين سقى ... ربوعكم وابلٌ من أدمعي الذرف
قد كنتُ قبل النوى أشكو الصدود فوا ... لهفي على الصدّ يومي ذا ويا أسفي
جادتك يا ساحَتَيْ جيرونَ سارية ... من السواري الثقالِ الوكّفِ الوطف
ولا تَعَدّاكَ يا باناسُ منهمرٌ ... يهمي على القصر والميدان والشرف
ملاعبٌ كم بها من شادنٍ غنجٍ ... حلو الشمائل معسولِ اللمى ترف
مُحَجّبٌ بالتجني والدلالِ رخيـ ... ـمُ اللفظ أحورُ مطبوعٌ على صَلَف
بخدّه كلّ ما بالوردِ من ضَرَجٍ ... وقدّه كلُّ ما بالبان من هَيَف

وقال أيضاً :

---

١ لم يرد في ص ، وهو ثابت في المطبوعة والزركشي .

يذكّرني برقُ الحمى المتألقُ   زماناً تولى بالحمى وهو مونقُ
ويرتاحُ قلبي للنسيم إذا سرى   ويطربني ذاك الحمامُ المطوّقُ
سقى بانةَ الجرعاءِ إن أخلف الحيا   وضنَّ حياً من عبرتي يتدفق
ولا حاد عن تلك المعاطفِ صَيِّبٌ   من المُزْنِ أو من مقلة الصبّ مغدق
منازلُ تصبيني إليها نُسَيمةٌ   لها أرجٌ أرجاؤها منه تعبق
عدمتُ عذولي كم يعنّفُ في الهوى   حليفَ غرام نال منه التشوّق
إذا لامني أنشدته متمثلاً   « بودّيَ لو يهوى العذولُ ويعشق »
كلفتُ بأحوى من بني التركِ أحورٍ   له غصنُ قدٍّ بالذوائبِ مورق
رشيقُ التثني والمعاطفِ ألعسُ الـ   ـمراشفِ يُصمي طرفه حين يرمق
حمى بحسام اللحظ خدّاً مورداً   غدتْ عنه أكمامُ الشقيق تشقق
له ناظر في ضمنه وهو أسود   عدوّ لأربابِ الصبابة أزرق

وقال أيضاً :

ألمَّ بي طيفُهُ إلمامَ مختلسِ   فأشرقتْ بسناهُ ظلمةُ الغَلَسِ
جلا على بُعدِهِ لي منه بدرَ دجًى   على قضيبٍ بغير الدلِّ لم يمِس
طيفٌ غنيتُ به عن شَيم بارقةٍ   وعن تلقي صباً مسكيةِ النفس
أراحنّي من مواعيدٍ مزخرفة   أجريتُ منهن آمالي على يَبَس
فبتُّ في نعمةٍ لليل سابغةٍ   ممتعاً باللمى والثغر واللعَس
أردِّدُ الطرفَ في خد نَضارته   وقفٌ على مُستَقٍ منها ومقتبس
خدٌّ متى قلتُ إن الوردَ يشبهه   قال الجمالُ تأملْ ذا وذا وقس
شققتُ أكمامَ صونٍ عن شقائقه   بالرغم من نرجسٍ في الأعين النعس
فيا لها زورةً ما كان لي طمع   فيها لعلمي بخلق الزائر الشرس
بات الغرامُ بها في مأتمٍ وأنا   بمنةٍ عظمتْ للطيفِ في عُرُس
وافى بمن لم أخَلْ أني أفوز به   لما على طرفه دوني من الحرس

فلا عدمتُ الكرى من محسن أخذَ الأيمان بالأنس لي ممن إليَّ يُسي

وقال من أبيات ، رحمه الله تعالى[1] :

في ثغره والقوام اللَّدنِ ألفُ غِنًى عن أبرق الحَزْنِ بل عن بانة الوادي
سبحان مُطلِعِ بدرِ التم منه على غصنٍ رطيب من الأغصان مياد
سكرتُ من نشوةٍ في مقاتيه صحا[2] منها وزاد ضلالي وجهه الهادي
ما ضرّني ما أقاسي فيه من سقمٍ ومن ضَنًى لو غدا من بعض عُوّادي

وقال أيضاً[3] :

أيُّ دمع من الجفونِ أسالَهْ إذ أتته مع النسيم رسالَهْ
حَمَّلته الرياضُ[4] أسرار عَرْف أودعتها السحائبَ الهطاله
يا خليلي وللخليل حقوقٌ واجباتُ الأداءِ في كلِّ حاله
سلْ عقيقَ الحمى وقُل إذ تراه خالياً من ظبائه المختاله
أين تلك المراشفُ العسايـا تُ وتلك المعاطفُ العساله
وليالٍ قضيتها كلآلٍ بغزال تغارُ منه الغزاله
بابليّ اللحاظِ والريقِ والألـ ـفاظ كلٌّ مدامةٌ سلساله
ونقيّ الجبينِ والخدّ والثغـ ـر فطوبى لمن حسا جرياله
وطويل الصدود والشعر والمطـ ـل ومن لي بأن يديمَ مطاله
مِن بني الترك كلما جذب القو سَ رأينا في وسطه[5] بدرَ هاله
يقع الوهم حين يرمي فلا ند ري[6] يداه أم عينه النبّاله

١ الديوان : ١٢ .
٢ ص والديوان : ضحاً ، والتصويب من الزركشي .
٣ الديوان : ٣٤ .
٤ الوافي : الرياح ؛ الديوان : النسيم .
٥ الديوان : كفه .
٦ ص : ندر ، الوافي : يدري ، الديوان : فلم ندر .

قلت لما لوى ديونَ وصالي | وهو مُثرٍ وقادر لا محاله
بيننا الشرعُ قال سر بي فعندي | من صفاتي لكلٍّ دعوى دلاله
وشهودي من خال خدي ومن قد | ي شهودٌ[1] معروفة بالعداله
أنا وكّلتُ مقلتي في دِما الخلـ | ـق فقالت قَبِلتُ هذي الوكاله

وكتب إليه الأديبُ شهاب الدين العزازي بهذه الموشحة يمدحه بها :

بات طرفي يتشكّى الأرَقا | وتوالت أدْمُعي لا ترتقي
ليت أيامي ببانات اللوى | غفلتْ عنها لُوَيلاتُ النوى
عاذلاتي باعتلاقي بالهـوى | كيف سلواني وقلبي والجوى
أقسما في الحبّ لن يفترقا | وجفوني أقسمت لا تلتقى
ولقد هِمْتُ بذي قدّ نضر | قامةُ البانةِ منه تنهصرُ
ذي رُضاب بارد الظَّلْم خصر | في فؤادي منه نار تستعر
رشأ قلبي به قد علقا | جل من صَوَّره من علَق
سال من سالفه المسك فنم | وشذا المسك أبى أن يكتتم
[أحورٌ صحح عينيه السَّقَمْ] [2] | مذ تبدى وتثنى وابتسم
خلته بدراً على غصن نقا | باسماً عن أنفس الدرّ نقي
ساد بالدَّلِّ وفرطِ الخفر | سانحات الظَّبَيات العفر
مثل ما فاق فتى التلعفري | قالَة الشعرِ بوشي الحبر
أريحيٌّ خصّ لما خُلقا | بسخا النفس وحسن الخلق
شيمة أصفى من الراح الشمولْ | همةٌ أوفتْ على العلياء طولْ

---

١ الوافي : وقدي فشهود .
٢ سقطت من ص ، وزدتها من الوافي .

نَبعة جَرَّتْ على النجم الذيول   دوحة طابت فروعاً وأصول
سحّ جوداً في ذَرَاها ورَقا   فكساها يانعاتِ الورق
شاعر فاق فحولَ الشعرا   بقوافٍ مثل أطراف الكرى[1]
باسمات تجتلي منها الورى   ثغراً يبسم أو زهراً[2] يرى
كلما لاح سناها مشرقا   سجد الغربُ لنور المشرق
أيها الموفي على عهد الزمن   كرماً محضاً وفضلاً ومنن
جاءك الخادم من غير ثمن   جالبَ الوشي لصنعاء اليمن
فاستَمِعها زادكَ الله بقا   مدحةً لم يحكها إبن بقي
فأجابه شهاب الدين التلعفري رحمهما الله :
ليس[3] يروي ما بقلبي من ظما   غير برق لائح من إضم
إن تبدى لك بانُ الأجرع   وأثيلاتُ النقا من لعلع
يا خليلي قف على الدار معي   وتأمل كم بها من مصرع
واحترز واحذر فأحداق الدُّمى   كم أراقتْ في رباها من دم
حظ قلبي في الغرام الوَلهُ   فعذولي فيه ما لي وَلَهُ
حَسبيَ الليل فما أطولَهُ   لم يزل آخـرُهُ أولَه
في هوى أهيفَ معسول اللمى   ريقه كم قد شفى من ألم
سائلي عن أحمد مما حوى   من خلالٍ هيَ للداء دوا
ما سواه وهو يا صاحِ سوى   ناشر من كل فن ما انطوى
بحر آداب وفضلٍ قد طما   فاخشَ من آذيِّهِ الملتطم

١ وقع هذا الدور قبل سابقه في الوافي .   ٢ ص : زهر .
٣ الوافي : كيف .

العزازيُّ الشهابُ الثاقبُ شكره فرض علينا واجبُ
فهو إذ تبلوه[1] نعم الصاحبُ سهمه في كل فنّ صائب
جائلٌ في حَلَبة الفضل كما جال في يوم الوغى شهمٌ كمي
شاعرٌ أبدعَ في أشعاره ومتى أنكرتَ قولي باره ِ
لو جرى مهيارُ في مضماره والخــوارزميّ في آثاره
قلت عُودا وارجعا من أنتما ذا امرؤ القيس إليه ينتمي

وكان بالقاهرة قد عشق صبياً يلقب بالنجم ، فسافر ، ووجد عليه حزن[2] ، فكتب إليه عز الدين ابن أمسينا بهذه الأبيات يسأله عن حاله ويسليه :

يا خليليَّ حدّثاني بعـلم كيف حالُ الشهابِ بعد النجم
واقصصا لي حديثه فلقد قلّ اصطباري وزاد فكري وهمي
فمن المستحيل بعد رواح الـ روح عند الورى بقاء الجسم
ثم قولا له مقـالَ أخ بَـ رّ شفيقٍ بغـير ظنّ ووهم
يا شهاباً أنوارُ بهجته الغرا ء تجلو عنا دياجي الظلم
إن تناءى فلا أقلّ من الإلـ مام شوقاً من الديار برسم
واصرفِ الهمّ عن فؤادك إن أمـ كنَ تصريفه بإبنة كرم

فأجابه الشهاب التلعفري[3] :

بأبي أنت يا خليلي وأمّي أنت قوسي إذا رمَيتُ وسهمي
أنت والله لي حسامٌ جُراز[4] فيه للنائباتِ أعظمُ حَسْم

1 ص وأصل الوافي : يتلوه ، وأثبت ما في المطبوعة .
2 كذا في ص .
3 الديوان : ٣٨ .
4 ص : جرار .

كيف أخشى ذلي ولي منك عزٌّ ما ترقّتْ إليه همةُ نجم
نُظِمتْ فيك للمعالي عقود معجزاتٌ جميع نثري ونظمي
سيدي ما يطيقُ عبدك يشكو ما يقاسي من فرط وجدٍ وغمّ
مذ تولّى نجمي علمتُ بأني هابطٌ في جميع أمري ونجمي
الليالي عندي ظلامٌ وظلم بعد ذاك اللمى وذاك الظَّلْم
جملةُ الأمر أنّ لي بعده دمعاً كجدواك في انسكابٍ وسجم

وقال[٢] :

ما لي ولمصرَ لا سقاها ربي غيثاً غدقاً من ساريات السحبِ
بالروح دخلتها وبالقلبِ فلا بالروح خرجتُ لا ولا بالقلب

٥٠٦
أثير الدين أبو حيان

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، الشيخ الإمام الحافظ العلامة فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة ، أثير الدين أبو حيان الغرناطي ؛

....

١ الديوان : ٧ .

٥٠٦ — الوافي ٥ : ٢٦٧ ونكت الهميان : ٢٨٠ والبدر السافر : ١٧٨ والزركشي : ٣١٥ والدرر الكامنة ٥ : ٧٠ ونفح الطيب ٢ : ٥٣٥ — ٥٨٤ (وفيه نقل عن أعيان العصر وغيره) والكتيبة الكامنة : ٨١ وبغية الوعاة : ١٢١ وطبقات الشافعية ٦ : ٣١ وغاية النهاية ٢ : ٢٨٥ والبلغة : ٢٠٣ والشذرات ٦ : ١٤٥ وذيل العبر : ٢٤٣ والنجوم الزاهرة ١٠ : ١١١ وذيول تذكرة الحفاظ : ٢٣ والأسنوي ١ : ٤٥٧ وللدكتورة خديجة الحديثي دراسة عنه (بغداد ١٩٦٦) كما نشر ديوانه بعناية الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي (بغداد ١٩٦٩) ؛ وجاءت الترجمة بكاملها في المطبوعة .

قرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية[1] وثغر الإسكندرية وبلاد مصر والحجاز ، وحصَّل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك ، واجتهد وطلب وحصل وكتب ، وله إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم . نَظَـم ونثر ، وله الموشحات البديعة ، وهو ثَبتٌ فيما ينقله محرر لما يقوله ، عارف باللغة ضابط لألفاظها ، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم وتقييد أسمائهم ، خصوصاً المغاربة ، على ما يتلفظون به من إمالة وترخيم وترقيق وتفخيم ، وهو الذي جَسَّر الناس على مصنفات جمال الدين ابن مالك ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها وفتح لهم مقفلها ، والتزم أن لا يقرىء أحداً إلا إن كان في سيبويه أو « التسهيل » لابن مالك أو في مصنفاته . ولما قدم من البلاد لازم الشيخ بهاء الدين ابن النحاس رحمه الله تعالى وأخذ عنه كتب الأدب .

وكان حسن العمة مليح الوجه ، ظاهر اللون مُشرَباً بحمرة منوّر الشيبة ؛ مولده بغَرْناطة في شهور سنة أربع وخمسين وستمائة ، وتوفي بالديار المصرية في أوائل سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

ومن نظمه[2] :

سبق الدمعُ بالمسيلِ[3] المطايا إذ نَوى من أحبُّ عنيَ نُقلَهْ
وأجاد السطورَ في صفحة الخدّ ولِـمْ لا يجيدُ وهو ابن مُقلهْ ؟

وقال أيضاً[4] :

١ ص : ببلاد الأندلس وجزيرة افريقية .
٢ الديوان : ٤٧٣ .
٣ الوافي : بالمسير .
٤ الديوان : ٤١٨ .

يقولُ ليَ العذولُ ولم أطِعهُ تسلَّ فقد بدا للحِبِّ لحيه
تخيلَ أنها شانتْ حبيبي وعندي أنها زينٌ وحِليَه

وقال أيضاً[1] :

شوقي لذاك المحيا الزاهرِ الزاهي شوقٌ شديدٌ وجسمي الواهن الواهي
أسهرتَ طرفي ودلَّهتَ الفؤاد هوًى والطرف والقلب مني الساهر الساهي
نهبتَ قلبي وتنهى أن يبوحَ[2] بما يلقاه واشوقه للناهب الناهي
بهرتَ كلَّ مليحٍ بالبهاءِ فما في النيرين شبيهُ الباهر الباهي
لهجتَ بالحب لما أن لهوتَ به عن كلّ شيء فويحَ اللاهجِ اللاهي

وقال أيضاً[3] :

رَاضَ حبيبي عارضٌ قد بدا يا حُسنَهُ من عارضٍ رائضِ
وظن قومٌ[4] أن قلبي سلا والأصلُ لا يُعتَدُّ بالعارض

وقال أيضاً[5] :

تعشقتُهُ شيخاً كأن مشيبه على وجنتيه ياسمينٌ على وردِ
أخا الفضل[6] يدري ما يراد من النهى أمِنتُ عليه من رقيبٍ ومن ضد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى لسودِ اللحى ناسٌ وناسٌ إلى المُرْد
ألا إنني لو كنت أصبو لأمردٍ صبوتُ إلى هيفاءَ مائسة القد
وسودُ اللحى أبصرتُ فيهم مشاركاً فأحببتُ أن أبقى بأبيضهم وحدي

---

١ الديوان : ٤٠٣ .
٢ ص : تبوح .
٣ الديوان : ٢٥٢ .
٤ ص : قوماً .
٥ الديوان : ٤٣٩ .
٦ الوافي : العقل .

وقال في مليح أحدب [1] :

تعشقتُهُ أحـدباً [2] كيّساً يحاكي نجيباً حنينَ البغامِ
إذا كدتُ أسقطُ من فوقـه تعلقتُ من ظهره بالسَّنام

وقال أيضاً [3] :

عُداتي لهم فضلٌ علي ومنةٌ فلا أذهبَ الرحمنُ عني الأعاديا
هُمُ بحثوا عن زلّتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

وقال أيضاً [4] :

رجاؤك فلساً قد غدا في حبائلي قنيصاً رجاءٌ للنتاج من العُقمِ
أأتعبُ في تحصيله وأضيعه إذاً كنتُ معتاضاً من البرء بالسقم

وقال في مليح فحام [5] :

وعُلِّقته مسودَّ عينٍ ووفْرة وثوب يعاني صنعةَ الفحم عن قصدِ
كأن خطوطَ الفحم في وجَناته لطاخةُ مسكٍ في جنيٍّ من الورد

وقال موشحة [6] :

إن كان ليلٌ داجْ وخاننـا الإصباحْ
فنـورها الوهاجْ يغني عن المصباحْ
سـلافةٌ تبدو كالكوكب الأزهر

....

١ الديوان : ٤٧٥ .
٢ ص : أحدب .
٣ الديوان : ٤١٥ .
٤ الديوان : ٤٧٩ .
٥ الديوان : ٤٤٠ .
٦ الديوان : ٤٩١ .

مزاجها شهـدٌ وعَرْفُها عنبر
يا حبذا الوِرْدُ منها وإن أسكر

قلبي بها قد هاج فما تراني صاح
عن ذلك المنهاج وعن هوى يا صاح

وبي رشا أهيف قد لَجَّ في بُعدي
بدر فلا يُخْسَف منه سنا الخد
بلحظه المرهف يسطو على الأسدِ

كسطوة الحجاجْ في الناسِ والسفاح
فما ترى من ناج من لحظه السفاح

عَلَّلَ بالمسك قلبي رشاً أحور
منعمٌ المَسْكِ ذو[1] مبسم أعطر
رياه كالمسك وريقه سكر[2]

غصنٌ على رجراج طاعتْ له الأرواح
فحبذا الآراج إن هبت الأرواح

مهلاً أبا القاسم على أبي[3] حيان
ما إن له عاصم من لحظك الفتان
وهجرِكَ الدائم قد طال بالهيمان[4]

فدمعه أمواج وسرّه قد لاح

---

١ ص : ذي .
٢ الوافي : كوثر .
٣ ص : ابن .
٤ ص : بالطميان .

لكنه ما عـاج ولا أطاع اللاح[1]

يا رُبَّ ذى بهتانْ يعذل في الراحِ
وفي هوى الغزلان دافعتُ بالراح
وقلتُ لا سلوان عن ذاك يا لاحي

سبع الوجوهْ والتاج هيْ منية الأفراح
فاختَرْ ليْ يا زجّاج قُمصالْ[2] وزوجْ اقداح

وقال يعارض موشح ابن العفيف التلمساني رحمهما الله تعالى[3] :

عاذلي في الأهيفِ الأنس لو رآه كان قد عذرا

رشأ قد زانه الحَوَرُ غُصُنٌ من فوقه قَمَر
قمرٌ من سُحبِهِ الشَّعَرُ ثَغَرٌ في فيه أم درر

جال بين الدر واللعس خمرةٌ مَنْ ذاقها سكرا

رجة بالردفِ أم كَسَل ريقة بالثغر أم عسل
وردة بالخدّ أم خجلُ [كُحُلٌ بالعَينِ أم كَحَلُ][4]

يا لها من أعينٍ نُعُسِ جلبتْ للناظر السهرا[5]

مذ نأى عن مقلتيَّ سَنَي ما أذيقا لذة الوسن
طال ما ألقاه من شجني عجباً ضدّان في بدني

بفؤادي جذوة القَبَسِ وبعيني الماء منفجرا

---

١ ص : للاح .
٢ القمصال : وعاء يستعمل للشرب ، وفي ص : ممصال وكذلك في أصل الوافي .
٣ الديوان : ٤٩٥ .
٤ موضع هذا الشطر بياض في ص ، وهو ثابت في الوافي .
٥ الوافي : لناظري سهرا .

قد أتاني الله بالفرج إذ دنا مني أبو الفرج
قمرٌ قد حلَّ بالمهج كيف لا يخشى من الوهج
غيرهُ لو صابه نفسي ظنَّهُ من حرِّه شررَا
نَصَبَ العينين لي شركا فانثنى والقلب قد ملكا
قمرٌ أضحى له فلكا قال لي يوماً وقد ضحكا :
انت جيتْ من أرض اندلسِ نحو مصر تعشقُ القمرا ؟

والموشحة التي لشمس الدين محمد بن العفيف التلمساني في هذا الوزن وهي :

قمرٌ يجلو دُجى الغلَسِ بهرَ الأبصارَ مذ ظهرا
آمنٌ من شُبهةِ الكَلَفِ ذبتُ في حبيه بالكلف
لم يزل يسعى إلى تلفِ بركاب الدَّل والصلَفِ
آه لولا أعينُ الحرسِ نلتُ منه الوصل مقتدرا
يا أميراً جار مذ وليا كيف لا ترثي لمن بليا
فبثغرٍ منك قد جُليا قد حلا طعماً وقد حليا
وبما أوتيت من كيَسِ جُدْ فما أبقيتَ مصطَبرَا
بدر تمٍّ في الجمال سَنِي ولهذا لقبوه سني
قد سباني لذةَ الوسن بمحيا باهرٍ حسن
هو خشفي وهو مفترسي فارو عن أعجوبتي خبرا
لك خدٌّ يا أبا الفرج زينَ بالتوريد والضَّرَجِ
وحديثٌ عاطرُ الأرج كم سبى قلباً بلا حرج
لو رآك الغصنُ لم يَمِسِ أو رآك البدرُ لاستترا

يا مذيباً مهجتي كمدا فُتَّ في الحسن البدورَ مدى
يا كحيلاً كحله اعتمدا عجباً أن تبرىء الرمدا
وبسقم الناظرين كسي جفنك السحّارُ فانكسرا

ومدحه محيي الدين ابن عبد الظاهر بقوله :

قد قيل لما أن سمعتُ مَباحثاً في الذات قرّرها أجلّ مفيد
هذا أبو حيان قلتُ صدقتم وبررتم[1] هذا هو التوحيدي

وأمّا ما صنفه فهو : « البحر المحيط » في تفسير القرآن العظيم . « إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب » . « كتاب الأسفار الملخص من كتاب الصفار » . « شرح سيبويه » . « كتاب التجريد لأحكام سيبويه » . « كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل » . « كتاب التنخيل من شرح التسهيل » . كتاب « التذكرة » . كتاب « المبدع في التصريف » . كتاب « الموفور » . كتاب « التقريب » . كتاب « التدريب » . كتاب « غاية الإحسان » . كتاب « النكت الحسان » . كتاب « الشذا في مسألة كذا » . كتاب « الفصل في أحكام الفصل » . كتاب « اللمحة » . كتاب « الشذرة ». كتاب « الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء » ، كتاب « عقد اللآلي » . كتاب « نكت الأمالي » . كتاب « النافع في قراءة نافع » . « الأثير في قراءة ابن كثير » . « المورد الغمر في قراءة أبي عمرو » . « الروض الباسم في قراءة عاصم » . « المزن الغامر[2] في قراءة ابن عامر » . « الرمزة في قراءة حمزة » . « النائي[3] في قراءة الكسائي » . « النير الجلي في قراءة زيد بن علي » . « الوهاج في اختصار المنهاج » . « النور الأجلى في اختصار المحلى » . « الحلل الحالية

---

١ ص : وبرزتم .
٢ الوافي : الهامر .
٣ الوافي : تقريب النائي .

في أسانيد القرآن العالية » . « الإعلام بأركان الإسلام » . « نثر الدرر[1] ونظم الزهر » . « قطر الحبي في جواب أسولة الذهبي » . « نوافث السِّحر في دمائث الشعر » . « تحفة النَّدُس في نحاة الأندلس » . « الأبيات الوافية في علم القافية » . « مشيخة ابن أبي المنصور » . « الإدراك للسان الأتراك » . « زهو الملك في نحو الترك » . « نفحة المسك في سيرة الترك » . « الأفعال في لسان الأتراك » . « منطق الخرس في لسان الفرس » . ومما لم يكمل تصنيفه : كتاب « مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد » . « منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك » . « نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب » رجز . « مجاني الهصر في شعراء العصر »[2] . « المخبور في لسان اليحمور »[3] . رحمه الله تعالى .

٥٠٧

محمود الوراق

محمود بن الحسن الوراق ؛ أكثر شعره في المواعظ والحكم ، روى عنه ابن أبي الدنيا ، وتوفي في خلافة المعتصم في حدود الثلاثين والمائتين . ومن شعره :

ما إن بكيتُ زماناً إلا بكيتُ عليهِ
ولا ذممتُ صديقاً إلا رجعتُ إليه

١ الوافي : نثر الزهر .
٢ الوافي : في آداب وتواريخ لأهل العصر .
٣ الوافي : اليخمور ؛ البدر السافر : اليشمور .
٥٠٧ – الزركشي : ٣١٧ وطبقات ابن المعتز : ٣٦٧ وتاريخ بغداد ١٣ : ٨٧ .

وقال :

وما صاحبُ السبعين والعَشر بعدها بأقربَ ممن حنكته القوابلُ
ولكنَّ آمالاً يؤمِّلها الفتى وفيهنَّ للراجين حقٌ وباطل

وقال أيضاً :

يا ناظراً يرنو بعيني راقد ومشاهداً للأمر غيرَ مشاهدِ
تصلُ الذنوبَ إلى الذنوب وترتجي دركَ الجنان بها وفوزَ العابد
ونسيتَ أنَّ الله أخرج آدماً منها إلى الدنيا بذنبٍ واحد

وقال أيضاً :

أليس عجيباً بأن الفتى يصابُ بنقصِ الذي في يديه
فمن بين باكٍ له موجَعٍ وبين مُعَزّ مُعَزٍّ إليه
ويسلبه الشيبُ شَرْخَ الشبابِ فليس يعزيه خلقٌ عليه

وقال أيضاً :

سَقياً لأيامٍ خلَتْ وكأنّ أوجهها رياضُ
أيامَ يحيينا الهوى وتميتنا الحدَقُ المِرَاض

وقال أيضاً :

أيّ جهلٍ يكونُ أبينَ من جهـ ـلٍ أراني أُضحي عليه وأمسي
أبغضُ الناسَ إن ظننت على الظنّ وأنسى اليقينَ من علم نفسي

وقال أيضاً :

إذا أعطاك قَتَّرَ حين يعطي وإن لم يعطِ قال أبى القضاءُ
يُبَخِّلُ ربه سَفهاً وظلماً ويعذرُ نفسَهُ فيما يشاء

وقال أيضاً :

الدهرُ لا يبقى على حالةٍ لكنه يُقبِلُ أو يُدبرُ

فإن تلقّاك بمكروهه فاصبرْ فإنّ الدهرَ لا يصبر

وقال أيضاً :

تعصي الإلهَ وأنت تظهرُ حبّهُ هذا محالٌ في القياس بديعُ
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحبّ لمن يحبُّ مطيع

وقال أيضاً :

دارِ الصديقَ إذا استشاط تغضباً فالغيظُ يُخْرج كامنَ الأحقادِ
ولربما كان التغضبُ باحثاً لمثالبِ الآباء والأجداد

وقال أيضاً :

تَعزَّ بحسن الصبر عن كلِّ هالكٍ ففي الصبر مَسلاةُ الهموم اللوازمِ
إذا أنت لم تَسلُ اصطباراً وحِسبةً سلوتَ على الأيام مثلَ البهائم

وقال أيضاً[1] :

لبستُ صروفَ الدهر كهلاً وناشئاً وجرّبتُ حاليه على العسر واليسرِ
فلم أر بعد الدين خيراً من الغنى ولم أر بعد الكفرِ شراً من الفقرَ

وقال أيضاً :

أيا ربِّ قد أحسنتَ عوداً وبَدْأة إليَّ فلم ينهضْ بإحسانك الشكرُ
فمن كان ذا عذرٍ لديك وحجةٍ فعذريَ إقراري بأنْ ليس لي عذر

---

١ بهامش الزركشي : كذب ، بل هي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٥٠٨

شهاب الدين محمود

محمود بن سلمان بن فهد ، الامام العلامة البارع البليغ الكاتب الحافظ ، شهاب الدين أبو[1] الثناء محمود الحلبي الدمشقي الحنبلي ؛ ولد بدمشق سنة أربع وأربعين وستمائة ، وتوفي في شهور سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

كتب المنسوب ونسخ الكثير ، وتفقه على ابن المنجّا وغيره ، وتأدب على ابن مالك ، ولازم الشيخ مجد الدين ابن الظهير وسلك طريقته في النظم وأربى عليه ، وحذا حذوه في الكتابة. ونقله الوزير شمس الدين بن السلعوس إلى مصر ، وتقدم ببلاغته وبديع كتابته وإنشائه وسكونه وتواضعه ؛ وأقام بالديار المصرية إلى توفي القاضي شرف الدين بن فضل الله ، فجهز إلى دمشق صاحب ديوان إنشائها ، فأقام على المنصب ثمانية أعوام ، وتوفي رحمه الله تعالى ، وصلى عليه الأمير سيف الدين تنكز ، ودفن في تربته بسفح قاسيون ،

وله من التصانيف : « مقامة العشاق » ، وكتاب « منازل الأحباب » ، و « حسن التوسل في صناعة[2] الترسل » ، و [أسنى المنائح في أسنى المدائح] . وكان ممن أتقن الفنين المنظوم والمنثور .

كتب إليه السراج الوراق ملغزاً في سجادة :

يا إماماً ألفاظه الغُرُّ في الأسـ ـماعِ تُزْري بالدرِّ في الأسماطِ

---

٥٠٨ — الزركشي : ٣١٨ والبدر السافر : ١٩١ والدرر الكامنة ٥ : ٩٢ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٦٤ وذيل العبر : ١٤٠ والشذرات ٦ : ٦٩ ؛ وقد جاء اسمه في الزركشي ومصادر أخرى « محمود بن سليمان » ، وقد أخلت المطبوعة بعدد غير قليل من المختارات الشعرية في هذه الترجمة.

١ ص : أبي .

٢ الزركشي : صنعة ، والكتاب مطبوع باسمه كما أثبته الكتبي (القاهرة ١٣١٥) .

وشهاباً يجاوز الشهبَ قدراً فغدت عن علاه ذات انحطاط
أي أنثى وطئتُ منها حلالاً مستبيحاً ما لا يباحُ لواطي
لم أحاولْ تقبيلها غيرَ خمسٍ حال زهدي فيها وحال اغتباطي
وهي مملوكة وعند أناسٍ هي ست على اختلاف التعاطي
وهي في صورة خماسية ما فهقت لا ولا دنت للبواطي
وتصيبُ الإيمانَ يسعى إليها طالب الله وهو عبد خاطي
وأرى أن تحلها بيمينٍ ويسارٍ فقد غدتْ في رباط

فكتب إليه الجواب :

يا سراجاً لما سمتْ باسمه الشمـ ـسُ غدا البدرُ دونها في انحطاطِ
أنت بحرٌ نداك موجٌ وألفـا ظك درّ وصنعُ يمناك شاطي
لا تلمني إذا نظمتُ معاني لك فمن درّ فيك كان التقاطي
أنت ألغزتَ في اسم ذاتِ رقاع لم تجاهدْ وكم غدتْ في رباط
خُمُساها عشر وللعشر فيها خطواتٌ براحة وانبساط
حازها تابعُ المجلّي فحاز الـ ـسبقَ من دونه بغيرِ اشتراط
مذ علاها في أوّل الصف أضحى كسليمانَ فوق متنِ البساط

ومن شعره :

أسروا إلى ليلى سراهم فما انجلى وبات كطرفي نجمه وهو حيرانُ
كلانا غريقٌ في المدامع والدجى كأنّ دموعَ العين والليل طوفان

وقال :

عريب سبوا نومي ولم تدر مقلتي كما سكنوا قلبي ولم تشعر الأعضا
وطلقت نومي والجفون حواملٌ فمن أجل ذا في الخدّ أبقتها فرضا

وقال :

تثني وأغصانُ الأراك نواضرٌ ونحتُ وأسرابٌ من الطير عكّفُ
فعلم باناتِ اللوى كيف تنثني وعلمتُ ورقاءَ الحمى كيف تهتف

وقال :

رأتني وقد نال مني النحولُ وفاضتْ دموعي على الخدّ فيضا
فقالت بعينيَ هذا السّقامُ فقلت صدقتِ ، وبالخصرِ أيضا

يشبه هذا قول الأرّجاني :

غالطتني إذ كستْ جسمي الضنى كسوةً عرّت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى مثلُ عيني صدقَتْ لكنْ سقاما

ومن هذه المادة قول جمال الدين ابن نباتة [1] :

وملولة في الحبّ [2] لما أن رأت أثر السقام بعظميَ المنهاضِ
قالت تغيرنا فقلت لها نعم أنا بالسقام [3] وأنت بالإعراض

وقال أيضاً :

رقّ العذولُ لما ألقى بكم ورثى لما رأى صدّكُمْ عن صبكم عبثا
نكثتمُ حبلَ ودّي بعد قوّته وطالما قلتمُ لا كان مَنْ نكثا
أين الوفاءُ الذي كنا نظنُّ وما هذا الجفاءُ الذي من بعده حدثا ؟
فآهِ نفثةَ مصدورٍ بهجركمُ ومن يَذُقْ هجرَ مَنْ يشتاقه نفثا
رجوتُ يومَ نواه لو تَلَبَّثَ لي لأشتكي بعضَ ما ألقى فما لبثا
وكم شكوتُ الذي ألقاه منه فما أوى لذلي ولا ألوى ولا اكترثا
وكم حلفتُ بأني لا أعاتبُهُ ولستُ أوّلَ صبّ في الهوى حنثا
ويح المحبِّ متى صدّت حبائبه يوماً قضى وإذا ما واصلوا بُعثا
قضى فناحتْ عليه الوُرْقُ من حَزَنٍ فسَجعُها بين أثناء النشيد رِثا

---

[1] ديوان ابن نباتة : ٢٨٢ .

[2] ص : ومملوكة ؛ الديوان : وملولة الأخلاق .

[3] الديوان : بالصدود .

وقال أيضاً :

أفدي الذي بالأمسِ ودّعني فقضى اصطباري بعده نَحْبا
وسرتْ به في البحر جاريةٌ سوداءُ يسبقُ سيرها الشهبا
لو أنّ حكمَ البحر طوعُ يدي لأخذتُ كلَّ سفينة غصبا

وقال مضمّناً :

قل لي عن الحمام كيف دخلتها يا صاحبي لتَسُرَّ خدّاً مشفقا
أدخلتها وأولئك الأقوامُ قد شدوا المآزر فوقَ كثبانِ النّقا

وقال أيضاً :

رأيت في بستان خلٍّ لنا بدرَ دجًى يغرسُ أشجارا
فقلت إن أعجبَ هذا الذي يغرسه أثمر أقمارا

وقال أيضاً :

ورأيته في المـاء يسبحُ مرّةً والشّعرُ قد رَفّتْ[1] عليه ظلاله
فظننتُ أن البدرَ قابلَ وجهُهُ وجهَ الغديرِ فلاح فيه خياله

وقال وكتب بها إلى فتح الدين ابن عبد الظاهر :

هل البدرُ إلا ما حواه لثامها أو الصبحُ إلا ما جلاه ابتسامها
أو النارُ إلا ما بدا فوقَ خدها سناها وفي قلب المحبِّ ضرامها
أقامتْ بقلبي إذ أقام بحبِّها فدارتُها قلبي وداري خيامها
مهاةُ نَقاً لو يستطاعُ اقتناصها وكعبةُ حسنٍ لو يطاقُ استلامها
إذا ما نَضَتْ عنها اللثامَ وأسفرت تقشّعَ من شمس النهار غمامها
نهايةُ حظي أن أقبِّلَ تربها وأيسرُ حظٍّ للثام التثامها
تريك مُحَيّا الشمس في ليل شعرها على قيدِ رمحٍ وجهها وقوامها

---

١ ص : رقت .

وتزهى على البدر المنير فإنها ... مدى الدهر لا يخشى السرارَ تمامها
تغني على أعطافها وُرْقُ حليها ... إذا ناح في هيفِ الغصون حمامها
تردَّد بين الخمر والسحر لحظها ... وحازهما والدرَّ أيضا كلامها
كلانا نَشاوى غيرَ أنَّ جفونها ... مدامُ المعنّى والدلالُ مدامها
وليلةَ زارتْ والثريا كأنها ... نظاماً وحسناً عقدُها وابتسامها
وحيَّتْ فأحييتْ ما أمات صدودها ... وردَّت فردَّ الروحَ فيَّ سلامها
وقالت بعيني ذا السقام[1] الذي أرى ... فقلت وهل بَلوايَ إلا سقامها
فأبدت ثناياها فقل في خميلةٍ ... بدا نَوْرها وانشقَّ عنها كمامُها
وأبعدتُ لا بل سمطُ درٍّ تصونه ... بأصدافِ ياقوت لمَاها ختامها
وقالت وما للعين عهدٌ بطيفها ... ولا النوم مذ صَدَّتْ وعزَّ مرامها :
لقد أتعبت عيني جفونك في الدجى ... فقلت سلي جفنيك أين منامها
وما علمتْ أنَّ الرُّقادَ وقد جفت ... كمثلِ حياتي في يديها زمامها
وكم ليلةٍ سامرتُ فيها نجومها ... كأنيَ راعٍ ضلَّ[2] عنه سَوامها
كأنَّ الثُّريا والهلالَ ودارةً ... حوته وقد زان الثريا التثامها
حبابٌ طفا من حول رفرفِ فضةٍ ... بكفّ فتاةٍ[3] طاف بالراح جامُها
كأنَّ نجوماً في المجرَّة خرَّدٌ ... سواقٍ رماها في غديرٍ زحامها
كأنَّ رياضاً قد تسلسل ماؤها ... فشقت أقاحيها وشاق خزامها
كأن سنا الجوزاء إكليلُ جوهرٍ ... أضاءت لآليه فراق انتظامها
كأنَّ لدى النَّسرين في الجو غِلمةٌ ... رماةٌ رَمى ذا دونَ هذا سهامها
كأنَّ سهيلاً والنجوم وراءه ... صفوفُ صلاة قام فيها إمامها
كأنَّ الدجى هيجاءُ جرت نجومه ... أسنتها والبرقُ فيها حسامها

---

١ الزركشي : الغزال .
٢ ص : ظل .
٣ ص : قناة ، وأثبت ما في الزركشي .

كأن الرجومَ الهاديات فوارس ... تساقطَ ما بين الأسنة هامها
كأن سنا المريخ شعلةُ قابسٍ ... تلوحُ على بعدٍ ويخفى ضرامها
كأنَّ السُّها صبٌّ سَها نحو إلفه ... يراعي الليالي جفنه لا ينامها
كأن خفوقَ القلب قلبُ متيم ... رأى بلدةَ الأحباب أقوى مقامها
كأن ثريّا أفقه في انبساطها ... يمين كريمٍ لا يُخاف انضمامها
كأنّ بفتح الدين في جوده اقتدتْ ... فروّى الروابي والأكامَ انركامها

وقال من أبيات :

والطلُّ في أعين النوّار تحسبه ... دمعاً[1] تحير لم يرقأ ولم يكفِ
كلؤلؤ ظلَّ عطفُ الغصن متشحاً ... بعقده وتبدَّى منه في شنف
يُضَمُّ من سندسِ الأوراق في صورٍ ... خُضرٍ ويجنى من الأزهار في صدف
والشمسُ في طَفَل الامساءِ تنظر من ... طرفٍ غدا وهو من خوف الفراق خفي
كعاشقٍ سار عن أحبابه وهفا ... به الهوى فتراءاهم على شرف

وقال يرثي شاباً جميلاً فقد :

إنَّ مَنْ تهواه قد ظعنا[2] ... فاندُبِ الأطلالَ والدِّمَنا
واخدع القلبَ الذي صحبوا ... وخداعُ النافرين عنّا
واسلُ عن طيب الحياةِ فقد ... صرتَ لا قلباً ولا سكنا
لا تقل أرجو الإيابَ فكم ... نازحٍ بعدَ البعادِ دنا
فهو دهرٌ كان ملتهياً ... عنكمُ والآن قد فطنا
جيرةٌ والله بَعدَهم ... لم أجد حُسناً ولا حَسَنا
سلبوا روحي فليتهمُ ... عوّضوني عَوْدهم ثمنا
وَدَرَوْا أني أموتُ بهم ... فكسوني بالضنا كفنا
ما على الحادي العجول بهم ... حرجٌ لو يحبسُ البُدُنا

---

١ ص : دمع . ٢ ص : ضعنا .

فعسى روحٌ معلقة بهمُ أن تذكر الوطنا
قلتُ للبدر المنير وقد غاب من أربى عليه سنا :
غِبْ أوِ اطلُعْ إن أردتَ فما فيك لي عن من فقدتُ غنى[1]
أنبأتني الشمس عنه وعن بدرها إذ غاب واقترنا
نحن كنّا إخوةً شرفاً فأصاب الدهرُ أحسننا
وسألتُ الدوحَ بعدهم هل أمالت نسمةٌ غُصُنا
أو تمشتْ في خمائله ذاتُ طَوْقٍ تبعثُ الشجنا
أو سقاه الطلُّ مضطجعاً فلوى أعطافه وثنى
قال لي ذاك النسيمُ نأى مذ تناءوْا والغمامُ ونى
وعيونُ النور قد رمدت وغناء الورق عاد عنا
فإذا ملنا فلا طربٌ بل لأن الوُرقَ نُحنْنَ لنا
سادتي هل بعد بعدكمُ تَرْجعُ الأيامُ تجمعنا
أرتجي واليأس يهزأ بي أن يضمَّ الدهرُ ألفتنا
وضلالُ الحبِّ غادر لي فيكمُ بعد المنون مُنى
إن قضى صبٌّ يهيم على فقد أحباب نأوا فأنا
فسقاكم كلُّ سارية من دموعي تخجل المزنا

وقال أيضاً :

يا من أضاف إلى الجمال جميلا لا كنتُ إن طاوعتُ فيك عذولا
عَوّضْتَني من نارِ هجرك جنةً فسكنتُ ظلاًّ من رضاك ظليلا
وحللتَ من أحشاي ربعاً دارساً فغدا بقربك عامراً مأهولا
ومننتَ حين منحتني سقماً به[2] أشبهتُ خصرك رقةً ونحولا

....

١ ص : عنا .
٢ ص : بسقامه .

وكففت لحظك بالفتور تلطفاً كيلا أبيتَ بحدّه[1] مقتولا
وسلكت بي في الحبّ أحسنَ مسلكٍ لم يُبقِ لي نحو السلو سبيلا
ولربَّ ليـلٍ مثلِ وجهك بدره ودجاه مثلُ مديدِ شعرك طولا
أرسلتَ لي فيه الخيال فكان لي دونَ الأنيس مؤانساً وخليلا
إن لم أجُد للوجد فيك بمهجتي لا نال قلبي من وصالك سُولا

وقال أيضاً :

تقضّى زماني في انتظار وصاله ومات اصطباري والغرامُ بحالـهِ
قضيبُ نقاً قد كنتُ أرجو انعطافَهُ فَرُحْتُ لحيني آيساً من خياله
أعرِّضُ من وجدٍ بعسال قدّه ومعسولِ فيه بالعُذَيبِ وضاله
أليس من التبريج أنّ مزارَهُ قريبٌ ونيلُ الشهبِ دون مناله
لئن عمّه بالحسن ياقوتُ خدّه فقد خصه بالصَّوْنِ عنبرُ خاله
إذا ما شكوتُ الوجدَ قال أخو الهوى صبابته تُغنيه عن شرح حاله
وإن رُمتُ وصلاً قال لي أنت مُدَّعٍ فأعرضُ عنه خيفةً من جداله
وما ذاك عيّاً غير أنّ دليله عليّ عليه شاهدٌ من دلاله

وقال أيضاً :

نمّ بأسرارِ الحمى نسيمُهُ فذاع من سرِّ الهوى مكتومُهُ
روى حديثاً عن أُهيل رامة جدّد ما أبلى الهوى قديمه
إلى كئيبٍ دنفٍ عذابُهُ في حبّ جيرانِ النقا نعيمه
يرومُ أن يعطفَ من ذاك الحمى عليه من بعد الصدود ريمه
يا صنماً مقلته صادٌ له والحاجب النون وفوه ميمه
طوبى لمن في راحتيك راحه وأنت يا كلّ المنى نديمه
إن تاهَ في معوجّ صدغيك فقد هداه من فرقك مستقيمه

---

[1] ص والزركشي : بخده .

آنس قلبي نار طورِ خده   فهو كما شاء الهوى كليمه

وقال يعاتب محبوباً :

غدرتم ولولا الغدرُ ما كان لي عذرُ   فجاء على قصدي وقصدكم الأمرُ
وجَدتم مجالا للقلى وكذا أنا   فما ضاق لي يوماً ولا لكمُ صدر
فلا أشتكي منكم ملالاً لأنكم   هجرتم بحمد الله إذ طاب لي الهجر
فإن تَدَّعوا عنا اصطباراً فهكذا   أتانا بلا دعوى كما نشتهي الصبر
وإن تشكروا حُكم البعادِ فللنوى   علينا أيادٍ لا يقومُ بها الشكر
وكنتُ أظنُّ الصبرَ مرًّا مذاقه   فمذ ذقته أيقنتُ أنّ الهوى المر
فكونوا كما شئتم فإنا كما نشا   صحونا جميعاً وانجلى ذلك السكر
فكم تهتُ من قدٍّ هناك وطلعةٍ   بغصن ولا غصنٌ وبدرٍ ولا بدر
وإن كان زيدٌ صدكم عن وصالنا   فلم تخطئوا شيئاً كذا صدّنا عمرو
وإن كنتمُ أُنسيتمُ العهدَ فاسألوا   ليخبركم هل مرَّ يوماً له ذكر
تقضّى الهوى منا ومنكم فكلنا   سواءٌ ولكن منكمُ بدأ الشر
ولا شرَّ في أمر عرفنا به الذي   لنا عندكم حتى استوى السرّ والجهر
فلا مقلة عَبرَى بأجفانها قَذًى   ولا كبدٌ حَرَّى بأثنائها جمر
ولا زادنا حبٌّ جوًى كلَّ ليلة   ولا سلوةُ الأيام موعدها الحشر [1]
وكنا كما شاء الغرامُ كأننا   لفرط امتزاج بيننا الماء والخمر
فكم ليلةٍ ما شاب إظلامَها دجى   وكم ليلةٍ بالهجر ما شابها فجر
فأعقبكم ذاك الوفاءُ ملالةً   فلا بأسَ هذا الغدرُ شيمته الغدر
وإني وإن ألفيتُ في ذاك راحةً   وباتتْ يدي منكم وراحتها صفر
لمُثنٍ ولكن لا يقابل هجركم   سوى الهجرِ لاعتبٌ يمضّ ولا هُجر

وقال أيضاً :

١ فيه إشارة إلى قول أبي الصخر الهذلي :

فيا حبها زدني جوى كل ليلة   ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

ما ضرَّ مَنْ شفع الصدودُ ببعده لو علل الكالفَ المشوقَ بوعدِهِ
أو لو شفاهُ بزورةٍ بعد النوى ليرى الذي فعل البعادُ بعبده
ظبيٌ من الأتراكِ خالٍ بالُه من حالِ ملآنِ الفؤاد بوجده
ريانُ من ماءِ الشبابِ إذا مشى تُثني الغصونُ على تَثَنّي قدّه
ما كنتُ أشكو من قساوة قلبه لو أنه أعْدَتْهُ رقةُ خده
أبكي ويضحكه التدللُ عن نقا بَرَدٍ شفاءُ محبِّه في بَرْده
وأمير حسن ناظري والقلبُ من أعوانه أبداً عليَّ وجنده
علماً بأن اللحظ منه صارمٌ عَضبٌ وما حذرا مواقعُ حَدّه
لو زارني لفضضت خَتمَ رُضابِهِ ما بغيتي في وَرْده أو وِرْده
وأجلتُ كفّي في مجالِ نطاقهِ في غورهِ وكففتُها عن نجده
قالوا به سَقَمٌ فقلتُ لعله في جفنه أو خصره أو عهده
يا سالبي طيبَ الرقاد وإنما أسفي على فقدِ الخيال كفقده
لولا انتظارُ الطيفِ يطرقُ في الكرى ما راح دمعي سائلاً في ردّه

وقال أيضاً :

أيا رَشأ بِتُّ من حبِّهِ فقيدَ الكرى قلقَ المضجعِ
ومَنْ أصبحتْ نارُ وجدي به تؤججها في الحشا أدمعي
[ومن إن تُدِمْ مقلتي لحظها إلى وجهه تَدمَ أو تدمع]
ومن غير ذكراه لم يحلُ في لساني ولا حلَّ في مسمعي
ومن حاز قلبيَ طوعاً لديه متى يدْعُهُ لحظه يتبع
دمي لك فارفعْ شَبا السيفِ من لحاظك عن مهجتي أو ضَع
وحُكمُ حياتيَ في راحتيك فخذها إن اخترتَها[1] أو دَعِ
فَصُن ذا المحيا الذي في سناهُ دليلٌ على قدرةِ المبدع

[1] ص : اخترها .

فما ربةُ الخدرِ إن أسفرتْ ... بأحْوَجَ منـك إلى البرقع
ولاحٍ يعنّفني في الغـرام ... وهل يسمعُ اللومَ مَنْ لا يعي
وأنكرُ ما يدعي من هواه ... وسقميَ يُثبت ما يدعي
رآك فساعدني في الحنين ... وأضحى على من لحاني معي

وقال أيضاً :

خليليَّ هذا البرقُ أسيافه تُنْضَى ... فهيّا عسى حتفُ الظلام به يُقضى
فليس لنا بالصبح عهدٌ[1] لأننا ... عهدناه من قبل التفرّق مبيضّا
ولا بالكرى علمٌ وهل كان لامريءٍ ... نأى عنه من يهواه أن يعرف الغمضا
همُ هجروا بردَ الظلال وإنما ... حشاي ، وحاشاهم ، أقامت على الرمضا
مضوا فاستردَّ الدهرُ أُنسي الذي مضى ... كأن له عندي بقربهم قرضا
وبانوا فآلى[2] البان لا بان بعدهم ... ولا عانقت أغصانه بعضها بعضا
عريبٌ سَبوا نَوْمي ولم تدرِ مقلتي ... كما سلبوا قلبي ولم تشعرِ الأعضا[3]
فليتهم عادوا وقلبي فداهمُ ... وأرضى بأن تضحي خدودي لهم أرضا

وقال أيضاً :

أعليَّ في حبِّ الديارِ ملام ... أم هل تذكرها عليَّ حرامُ
أم هل أذمّ إذا ذكرتُ منازلاً ... فارقتها ولها عليَّ ذمام
دارُ الأحبةِ والهوى وشبيبةٍ ... ذهبتْ وجيران عليّ كرام
فارقتها فأرِقتُ من وجدي بهم ... أفهل لهم أو للكرى إلمام
كانوا حياتي وابتليتُ بفقدهمْ ... فعليهمُ وعلى الحياةِ سلام
أشتاقها شوقَ الغريب مزاره ... سفهاً ، وإلا أين مني الشام
وتروقني خُدَعُ المنى منها وقد ... بَعُدَ المدى وتمادتِ الأيام

---

[1] ص : عهداً .
[2] ص : فآلا .
[3] مر البيت ص : ٨٣ .

وتلذ لي سنة الـكرى لا رغبةً في النوم بل لتعيدها الأحلام
وتمثلُ الأوهامُ لي أني بها ثاوٍ[1] وَلَذّاتُ الهوى أوهام
فكأنَّ ربعَ تشوقي وخيالها دمنٌ ألم بها فقال سلام
ليس الغرامُ بها لأن نسيمها وانٍ وثغرُ رياضها بَسّام
بل للديارِ إذ[2] الشبابُ مطاوعٌ فيها وأيامُ الزمانِ وسام
إذ لا نخافُ بها الوشاةَ وحولنا فيها العيونُ وعندنا النمام
الورد خد والبنفسج عارضٌ والنور ثغرٌ والقضيبُ قَوام
والراحُ ريقٌ أو حديث رائقٌ والنُّقلُ لثم والقيانُ حَمام
ولقد نُقِلْتُ إلى الأجلِّ وإنما عصرُ الصبا أيامه الأيام
لو عاد لي عصرُ الشبابِ رأيتها بعيونِ صبٍّ ماؤهنّ غرام

وقال أيضاً :

يا ليلةً بات ثغرُ الكأسِ معتنقي فيها فِداكِ سوادُ القلبِ والحدقِ
إن كنتِ أنشرتِ صباً ميتاً فلقد أمات فقدك ما أبقيتِ من رمقي
سمحتِ ليَ برشاً أدرى الوشاةَ به جبينُه والشذا من نشره العَبِق
في روضةٍ كلما ماست معاطفه فيها تسترتِ الأغصانُ بالورق
وبات يطفيءُ بالعذبِ المبرد من لماه ما أضرمَتْ خداه من حرقي
وبتّ حاويَ بدرِ التمّ إذ بيدي طوّقتُ أسودَ ذاك الشعر في عنقي
وجاء يسعى بها حمراءَ قابلها بوجهه فبدتْ شمسين في أفق
بكرٌ حَبَبَتها ثناياه الحبابَ كما خداه ألقت عليها حمرةَ الشفق
وقال دونكها إن شئتَ من قدحي أو من لمى شفتيّ اللعساء أو حدقي
كلٌّ مدامٌ وإن شككتَ ها شفتي وهذه الكأس فاختر ما تشا وذُقِ

---

١ ص : ثاوي .
٢ ص : إذا .

فيا لها ليلةً قضيتها عجباً ... الشمسُ مغتبقي والبدر معتنقي

وكتب إليه علاء الدين ابن غانم من حصن صهيون :

إليك شهابَ الدين نشكو متاعباً ... فأنت الذي ما زلتَ ترثي لمن شكا
إلى الله نشكو حصنَ صهيونَ إننا ... إلى الرفقِ فيها لم نجدْ قط مسلكا
لتغييره وجهُ الوجودِ مقطّبٌ ... عليه وعينُ الشمس زالت من البكا
أصَمّ صراخُ الرعد فيه مسامعَ الـ ... برايا وسترُ البرقِ وجداً تهتكا

فأجابه شهاب الدين رحمهما الله تعالى :

ألم يكفني شوقٌ إليه وأدمعٌ ... عليه إذا ما جادتِ الغيثُ أمسكا
وأنيَ مذ فارقتُ ــ لا ذقتُ بُعدَهُ ــ ... محياه لم أصحبْ حميماً سوى البكا
إلى أن شكا حالاً غدوتُ لحملها ... أكابدُ من همي به فوقَ ما شكا
وحرّك أشجاني على أنّ في الحشا ... لها باعثاً[1] من نفسها ومحرّكا
فيا نازحاً أودى بقلبي ولم يزل ... بإخلاصه في حبه متمسكا
وحقّكَ لو عاينتَ ما في جوانحي ... لساءك أو ما في ضميري لسرّكا
جوًى لو غدا في حصن صهيونَ بعضه ... تزلزل أو أخنى عليه تدككا
وتوحيدُ وجدٍ لو تقسّم لم تجدْ ... على الأرضِ في دين المودّة مشركا
فصبراً ، على أني وقد غبتَ رمتُهُ ... فلم ألقَ نحو الصبر بعدك مسلكا
فهل هوَ إلا البرقُ أومضَ موْهناً ... لديك ليحكي نارَ وجدي فما حكى
أو القطرُ يهمي وهو مذ شَطّتِ النوى ... رأى عبرتي تجري فمثّلَها لكا
أو الشمسُ أخفت وجهها عنك كي ترى ... وقد غبت عني وحشة الأفقِ بعدكا
عساك ترى الرأيَ الموفق بعدها ... فإن الذي أغراك من قبلِ غركا

وكتب إلى الشيخ علاء الدين ابن غانم :

---

١ ص : باعث .

سيدي قربُكَ عندي منتهى سُولي وقصدي
أنت أحلى في فؤادي من دنوٍّ بعد بُعدِ [1]
فلم اخترتَ فراقي وأنا الليلةَ وحدي
كنْ جوابي تغنم الوا فرَ من شكري وحمدي
وتكن أكرمَ مولًى قد تمشّى نحو عبد

فأجابه علاء الدين ابن غانم :

لم أغبْ عنك بودّي يا أعزَّ الناس عندي
لكن الحرمان يقصيـ ـني ويدنيني سعدي
أنا للخدمة [. . .] كلَّ وقت متصدّي
لا على رجليَ أسعى بل على رأسي وخدّي

وقال رحمه الله تعالى :

أيها المنزل الذي كان فيه لتجلّي شموسهم إشراقُ
والذي كان فيه بدر المسرّا تِ تماماً لا يعتريه محُاق
أوحشوني مذ فارقوني فهل أصـ ـبحت مثلي اليهمُ تشتاق
فابكِ لي مُسعداً عليهم فلا يأ سَ إذا ما تساعد العشاق

وقال أيضاً :

وبمهجتي مَنْ سلَّ صارمَ لحظه فحمى رياضَ خدوده أن تُجْتَنى
لو أنَّ رقةَ خدّه أو لفظه أو ريقه في قلبه نلتُ المنى

وقال أيضاً :

قبَّلْتُ رجلَ حبيبي فازورَّ واحمرَّ خدا
وقال تلثُمُ رجلي لقد تنازلتَ جدا

---

١ ص : بعدي .

فقلتُ لم آتِ ذنباً ولا تعدَّيتُ حدّا
رجلٌ سعتْ بك نحوي حقوقُها لا [1] تؤدى

وقال في مليح حرَّاث :

عشقتُ حرّاثاً مليحاً غدا في يده المسّاسُ ما أجملَهْ
كأنه الزهرةُ قدامه الـ ثورُ يراعي مطلعَ السنبله

وكتب إليه علاء الدين ابن غانم لغزاً في أحمد :

نصف اسم من أهواه في قلبه أمرٌ لغير الفائت الفاني
ونصفه الأول معكوسُهُ في العكس حرف وهو حرفان

فأجابه رحمهما الله تعالى :

كتمُ اسمِ من همتَ غراماً به أحمدُ من كشفٍ وإعلانِ
فإن نأى فابكِ على فقده بالعكس من نصف اسمه الثاني
وان تصحفْ عكسَ نصف اسمه أمنت من صدٍّ وهجران

وقال :

يا حياتي من حياتي بعدما بنتُ عنهم والنوى أقتلُ شيْ
ليتهم لو عاينوني ليروا ميتاً من بعدهم في زيِّ حي

١ ص : إلاّ .

٥٠٩

غازان المغلي

محمود بن أرغون المغلي الجنكزخاني صاحب العراقين وخراسان وفارس وأذربيجان والروم ؛ كان شاباً عاقلاً شجاعاً مهيباً مليح الشكل ، ملك سنة ثلاث وتسعين وستمائة فحسّن له نائبه توزون الإسلام فأسلم سنة أربع وتسعين ، وفشا الإسلام في التتار . وطرق الشام وغلب عليه بعد أن قلّ[1] العساكر الإسلامية . وكان يعفّ عن الدماء لا عن المال ، ومات بقرب همذان[2] سنة ثلاث وسبعمائة في شوال ، ولم يتكهل ، ونقل إلى تبريز ، ودفن بتربته ؛ واشتهر أنه سمّ في منديل تمسح به بعد الجماع ، فتعلل ومات ، وقام بعده أخوه خربندا[3] .

وكان له خبرة بسياسة الأمور وتدبير الملك ، وكان قد التحق في أفعاله بجده الأكبر هولاكو ، ولم يكن فيه ما يشينه غير أنه كان بخيلاً ، لكن كانت هيبته قوية ورعيّته في زمانه آمنة ، ولما توفي كتب نائب البيرة مطالعة إلى السلطان الملك الناصر يخبره فيها بوفاته بخط علاء الدين الوداعي . وكانت الأخبار قد اختلفت بوفاته كثيراً :

قد مات قازانُ بلا مريةٍ ... ولم يمتْ في الحجج الماضيَهْ
بل شنّعوا عن موته فانثنى ... حياً ولكنْ هذه القاضيه

٥٠٩ – الدرر الكامنة ٣ : ٢٩٢ والنجوم الزاهرة ٨ : ٢١٢ ودول الإسلام ٢ : ١٦٠ وذيل العبر : ٢٦ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ كذا في ص ، ولعلها : فل .

٢ ص : همدان .

٣ ص : خرنبدا .

فكتب جواب المطالعة الشيخ شهاب الدين محمود بخطه إلى الأمير سيف الدين طوغان نائب البيرة : ووقفنا على البيتين اللذين نظما في وصف حال قازان وتحقق موته بعد اختلاف الأخبار فيه ، والجواب عنهما :

مات من الرعب وإن لم تكن بموته أسيافنا راضيه
وان يفتها فأخوه إذا رأى ظُباها كانت القاضيه

٥١٠
صفي الدين القرافي

محمود بن محمد بن حامد بن أبي بكر، الشيخ الإمام العالم المحدث المتقن المفيد صفي الدين القرافي الصوفي أخو الشيخ المعمَّر شهاب الدين الصوفي ؛ ولد سنة سبع وأربعين وستمائة ، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

قرأ مسند الإمام أحمد على أبي الغنائم بن علاّن ، وكتب العالي والنازل، وكان فصيح العبارة عذب القراءة ، ديناً صيّناً ؛ حصل له لما تكهل يبس وسوداء ، فاستوحش ولازم الوحدة ، وبقي يحدّث نفسه ؛ ولكنه جمع ونسخ وتعب ، وخلط « صحاح » الجوهري والأزهري و « المحكم » في ديوان واحد ، ووقف كتبه بالخانقاه الشميصاتية ، وبها توفي رحمه الله تعالى .

---

٥١٠ – الزركشي : ٣٢١ والدرر الكامنة ٥ : ١٠٣ ودول الإسلام ٢ : ١٧٦ والبداية والنهاية ١٤ : ١٠٨ وذيل العبر : ١٣٠ ، ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

٥١١
[كشاجم]

محمود بن الحسين ، أبو الفتح الكاتب المعروف بكشاجم ؛ هو من أهل الرملة من نواحي فلسطين ، هو لقَّب نفسه « كشاجم » فسئل[1] عن ذلك فقال : الكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من جواد والميم من منجم . وقال بعضهم : كشاجم طخ ، وزاد الطاء من طباخ والخاء من خراء .

وكان من شعراء أبي الهيجاء [. . .][2] عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة . وله من التصانيف كتاب « أدب النديم » . « كتاب المصايد والمطارد ». « كتاب الطبيخ » . وكانت وفاته في حدود الخمسين وثلثمائة . ومن شعره[3] :

بأبي وأمّي زائرٌ متنقّبٌ ... لم يخفَ ضوءُ الشمس تحت قناعِهِ
لم أستتمَّ عناقَهُ لقدومه ... حتّى ابتدأتُ عناقه لوداعه

وهو من قول العكوّك[4] :

---

٥١١ — الزركشي : ٣٢٢ والديارات : ١٦٧ والشذرات ٣ : ٣٧ (وفيات : ٣٦٠) وحسن المحاضرة ١ : ٥٦٠ (وفيه محمود بن محمد بن الحسين) والفهرست : ١٣٩ ، وقد طبع ديوانه غير مرة ، ولكني أشير هنا إلى مخطوطة دار الكتب رقم : ٥٩٧ أدب ، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : فسأل .

٢ هناك بياض في ص ، ولا أظن أنه سقط شيء في هذا الموضع .

٣ الديوان : ٧٢ .

٤ هو علي بن جبلة ، شاعر عباسي كان ضريراً ، توفي سنة ٢١٣ راجع الأغاني ١٩ : ٢٨٧ والشعر والشعراء : ٧٤٢ وتاريخ بغداد ١١ : ٣٥٩ وطبقات ابن المعتز : ١٧١ وابن خلكان ٣ : ٣٥٠ ونكت الهميان : ٢٠٩ ؛ وجمع شعره الدكتور حسين عطوان (دار المعارف ١٩٧٢).

راقب الخلوةَ حتى أمكنتْ ورعى[1] السامرَ حتى هجعا
كابد الأهوالَ في زورته ثم ما سلَّم حتى ودّعا

ومن شعر كشاجم يصف النار[2] :

كأنما الجمر والرماد وقد كاد يواري من نورها نورا
وردٌ جنيّ القطافِ أحمر قد ذرَّت عليه الأكفُّ كافورا

وقال أيضاً[3] :

جاءت بوجه كأنه قمرٌ على قوامٍ كأنه غُصُنُ
غنَّتْ فلم تبقَ فيَّ جارحةٌ إلا تمنَّتْ بأنها أُذن

وقال أيضاً[4] :

أرى وصالك لا يصفو لآمله والهجرُ يتبعه ركضاً على الأثرِ
كالقوس أقرب سهميها إذا عطفت عليه أبعدها من منزع الوتر

٥١٢

[ابن قادوس]

محمود بن اسماعيل بن قادوس القاضي ، أبو الفتح المصري الكاتب

١ ص : ودعا ، والتصويب عن ابن خلكان والديوان : ٧٦ .
٢ الديوان : ١٠٧ .
٣ لم يردا في الديوان .
٤ لم يردا في الديوان .
٥١٢ – الزركشي : ٣٢٢ والخريدة (قسم مصر) ١ : ٢٢٦ وحسن المحاضرة ١ : ٥٦٣ وأخبار مصر لابن ميسر ٢ : ٩٧ وقال الزركشي : « وقع لي ديوانه في مجلدين لطيفين » وقد أكثر من الاختيار له ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية ؛ أصله من دمياط ، قيل إن القاضي الفاضل كان ممن اشتغل عليه ، وكان يعظمه ويسميه « ذو البلاغتين » ، وكان لا يتمكن من اقتباس فوائده غالباً إلا في ركوبه من القصر إلى منزله ومن منزله إلى القصر ، فيسايره ويجاريه في فنون الانشاء والأدب . توفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ؛ ومن شعره :

وفاترِ النيّة عنينها يواصلُ الرعدةَ والهزّهْ
مكبراً سبعين في مرة كأنما صلّى على حمزه

يشير إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قُتل عمه حمزة رضي الله عنه كان يقدمه[1] كلما صلى على قتيل قتل يوم أحد .

ومن شعره :

ديباجُ خديه بسندسِ عارضيه مطرّزُ
وبخده خال لدا ئرة الملاحة مركز

ومنه أيضاً :

من عاذري من عاذل[2] يلوم في حبّ رشا
إذا جحدت[3] حبّه قال كفى بالدمع شا

يعني كفى بالدمع شاهداً[4] .

وقال أيضاً[5] :

مدادُهُ في الطِّرسِ لما بدا قبّله الصبُّ ومن يزهدُ
كأنما قد حلّ فيه اللمى أو ذاب فيه الحجر الأسود

١ ص : يقدمونه . ٢ ص : عاذلي .
٣ الخريدة : نكرت .
٤ ص : شاهد . ٥ يصف كتاباً .

٥١٣
[شمس الدين الكوفي]

محمود بن أحمد بن عبد الله بن داود بن محمد بن علي الهاشمي الحنفي ، شمس الدين الكوفي ؛ كان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً ظريفاً كيّساً دمث الأخلاق . ولي التدريس بالمدرسة التشيشية ، وخطب في جامع السلطان ، ووعظ في باب بدر . توفي في شهور سنة خمس وسبعين وستمائة ، ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، فمن شعره :

ملابس الصبر نبليها وتبلينا ... ومدة الهجر نفنيها وتفنينا
شوقاً إلى أوجه مُتنا بفرقتها ... حزناً وكانت تُحَيِّينا فتُحيينا
أحزاننا بهمُ لا تنقضي ولنا ... شوقٌ إلى ساكني يبرينَ يبرينا
يا دهر قد مسَّنا من بعدهم حُرَقٌ ... من الفراق إلى التكفين تكفينا
وعدتَنا بالتلاقي ثم تخلفنا ... فكم نرى منك تاويناً وتلوينا
ديارهم دَرَسَتْ من بعدما دُرست ... نفسي بها من تلاقينا تلاقينا
متعت فيها إلى حينٍ فوا أسفا ... إذ عشتُ حتى رأيت الحين والحينا
كنا جميعاً وكان الدهرُ يُسعدُنا ... والكائناتُ بكأسِ الأمن تسقينا
فالآن قرتْ عيونُ الحاسدين بنا ... بما جرى واشتفَتْ منا أعادينا
فصار يرحمنا مَن كان يأملنا ... وعاد يُبعدنا من كان يدنينا
وبات يخذلنا من كان ينصرنا ... وصار يرخصنا من كان يُغلينا
واليوم ألطَفُ كلّ العالمين بنا ... مَن عن أحبتنا أضحى يعزينا

٥١٣ — الزركشي : ٣٢٤ محمود بن عابد ، وبهامشه أن الصواب في اسمه « محمد » ؛ ولم يرد أكثر هذه الترجمة في المطبوعة .

ليت العذولَ يرى مَن فيه يعذلنا ... لعلّه إذ يرى عيناً يراعينا
إلى متى نحملُ البلوى وعاذلنا ... بغير ما هو يعنينا يعنّينا
ما ضرَّ عذّالنا لو أنهم رفقوا ... فعذلهم ليس يسلينا ويسلينا
حمائمُ الدوحِ في الأغصانِ نائحةٌ ... كما نَنوحُ فنحكيها وتحكينا
تشجو وتندبُ من شوقٍ لمن فقدت ... ومن فَقَدنا فنشجيها وتشجينا
قد نسرت يا أحبانا جرائحنا ... وما لنا غيرُ لقياكم يداوينا
أمراضنا من كلام الشامتين بنا ... فهل زمانٌ يشفّينا ويشفينا ؟
إنا عطاشٌ إلى أخباركم فمتى ... يأتي رسولٌ يروّينا ويروينا ؟
بنا إلى عزكم فقرٌ ومسكنةٌ ... فهل بشيرٌ يغنّينا فيغنينا ؟

وقال رحمه الله تعالى :

ارفقْ بصبٍّ لا يريدُ سواكا ... قد صار من فرطِ السّقام سواكا
أسكنته ربْعَ الغرام فيا له ... من ساكنٍ لا يستطيعُ حراكا
بالله[1] مَنْ أفتاك في سفْكِ الدما ... حتى تُسلِّطَ طرفك الفتاكا
كم لي بأكناف[2] الأجيرع وقفة ... عَلّي عَلَى وادي الأراك أراكا
كم صامتٍ بالوجد ينطق حاله ... هذا وكم شاكٍ فؤاديَ شاكا
ضرب الغرامُ على النفوس سُرَادقاً ... والحسنُ مدَّ على العقولِ شباكا
كيف الخلاصُ من الحمى وبربعه الـ ... غزلانُ تنصِبُ للأسود شراكا
وا رحمتا لذوي الهوى من جاهلٍ ... متعقل ومغفّلٍ يتذاكى
قالوا هلكتَ بحبّه فرحمتُ من ... مِنْ جهله عَدَّ النجاةَ هلاكا
كفوا فما أحلى عذابي في الهوى ... عندي إذا كان المعذّبُ ذاكا
يا صاحبي عرِّجْ بجرعاءِ الحمى ... فَهَنَاك رؤيةُ مَن تراه هُناكا

---

١ الزركشي : يا بدر .
٢ ص : بأصناف .

عـَرَبٌ يعزّ المحتمي بجنابهم   والعُـرْبُ ما زالت تعز كذاكا

وقال أيضاً :

ما للقلوبِ سوى الحبيبِ أنيسُ   هو للفؤاد منادمٌ وجليسُ
جبذ القلوبَ إلى هواه جمالُهُ   فكأنه للخلقِ مغناطيس
لا يدرك المعقولُ لطفَ جمالِ مَنْ   أهوى فكيف يناله المحسوس
كم قد كتبتُ إليه قصّةَ غُصّتي   بمداد دمعي والخدودُ طروس
لم يبقِ دمعي وجنتي إلا عسى   يوماً لها قدمُ الحبيب تدوس
دمعي بذكرك مطلقٌ ومسلسلٌ   وصبابتي وَقْفٌ عليك حبيس
الناسُ عشاقٌ وأنت حبيبهم   والكونُ ماشطةٌ وأنت عروس
وحماك كم نُحِرَتْ نحورٌ دونه   وتطايرت عند الدنوّ رؤوس
أيقالُ لي أتلفتَ نفسك في الهوى   عجبي وهل للعاشقين نفوس
جرَّدت نفسي إذ علمت بأنه   لا يستقيم الكيْسُ لي والكيس
وعكستُ حالي في العيونِ كأنّه   نقشُ الفصوص صوابه المعكوس
كم قال قومٌ والحديثُ تعلّةٌ   وادي العروس وما هناك عروس
قد غرّهم آلُ التوهم مثلما   غُرَّتْ بصرحٍ قبلهم بلقيس
يا من دعا أرواحَنا فتبادرتْ   سبقاً وحنّ إلى النفيس نفيس
سارت اليك بنا أيانقنا[1] فلا الا   تقبيل يعجبها ولا التعريس
ومتى وصلن اليك يا كلَّ المنى   ذهب العنا عنّا وزال البوس
العيسُ تشتاقُ العقيقَ لساكنٍ   لولاه ما حنّتْ إليه العيس

وقال أيضاً :

جلا الدجى اذ جلا فينا محيّاهُ   فكم أمات به صبّاً وأحياه
ممنّعٌ تعشقُ الأكوانُ بهجته   بدرٌ بلى ما لبدر التمّ معناه

---

[1] ص : أذيقنا .

أشتاقه وسوادُ القلب منزله والبدر ما زال برج القلب مأواه
أكني بليلى ولبنى حين أذكره صوناً له وبحالي يعلمُ الله
بالحبّ يعرفنا حقاً ونعرفه مكمّل الظّرفِ يهوانا ونهواه
أُديرُ عينيَ في الدنيا وزهرتها فما يروقُ لها في الخلق إلا هو
يسوغُ لي العذلُ إذ يشدو العذولُ به لولاه ما ساغ عندي العذلُ لولاه
لو شاهد القومُ ما شاهدتُ من قمري بالعذل ما نطقوا فيه ولا فاهوا
قالوا تسلَّ عن المحبوب قلتُ لهم حاشا لمثليَ أن يسلو وحاشاه
أما رأى حُسْنَهُ مَنْ فيه يعذلني يا قومُ ما أجهل اللاحي وأغباه
يا عزَّ مَنْ أنت يا مولاي سيده يا ذُلَّ مَن لستَ يا مولاي مولاه
أهيمُ إن رمزَ الحادي بذكرِ حبيـ ـب القلبِ أو هوَ سمّاه وكنّاه
هيّجتَ وجدي بذكرى من كلفتُ به كرّرْ على مسمعي بالله ذكراه
أعِدْ فأن حديثَ الحبِّ في أُذُني واللهِ أطيبُ مسموعٍ وأحلاه

وقال أيضاً رحمه الله :

شهودُ غرامي في هواكَ عدولُ سهادٌ ودمع سائلٌ ونحولُ
وشوقي إلى لقياك شوقٌ مبرِّح ولي شرحُ حالٍ في الغرام يطول
لقد فضح الصبَّ الحمولَ ركائبٌ سَرَيْنَ وأقمارُ السماءِ حمول
سَرَتْ وفؤادي موبقٌ موثقٌ بها تميلُ به الأشواقُ حيث تميل
وهمتُ ولكنْ ما وهمتُ بحبِّ من محاسنُهُ ما إنْ لهنّ مثيل
حبيبٌ تجنّى ظالماً فاحتملتُهُ وكلٌّ محبّ للحبيب حمول
تجنّى بلا ذنبٍ عليّ وملّني وعنّ له عما عهدت يحول
ومالَ على ضعفي ومال إلى العدا وأقبل يُصغي والعذولُ يقول
ولمْ لم ينزّهْ سمعه عن مقالة بها كم أتاني كاشح وعذول
تُرى هل لنا بعد الفراقِ تآلفٌ وهل لي إلى طيبِ الوصالِ وصول

لأشكو إليه ما لقيتُ وما الذي   جرى لي ودمعي شاهدٌ ودليل
فوالله ما يشفي المشوقَ رسالةٌ   ولا يشتكي شكوى المحبِّ رسول

وقال موشح :

قد صفا الوقتُ وقد رقّ النسيمْ   قم بنا نربح
قد خلا السمت ومن نهوى نديم   حقّنا نفرح
في طوى قد شمت جناتِ النعيم   أبداً تُفتح

فاختلسْ من صرف دهرٍ ورقيب   ساعةَ الإمكانْ
فالتواني بعد أن يدنو الحبيب   غايةُ الخسران

في الصبا قد جاء في حال الهبوب   خبرٌ لي راق
وارد أظهر لي ما في الغيوب   هيّج الأشواق
قد تجلّى الآن معشوقُ القلوب   معشَرَ العشاق

ها حبيب القلبِ قد أمسى قريب   أيها النُّدمان
من له من قربه أدنى نصيب   لا يكن نَدمان

تسكرُ الالبابَ كاساتُ الصّبا   عند وقت السحرِ
حين تهوى نشر رايات الربى   وأريجَ الزهر
وترانا نتثنّى طربا   لبلوغ الوطر

احسدينا في التثني إذ نطيبْ   يا غصونَ البان
أبداً لا يستوي [غصن] رطيب   وفتًى نشوان

قد تعرضت بسكان اللوى   وحمى الأجرع
أين من يعرف قانون الهوى   قم ولا تجزع
وائتمر لي واتّبعني في الجوى   وانطبع واسمع

هذه النيران عن يمنى[1] الكثيب تضرم النيران
ما ينال الفوزَ منها ويطيب أبداً كسلان

يا عذولي ليس ذا وقتَ العتاب فأنا مشغولْ
أنا أبغي الآن مع كشف الحجاب أبلغ المأمول
إن تقل أنت قتيلٌ فالجواب رضيَ المقتول

خلّني يا عاذلَ الصبِّ الكئيب كان ما قد كان
فحبيبي نصب عيني لا يغيب من ضميرى دان

وقال أيضاً :

تعالوا نعيد الوصلَ لا كان مَن وشى فحرُّ اشتياقي بعدكم قد حشا الحشا
وبي رشأ ما في البرية لائمٌ نهى روحه والمال زال الرشا رشا
عليّ سخا بالوصل من بعد شُحّه ومن بعد ما قد كان نَعّشَ أنعشا
وشى باسمك الواشي اليّ فسرَّني وسمعيَ يا مولاي لما وشى وشا
حديثك سحرٌ يملأ القلبَ نشوةً وعبدك يا بدرَ الدجى إن تشا انتشا

وقال في خطلوشاه مملوك علاء الدين الجويني :

آه ولا أعذلُ إن قلتُ آه قد قتلتني مقلتا خطلشاه
فعارضاه واشرَحا قصتي له وما قد فعلا عارضاه
لم يفتتن من لا رأى حسنه ولا سبي يا قوم مَن لا سباه
خاطرتُ بالروح لذكري له غاية ما في الباب دقوا قفاه

بلغت هذه الأبيات علاء الدين الجويني فكتب إليه : حرمة الشيب والآداب تمنعنا عن غاية ما في الباب ، وقد رسمنا لمملوكك خطلو شاه يأتي إليك كل نهار كرَّتين .

[1] ص : يمين .

٥١٤
ابن الملحي الواعظ

محمود[١] بن القاسم بن أبي البدر الملحي[٢] ؛ هو الشيخ العالم الفاضل الكامل شمس الدين ابن الملحي الواعظ الواسطي . توفي آخر جمعة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى ، وقد ناهر السبعين ؛ فمن شعره :

رعى الله ربعاً كنتمُ فيـه جيرتي   وعيشاً تَقَضّى مَعكمُ يا أحبتي
وحَيّا زماناً كان يجمعُ بيننا   ونحن جميعاً في سرورٍ ولذة
ولا غَيّرتْ أيدي الزمانِ منازلاً   نزلتم رُباها يا أهيلَ مودّتي
ولا أقفرتْ تلك الديارُ التي بهـا   تقضت ليالي أنسنا وتولت
إذا ما جرى تذكاركم في مسامعي   جرى دمع عيني فوق صفحة وجنتي
فلله ما أحلى قديمَ حديثكم   وأطيبه عندي عشاي وغدوتي
أحبةَ قلبي أين أنسي بقربكم   لقد هدني من بعدكم طولُ وحشتي
تعجلتمُ بالبعدِ لما عرفتكم   فما وقع التعريفُ إلا لشقوتي
أحنُّ إليكم كلما هبّتِ الصَّبا   على أثلاثِ الرقمتين ورَقّتِ
ويطالبكم قلبي على البعد والنوى   وأين سبيلي بعدكم ، أينَ حيلتي
نظرتُ إلى الأحباب يومَ وداعهم   فكانت من الأحباب آخرَ نظرتي
وناديتهم[٣] هذا الرحيل ، متى اللقا   ألا خبروني كم على الصبر مدّتي ؟

٥١٤ – الزركشي : ٣٢٦ والدرر الكامنة ٤ : ٢٦٠ (وفيه محمد بن القاسم كما في ص) ؛ ومعظم الترجمة ثابت في المطبوعة .

١ ص : محمد ، وصوبته عن الزركشي .

٢ الدرر : المليحي .

٣ ص : وناديتم .

وقلت لهم قلبي لديكم وديعةٌ   يسافر مَعْكم فاحفظوا لي وديعتي
عسى تسمحُ الأيامُ تجمعُ بيننا   وترجع أوطاري ولذّاتيَ التي
ويطربُ سمعي من لذيذ حديثكم   وتنظر عيني أنجمي وأهِلَّتي

وقال أيضاً :

أنوحُ إذا الحادي بذكركمُ غنّى   وأبكي إذا ما البرقُ من نحوكم عنّا
وكيف شكا قلبي تداويتُ باسمكم   ونعم الدوا أنتم على قلبيَ المُضْنى
بكم ولَهي لا بالعذيبِ ولا النقا   وأنتم مرادي لا سعاد ولا لبنى
لقد عاش مَن أنتم من العمر حظُّه   ومات الذي في غيركم عمره يفنى
يلذُّ ليَ الليلُ الطويلُ بذكركم   فما أطيبَ الليلَ الطويلَ إذا جَنّا
أحبتَنا أين المواثيقُ بيننا   زمانَ خلونا بالحمى وتعاهدنا
ظنناكمُ للعمرِ ذُخراً وعُدّةً   فيا قربَ ما خيبتمُ بكمُ الظنا
سمعتم من الاعداء قولهمُ بنا   ومن أجلِ ما قالوا تغيرتمُ عنا
تغيرتمُ عنا بصحبة غيرنا   وأظهرتم الهجرانَ ، ما هكذا كنا
وأقسمتمُ أن لا تحولوا عن الوفا   فحلُتم عن العهد القديم وما حلنا
أأحبابنا ما كان أهنأ عيشنا   ولكنه ولّى كطيفٍ بدا وهْنا
مررنا على أوطانكمْ بعد بعدكم   فمذ نحن شاهدنا أماكنكم نُحنا
ولما تخيّلنا جمالكمُ بها   وقفنا على تلك الديار وسلّمنا
سلامٌ على العيش الذي بكمُ مضى   فما كان أشهاه لديَّ وما أهنا
ليالِيَ كان الدهرُ مَعنا موافقا   فلما نأيتمْ ما رأيتُ له مَعنى
لئن عاد ذاك العيشُ يا سادتي بكم   وعدنا إلى تلك الديار كما كنا
غفرتُ لأيامي جميعَ ذنوبها   وقلتُ لكِ الإنعام عنديَ والحسنى

وقال أيضاً :

بدا البرق من حزْوَى فهاج حنينُهُ   وهبّتْ صبا نجدٍ فزاد أنينُهُ

وغَنّى له الحادي بأيام حاجرٍ ففاضتْ بأمطارِ الدموع جفونه
وذكّره العيشَ الذي كان وانقضى فكاد جَوًى يطرا عليه جنونه
غريبٌ بعيدُ الدارِ فارقَ أهله كئيبٌ وحيدٌ بان عنه قرينه
مريضٌ إذا هبَّ النسيمُ من الحمى يطيبُ له خَفَقّاقه وسكونه
تحمل أثقالَ الغرام وماله معينٌ على حمل الغرام يُعينه
وصان الهوى في قلبه كلَّ جهده فلما نأى الأحبابُ بان مَصُونُه
وظنَّ بأن الدهرَ يجمعُ شمله بمن يتمناهم فخابتْ ظنونه
أُهَيلَ الحمى بنتم فدمعيَ مطلقٌ وقلبيَ قد ضاقت عليه شجونه
أهيلَ الحمى لا أوحشَ الربعُ منكم لقد كنتمُ للربع زَيناً يزينه
مررتُ على الوادي وكان زمانكم بلابلُه تشدو وتجري عيونُه
فأبصرته من بعدكم وهو قد عفا وأقفر منه سهله وحزونه
فناديته أين الذين عهدتهم هنا وغديرُ العيش صافٍ مَعينه ؟
فقال ليَ الوادي نأوا وترحلوا وهذا فؤادي للتنائي حزينه
فقلت فهل يسخو الزمان بعَوْدهم فقال لعلَّ الدهر يسخو خؤونه
إلى أن يعود الماءُ في النهر جاريا تموتُ به أطياره وغصونه
وكم مات صب[1] بالتوقع والمنى ولم تُقضَ مَن خصم الزمان ديونه

وقال أيضاً :

هنيئاً لمن أمسى وأنت حبيبُهُ ولو أنَّ نيرانَ الغرام تذيبُهُ
وطوبى لقلبٍ أنت ساكنٌ سرّه ولو بان عنه إلفُه وقريبه
وواهاً[2] لمطرودٍ عن الباب مُبعَد لقد ضاق في هذا الوجود رحيبه
وحقِّك ما مَن ذاق وَصْلكَ ميِّتٌ [يحقّ عليه نَدبه ونحيبه][3]

١ ص : صباً .
٢ ص : وواه ، وهو صحيح عند الزركشي .
٣ اضطرب هذا البيت مع الذي يليه في ص ، والتصويب عن الزركشي .

[أيا غايةَ الآمال مَن أنت أنسه] فكل بلاء عنده يستطيبه
ومن أنت راضٍ عنه في طيّ غيبه فما ضرّهُ والله من يستغيبه
وما ضرّ صباً أن يبيتَ وما لهُ نصيبٌ من الدنيا وأنت نصيبه
عُبَيدُك في باب التطفلِ واقفٌ إذا لم تجبه أنت مَنْ ذا يجيبه
غريبٌ عن الأوطانِ يبكي لذلّةٍ وهل ذاق طعمَ الذلِّ إلا غريبه
فقيرٌ من الأعمالِ أنت غَناؤه مريضٌ من الآثام أنت طبيبه
تقضتْ لياليه وفاتَ زمانُهُ ولم يدرِ حتّى لاح منه مشيبه
غدا خاسراً فالعارُ يكفيه والعنا وقد آن من ضوءِ النهار مغيبه

وقال أيضاً :

سلامٌ عليكم هل تراكمْ علمتمُ بما نال قلبي منذ ساعةِ بنتمُ
وهل عندكم ما عند قلبي من الأسى وهل مثلَ وجدي للفراق وجدتم
أيا سادتي والله عهدي بلذتي وَطيبِ حياتي منذ كنت وكنتم
لياليَ كانت كالنهارِ منيرةً سهرتُ بها من طيبها وسهرتم
فلا كان يوم[١] كان آخرَ عهدكم وقد أسرعَ الحادي سُحَيراً وسرتم
ولا كان يوم[١] فيه خُلِّفتْ بعدكم ونحن بوقفاتِ الوداع نسلم
ترحلتُ عنكم كارهاً غيرَ طائعٍ أؤخر أقداماً وأخرى أقدم
وودعتكم والقلبُ يأبى وداعكم وفي كبدي نارُ الأسى تتضرّم
علمتُ من الأيام كلَّ كريهةٍ ولكنَّ هذا البعدَ ما كنتُ أعلم
حرمتم جفوني أن ترى غيرَ شخصكم كما للذيذ النوم عنها حرمتم
وعيني حرمتم أن تراكم كأنما لقاؤكمُ طيبٌ وجفنيَ مُحْرِم
ربيعي جمادى حيث سمعي لغيركم به رجب منكم ونومي محرّم
ولما حدا حادي الفراق بشملنا وأنجدتُ سراً والأحبة أتهموا

---

١ ص : يوماً .

وأصبح منــكم منزل الأنس خالياً تبينُ عليه وحشةٌ وهو مظلم
وأضمرتُ[1] توديعاً له وهو ساكتٌ ولكنْ لسانُ الحال منه يكلم
وقالت ليَ الأوطان هل عودة بكم فقلت لها ربي بذلك يعلم

وقال موشح :

نَشرَتْ ريحُ الصبا رَوْحَ الصباحْ فصبا المشتاقْ
وبكى عصرَ الصبا الماضي وناح من جوى الإشفاق

قَدَحَتْ في العود نَسماتُ الربيع لهبَ الأزهار
وانثنت ترقُم بالوشي البديع جاريَ الأنهار
فكستْ عن برده البرد الخليع خلع النوار

وبدت في خُضرة الماء القراح صُفْرَةُ الأوراق
كطرازٍ مُذهَبٍ فوق وشاح صنعة الخلاق

مَثَلُ الوردِ على الماء المعين مثلُ الإنسان
زهرةُ العمر له في الأربعين وبدا النقصان
ولقد يُعجِله بعضُ السنين يكسرُ الأغصان

فافهمِ الجدَّ فما المعنى مزاح وافتحِ الآماق
وادخر ما اسطعتمن فعل الصلاح قبل أن تعتاق

مثلُ الدنيا كبيتِ العنكبوت أمره موهون
من بها أيامه سَهواً تفوت فَهُوَ المحزون
[. . . . .]
فسعيدٌ مَن عنِ الهم استراح وابتغى ما راق
وإذا حفَّ من الطير الجناح أدرك السباق

---

[1] ص : وأضمر .

ما لأهل النوم في الليل نصيب　　مِن لقا المحبوب
لا ولا تلقى بعيداً كالقريب　　يدرك المطلوب
وكذا من لا يرى وجهَ الحبيب　　إنه مكروب

فدع النومَ فصبحُ الشيب لاح　　مسفرَ الإشراق
وانقضى ليلُ الصِّبا الداجي وراح　　مثل ركب ساق

أين أهلُ الأرضِ من أيام عاد　　أين أهل الأرض
وقرونٌ ملأوا هذي البلاد　　طولها والعرض
سيعودُ الكلُّ في يوم المعاد　　إذ يقوم العرض

كلهم يسعى إذ ما الصورُ صاح　　شاخصَ الأحداق
فلَكَمْ من أوجهٍ ثمَّ صِباح　　حظُّها الإحراق

سيمور الفلك الأعلى المحيط　　من علا الأفلاك
ويضيق الخرقُ من هذا البسيط　　وترى الأملاك
عندها كلّ خليل وخليط　　قلبه ينساك

وترى الأعينَ تجري بانسفاح　　دمعها الدفاق
زائداتٍ فوق أمواهِ البطاح　　تبلغُ الأعناق

أرتجي ربي ويكفيني الرجا　　فهو الغفار
والنبيَّ المصطفى بدرَ الدجا　　أحمدَ المختار
مَن على سنته سار نجا　　من لهيب النار

مرشدَ الخلق إلى سُبل النجاح　　طاهر الأعراق
ذا الندى بحر العطايا والسماح　　طيبَ الأخلاق

وقال أيضاً :

ما غردتِ الورقُ معَ الإشراقِ　　فوق الوَرَقِ

إلا وحملت من جوى الأشواقِ   ما لم أُطِقِ
ما نسَّمت الصَّبا صباحاً وسرت   إلا بمسيرها لروحي أسرَتْ
بالله ولا ذكرتُ أيامكمُ   إلا ومدامعي من الشوق جرت

أصبو فإذا ما التهبتْ بي ناري   ظلت حدقي
تبكي أسفاً لعلّ دمعي الجاري   يطفي حرقي

أيامكمُ قضيت عيشاً رغدا   بنَّم فبقيت بعدكمْ منفردا
ما أوحشَ دنياي إذا لم أرَكُمْ   لا أوحشني الزمانُ منكمْ أبدا

يا مصطبحي الصفو عن الأكدار   يا مغتبقي
من بعدكمُ غرقت في تيار   بحر الغرق

من يومِ عدمتكم عدمتُ الفرحا   واعتضت بغصةِ الجوى والبرحا
والقلب سقاه دهره بعدكمُ   كأسا وإلى الآن فما عاد صحا

سكرانُ من الغرام والتذكار   بادي القَلَقِ
ظمآن إلى أُهيله والجار   حِلف الأرق

ودعتكم وعبرتي تندفقُ   والقلب بنار وجده يحترقُ
ناديتُ قفوا بالله كي أنظركم   هيهات نعودُ بعدها نتفق

قد كان تَبَقّى ليَ من أوطاري   بعضُ الرمَق
فاسترجع مني بيد الأقدار   ما كان بقي

ما أشوقني إلى قدومِ الغيّاب   ما أتوقني إلى وجوه الأحباب
إن عاد لي الزمان يوماً[1] بهمُ   لم يبق على الزمان والله عتاب
أو إن أمنتْ بقربهمْ أسراري   بعد الفرق

---

[1] ص : يوم .

حدثتهم بكلِّ ضيم طاري القلبُ لقي

وقال أيضاً :

كلٌّ من يبكي على إلف جفاه أو حبيبٍ ماتْ
وأنا أبكي على طيب الحياه وزمان فات
أين عمري ، وعلى عمري وآه خلّف الحسرات

زار كالطيف وولّى بسلام حامل الأوزار
لم يكن إلا كطيفٍ في المنام أو كطير طار

كلما أُفكِرُ في عمر الشبابْ ونزولِ الشيبْ
وفعالٍ ليَ أحصاها[1] الكتاب كم بها من عيب
كدتُ أن أحثو[2] على رأسي التّراب وأشقّ الجيب

وأنادي من يعزي المستهام فاقد الأوطار
وقته فات وما نال المرام وكفاه العار

كلما قلت عسى قلبي الشقي يبلغ الآمال
وأنالُ الخيرَ فيما قد بقي وتجود الحال
حطني الدهر فكم ذا أرتقي والمدى قد طال

وكأنْ قد جاءني داعي الحمام بلّغ الإنذار
فانثنت بعدي أغاريدُ الحمام تندب الآثار

بان من كانوا لقلبي مؤنسين من جميع الناس
رحلوا فاليوم لي قلبٌ حزين دائمُ الوسواس

---

١ ص : أحصاه .
٢ ص : أحثي .

فتراني خاضعاً للشامتين مطرقاً[1] بالراس
غائصاً في بحر فكر وغرام مَوْجُه زخّار
لا أبالي مَن رحلْ أو من أقام من جوى الأفكار

أين من كانوا لضيمي[2] مُشتكى ولأسـرار ي
أين من كانوا لظهري متكا أين أنصاري
بينما هم مثلُ بستانٍ زكا نهره جاري
هبَّ فيهم عاصفُ الموت الزؤام بهوا الإعصار
فإذا النبتُ به عَصْفُ حُطام نهره قد غار

جُزْ بأطلالٍ خلَتْ بعد السكن[3] واندبِ الأطلال
أين سكانك يا هذي الدِّمَنْ والعلا والمال
إنها إن لم يكن فيها سكن ليقول الحال
ها هنا كنا جميعاً بانتظام في الذي نختار
أصبحت دارهُمُ بعد الزحام ما بها ديّار

أيها الخاطي بليلِ الخاطئين لاح ضوءُ الفجر
انتبه قبل لحاق الأولين ومضيق الحجر
واصطبر فالله يجزي الصابرين بعظيم الأجر

فبيومٍ وبشهرٍ وبعـام تنقضي الأعمار
وجزاء الخلق في يوم القيام جنة أو نار

ليس لي غير إلهي ذي[4] الكرم غافر الزلات

---

١ ص : مطرق .
٢ ص : لظيمي .
٣ ص : السكون .
٤ ص : ذا .

والنبيّ المصطفى بدر الظُّلَمْ صاحب الآيات
أحمد الهادي الرسول المحتشم سيد السادات

بدرُ حقٍّ يخجلُ البدرَ التمام مشرق الأنوار
الذي كان تغشاه الغمام وهو في الاسفار

سلم الله عليه وعلى آله الأعيان
وعلى صِديّقه تاج العلا سابق الإيمان
وعلى الفاروق مأمونِ الملا والرضا عثمان
وعليٍّ فارسِ الجيشِ الهمام الفتى الكرّار
وعلى أولاده الزهرِ الكرام خيرةِ الأخيار

وقال كان وكان :

دَعْ عَنْكَ شُرْبَ الهاليلجْ يا من فؤاده به حمى
واترِكْ ذنوبك أيْ مَنْ ما يحمل التعذيب

أهوالْ يوم القيامَهْ حدّث عن البحر ولا حرج
أقلّ ما في النوبه الطفل فيهِ يشيب

القبر قال نبيّك أوّل منازل الآخره
من أوّل الدنّ دُرْدي والله الأخير عجيب

من بالأملْ يتمسك مثل الذي يقبض الهوا
ومَن مِن الثلجْ بيتو لا يأمن التخريب

مَن الغُراب دليله أي المنازل يسكنو
ومن لإبليس يتبع يبصر لايش يصيب

من تاب عن ذنب واحد وذنب آخر عاد فعل
كمن هرب من رَشْقَهْ قعد حذا مزريب

على الطبيب النسخهْ وما عليه المزوّره
من أهلكه تخليطه ما يلتزمْ بو طبيب

إن كنت فحل ثابت نما تميل مع الهوى
الفحل للقلع آمن وما يخاف الهيب

خليتْ أرض الجنه ما فيها نخله واحده
واخترتْ أرض الدنيا جريب خلف جريب

فِدَرْبْ دينار تعبر نسيت درب المقبره
لو جزتْ في دربْ صالح عرفت درب حبيب

عاملت دنياك مسدّه فعامل الله مثلها
إن ريتْ أنك تخسر فارجع وقل تجريب

إذا خلوت بنفسك فعلت ما لا ينبغي
أي من خلا أين تخلو والحقّ منك قريب

ترمي ليوسف قلبك في منقلب جبّ الهوى
وعند يعقوب تبكي تقول أكله الذيب

أفنيت بندقْ عمرك في رمي عصفور الهوى
وللجليل ما عرفته لإيش بقيت تصيب

تدبّ فوقك نمله تمد إيدك ترضّها
يا من يرض النمله كم في التراب دبيب

تِمّ العمل يا شبيطر لا تتبع نسر الأمل
وأيْ عقاب المظالم القوس في التعقيب

تسفّ في قربانك سحت الحرام ولا تسلْ
هم يوم تصرع وتخرج من الجميع سليب

حـلوان قولك وسمتك لكن مراغه داخله
مالك إلى الحق موصل فكيف تصل للطبيب

قل للفقيه المهذب قلبك يكنْ فيهْ تبصره
فإن تنبيـه قلبك تتمـة التهذيب

لا بدّ ذي حركاتك بعد التصرف تنجزم
وواو جمعـك وحيتك تخرج بلا ترتيب

اذخر لنفسك ذخيره عسى تراها في غدا
نمي تعذب وغيرك بما جمعت يطيب

لا بدَّ لكْ أن تفلس ولا يغركْ ذا الغنى
ولو ورثت الدنيا بالفـرض[1] والتعصيب

أي من بشوطو واقف في منصف العمر انتبه
واسرع فشمس حيّاتك بقى القليل وتغيب

شرفك بالنفس ما هو بالنقش والنفش والنسب
قـد قـال : سَلمان منا ولم يكن بنسيب

من خاط ثوب المعالي بلا جميل يحمله
أصبح وسـتره شهره وبان وفيــه وريب

واسط مقام الفصاحه بغداد دار الأذكيا
وأنا فقير حصل لي من كل أرض نصيب

فصار معجونْ قلبي يشفي القلـوب من المرض
ولا يشوبـُه مراره لأنّ فيه تركيب

---

١ ص : بالقرض .

وأنشده شخص هذين البيتين :

أيامنا بالحمى حيِّيت أياما　　وزادك الله إجلالاً وإكراما
بالأمس قد كنتِ أحلى ما بأنفسنا　　فما أصابك حتى صرت أحلاما

وسأله أن يزيد عليها[1] فقال :

يا سادةً جرحوا قلبي ببينهمُ　　وحمّلوه على الآلام آلاما
لله ليلاتُ أنسٍ كنَّ لي بكمُ　　عصيتُ فيهن عذالاً ولُوّاما
كانت لنا من عطيات الزمان فما　　دامت علينا ولا المعطي لها داما

وقال ذوبيت :

لما رأتِ العينُ بياضَ الشعراتْ　　فاضت أسفاً وقرحتها العبراتْ
ثم التفتت إلى الصّبا وهي تقول　　قف صلِّ على العمرِ صلاةَ الأموات

وقال أيضاً :

ما يلمعُ بارقٌ بذاتِ العلمينْ　　إلا وبعين كلِّ عين ليَ عينْ
تالله ولا أنظرُ يوماً حسناً　　إلا ويقول خاطري أين وأين

وقال أيضاً :

في أيّ بطالةٍ وفي أي زمانْ　　أستبدلُ في الهوى فلاناً بفلانْ
أرجو بدلاً هيهاتِ ولّى عمري　　قد كان من الصبا ومني ما كان

---

[1] كذا في ص.

٥١٥
تاج الدين الصرخدي

محمود بن عابد[١] بن حسين بن محمد ، الشيخ تاج الدين أبو[٢] الثنا التميمي الصرخدي النحوي الشاعر المشهور الحنفي ؛ ولد بصرخد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وتوفي بدمشق سنة أربع وسبعين وستمائة ، وكان فقيهاً صالحاً ، نحوياً بارعاً ، شاعراً محسناً ماهراً ، متعففاً خيّراً متواضعاً دمث الأخلاق ، كبير القدر وافر الحرمة . وكان سكنه بالمدرسة النورية ؛ ومن شعره قوله :

عجباً لقدّك ما ترنّح مائلا ... إلا وقد سلب الغصونَ شمائلا
ولسقم جفنك كيف صحَّ بكسرةٍ ... فيه وأصبح باللواحظ نابلا
ولناظرٍ حاز الولايةَ فاغتدى ... من غير عزلٍ للمعاطف عاملا
وإذا علمتَ بأن ثغرك منهَلٌ ... في روضةٍ فعلامَ تَحْرِم نائلا
في بحرِ خدّك راحَ صُدغُك زورقاً ... فلحبسه مدَّ العذارُ سلاسلا
وأظنّ موجَ الحسن يقذفُ عنبراً ... أضحى له نبتُ السوالف ساحلا
ومن العجائب أنّ سائلَ أدمعي ... قد جاء يستجدي عذارَك سائلا

وقال أيضاً :

ما للفؤاد إذا ذكرتك يخفقُ ... والدمعُ من عيني يسحُّ ويدفقُ

---

٥١٥ – الزركشي : ٣٢٦ وعبر الذهبي ٥ : ٣٠٢ والشذرات ٥ : ٣٤٤ وقال الزركشي : « ووقفت على المفصل للزمخشري وعليه خط الإمام زين الدين ابن معطي النحوي وذكر ان الصرخدي هذا قرأه عليه قراءة بحث وإتقان عظيم » ؛ وأكثر هذه الترجمة لم يرد في المطبوعة .

١ ص : عايد ، ولا إعجام عند الزركشي .

٢ ص : أبي .

وإذا رأيتك فاللسانُ مهابةً ... خَرِسٌ ودمعي بالصبابة ينطق
ما ذاك إلا أنّ قلبي موثَقٌ ... بالأسرِ منك وأن دمعي مطلق
لا غروَ أن خفق الفؤاد فإنه ... في العطف من غصن القوام معلق
وبمهجتي بدرٌ له من قدّه ... رمحٌ عليه من الذؤابة سَنجَق
أضحى بقلبي ساكناً ووشاحُهُ ... أبداً كمسكنه يجولُ ويقلق
يا قاطعاً نومي ولم يسرقْ له ... حسناً وليس النومُ ممن يسرق
عيني التي سرقت نصابَ الحسن من ... وجهٍ عليه من الملاحة رونق
قالوا انتظر منه زيارةَ طيفه ... فلسوفَ يأتيك الخيالُ ويطرق
فأجبتهم[1] والقلب من أشجانه ... مُثرٍ ومن حُسْنِ التصبّر مملق
مالي وللطيف الطّروقِ وإنما ... كلفي به وله أحبّ وأعشق

وقال أيضاً :

تأنّوا ففي طيِّ النسيمِ رسائلُ ... وميلوا فانّ البانَ بالسفح مائلُ
وما مال إلا للسؤال وعنده ... حديثُ هوًى فاستخبروه وسائلوا
روى خبراً عن بانِ نعمانَ مرسلاً ... وأسند عنه ما حكته الشمائل
فعلَّلَ معتلاًّ وحرَّك ساكناً ... من الوجد أضحى وهو في الحال عامل
خذوا عن يمين البانِ قد بلغ الهوى ... أواخرَ لم تُبلَغْ لهنّ أوائل
وقصُّوا غرامي للنسيم فإنه ... غريمي إذا ما هيّجتني البلابل
وميلوا إلى رمل الحمى علَّ سِرْبَهُ ... تلاحظكم غزلانُهُ وتغازل
سقى دمنةَ الوادي بمنعَرَجِ اللِّوى ... من المزنِ محلولُ النطاقين هاطل
ففيها صَفَتْ[2] عند المقيلِ ظلالها ... ومنها صَفَتْ عند الورود المناهل
وإن سؤالي للنسيم عُلالةٌ ... كما أنّ دمعي للمنازلِ سائل

---

١ ص : فأجبته .
٢ ص : صفت .

٥١٦

[المختار الثقفي]

المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ؛ قال ابن عبد البر : لم يكن بالمختار ، كان أبوه من جلة الصحابة ؛ ولد المختار عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية ، وأخباره غير مرضيّة حكاها عنه ثقات مثل سويد ابن غفلة والشعبي وغيرهما .

كان معدوداً في أهل الفضل والخير يتراءى بذلك ويكتّم الفسق ، إلى أن فارق ابن الزبير وطلب الامارة ؛ وكان المختار يتستّر بطلب دم الحسين رضي الله عنه ؛ يقال إنه كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار رافضياً . وكان يضمر بغض عليّ ويظهر منه أحياناً لضعف عقله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون في ثقيف كذاب ومبير ، وكان الكذاب المختار كذب على الله تعالى وادّعى أن الوحي يأتيه من الله تعالى ؛ والمبير الحجاج بن يوسف .

وقتل المختار في رمضان سنة سبع وستين ، قتله مصعب بن الزبير .

والفرقة المختارية من الرافضة إليه تنتسب ، كان يقول بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي رضي الله عنه ، وتبرأ منه محمد بن الحنفية لما بلغه من مخارمه ، لأنه اتخذ كرسياً غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو عندنا بمنزلة التابوت الذي كان في بني

---

٥١٦ — تجد أخباره في المصادر التاريخية (حوادث سنة ٦٥ — ٦٧) وانظر أيضاً أنساب الأشراف والمصادر الخاصة بالفرق الإسلامية ؛ وقد ترجمت له بعض الكتب الخاصة بتراجم الصحابة ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

سرائيل فيه السكينة ؛ واتخذ حمام[1] أبيض طيرها في الهوا وقال لأصحابه : إن الملائكة تنزل عليكم في صورة حمامات بيض . وألف اسجاعاً باردة ، وادّعى النبوة .

٥١٧
أبو الفوارس ابن منقذ

مرهف بن أسامة بن منقذ ، الإمام العالم مقدم الامراء أبو الفوارس ابن الأمير الكبير الأديب مؤيد الدولة أسامة ، الكناني الشيزري أحد أمراء مصر ؛ ولد بشيزر وسمع من أبيه وغيره ، وكان مسناً معمراً شاعراً كوالده ، وجمع من الكتب شيئاً كثيراً ، وتوفي سنة ثلاث عشرة[2] وستمائة ؛ ومن شعره :

رحلتم وقلبي بالولاء مشرّقٌ   لديكم وجسمي للعناء مغرّبُ
وما أدّعي شوقاً فَسُحْبُ مدامعي   تترجم عن شوقي إليكم وتعرب
ووالله ما اخترتالتأخرَ عنكمُ   ولكنْ قضاءُ الله ما منه مهرب

وقال أيضاً :

سمحتُ بروحي في رضاك ولم تكنْ   لتعجزَني لولا رضاكَ المذاهبُ

....

١ كذا في ص .

٥١٧ – الزركشي : ٣٢٩ والخريدة (قسم الشام) ١ : ٥٧١ ومعجم الأدباء ٥ : ٢٤٣ (في ترجمة أسامة) وذيل الروضتين : ٩٣ ؛ وقال ياقوت : « واسع الخلق شائع الكرم » وذكر أنه باع أربعة آلاف مجلد من كتبه في نكبة لحقته فلم يؤثر ذلك فيها ، ومولده سنة ٥٢٠ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ ص : عشر .

وهانت لجرّاك[1] العظائمُ كلها علَيَّ وقد جلّتْ لديَّ النوائب[2]
فمهلاً فلي في الأرض عن منزل القلى مسارٌ إذا أحرجتني ومسارب
وإن كنتَ ترجو طاعتي بإهانتي وقسري فإنَّ الرأيَ عنك لعازب

وكان قد أقعد لا يقدر على الحركة إلا أنه صحيح العقل والذهن والبصر ، غير أن سمعه ثقل ؛ وكان السلطان صلاح الدين قد أقطعه ضياعاً بمصر وأجراه أخوه العادل على ذلك ، وكان الكامل ابن العادل يحترمه ويعرف حقه ، رحمه الله تعالى .

٥١٨

[مروان بن الحكم]

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله ؛ ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان رضي الله عنه ، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان .

ونظر اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً فقال له : ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك .

وكان مروان يقال له « خيط باطل » وفيه يقول عبد الرحمن [ابن]

---

١ ص : لمجراك .

٢ هذا البيت وقع ثالثاً في ص ، وآثرت الترتيب الوارد عند الزركشي وياقوت .

٥١٨ — أخباره في المصادر التاريخية الكبرى كالطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الأثير ..الخ وانظر الروحي : ٢١ والفخري : ١٠٩ والإصابة وأسد الغابة وتهذيب التهذيب ١٠ : ٩١ والبدء والتاريخ ٦ : ١٩ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٠٦ ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

أخيه لما بويع :

فوالله ما أدري وإني لسائلٌ حليلةَ مضروب القفا كيف تصنعُ
لحى الله قوماً حكّموا خيط باطلٍ على الناس يعطي من يشاءُ ويمنع

وولاه معاوية مكة والمدينة والطائف ثم عزله وولى سعيد بن العاص ثم ولاه ثم عزله بالوليد بن عقبة ؛ فلما مات معاوية وتولى يزيد ثم مات يزيد وتولى ابنه معاوية ومات معاوية وثب عليها مروان وقال :

إني أرى فتنةً تغلي مراجلها والملكُ بعد أبي ليلى لمن غلبا

ثم التقى هو والضحاك بن قيس بمرج راهط وقتل الضحاك .

وكان مروان قد تزوج أم خالد بن يزيد ليضع منه ، فوقع بينه وبين خالد كلام، فأغلظ له مروان في القول وقال له : اسكت يا ابن الرطبة ؛ فدخل خالد على أمه وقال لها : هكذا أردت يقول لي مروان على رؤوس الناس ! ! فقالت : اسكت فوالله لا ترى بعدها منه شيئاً تكرهه ، وسأقرّب عليك ما بعد ، فلما نام مروان تلك الليلة قامت إليه مع جواريها وغمّته حتى مات . وكانت خلافته تسعة أشهر ، وكانت وفاته في رمضان سنة خمس وستين للهجرة ، ومات وله أربع وستون سنة ، وصلى عليه ابنه عبد الملك ، وكان مولده ليلة بدر لسنتين من الهجرة ، رحمه الله .

٥١٩
مروان الحمار

مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الملقب « الحمار » و « الجعدي » نسبة إلى مؤدبه الجعد ابن درهم ؛ كان لا يجفّ له لبد في محاربة الخوارج ، ولد بالجزيرة سنة اثنتين[١] وسبعين وقتل سنة اثنتين[١] وثلاثين ومائة ، وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام والدهاء[٢] ؛ بويع له في نصف صفر سنة سبع وعشرين ومائة .

أدخل عليه يزيد بن خالد القسري وكان قد حاربه قبل أن يلي الخلافة فلفّ منديلاً على إصبعه ثم أدخلها في عين يزيد فقلعها واستخرج الحدقة ثم أدار يديه فاستخرج الحدقة الأخرى ، وما سمع من يزيد كلمة .

وسار مروان لحرب بني العباس في مائة وخمسين ألفاً[٣] حتى نزل قريباً[٤] من الموصل ، فالتقى وعبد الله بن علي عم المنصور في جمادى الآخرة[٥] سنة اثنتين[١] وثلاثين ومائة فانكسر مروان ؛ وتقرب عبد الله من الشام وملك دمشق ، وهرب مروان ودخل مصر وعبر الصعيد ، فوجه عبد الله أخاه صالحاً في طلبه ، وعلى طلائعه عمرو بن اسماعيل ، فساق عمرو في أثره

---

٥١٩ – أخباره في المصادر التاريخية الكبرى كالطبري واليعقوبي والمسعودي وابن الأثير وابن خلدون وتاريخ الإسلام للذهبي...الخ ؛ وتاريخ الخلفاء : ٢٧٨ والروحي : ٢٨ والفخري : ١٢٣ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : اثنين .

٢ ص : والدما .

٣ ص : وخمسون ألف .

٤ ص : قريب .

٥ ص : الآخر .

فاحقه بقرية بوصير فقتله وله من العمر اثنتان[1] وستون سنة .

وكان أشقر أزرق ، فقدم عليه شخص أوّل ولايته فرآه على هذه الصورة فلوى وجهه وقال : ما خلق الله هذه الصورةَ لأن يضع فيها خيراً أبداً ، فبلغه كلامه فأحضره وقال : أنت القائل كذا ؟ والله لأكذبنّك ، ثمّ أمر له بجملة وافرة وصرفه ، فانصرف الرجل وهو يقول : صورة شر ما نفع الله عندها إلاّ بالشرّ .

ولما وصل إلى بوصير قطع لسان قائد[2] من قواده اتهمه مكاتبة بني العباس ، فاختطفته هرّة فأكلته ، وفي عشية ذلك اليوم وصل عسكر عبد الله بن عليّ ودخلوا الدار التي فيها مروان فسلّوا لسانه من قفاه ورموا به على الأرض، فجاءت تلك الهرة بعينها فأكلت لسانه .

ومن شعر مروان قوله من قصيدة :

أبلغ نزاراً[3] وَعُرْبَ الشام قاطبةً ... وبالجزيرة واخصص قيس غيلانا
من ذا الذي يرتجي بعدي مودّتكم ... وأن تكونوا له في الناس أعوانا

وكان يلقب بالحمار لثباته في الحرب .

---

١ ص : اثنان .
٢ ص : قائداً .
٣ ص : نزار .

٥٢٠
أبو الشمقمق

مروان بن محمد ؛ هو أبو[1] الشمقمق الشاعر ، له في الجد والهزل أشياء ؛ توفي في حدود الثمانين ومائة ، وكان يهجو الشعراء الكبار مثل بشار بن برد وغيره من أهل عصره ، وكانوا يصانعونه بالمال وله عليهم رسمٌ في كلّ سنة ، ومن شعره[2] :

شرابك في السحاب إذا عطشنا ... وخبزك عند منقطع التّرابِ
وما روّحتنا لتذبّ عنّا ... ولكن خفتَ مرزئةَ الذباب

وقال[3] :

إذا حججتَ بمال أصله دَنِسٌ ... فما حججتَ ولكن حجّتِ العيرُ
لا يقبلُ الله إلاّ كلّ طيبةٍ ... ما كلُّ حجٍّ ببيت الله مبرور

وشخص أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل ، فلما مرّ ببعض الدروب اندق اللواء ، فاغتّم خالد لذلك وتطيّر منه ، فقال أبو الشمقمق[4] :

---

٥٢٠ – الزركشي : ٣٢٩ وطبقات ابن المعتز : ١٢٦ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٤٦ وابن خلكان ٦ : ٣٣٥ وقد جمع شعره غرونباوم (شعراء عباسيون : ١٣٠ – ١٥٧)؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : ابن .

٢ شعراء عباسيون : ١٣١ وهي في هجاء جعفر بن أبي زهير .

٣ شعراء عباسيون : ١٣٧ .

٤ شعراء عباسيون : ١٤٧ .

ما كان مندقّ اللواء لطيرةٍ تُخْشى ولا شرٌّ يكونُ معجّلا
لكنّ هذا العودَ أضعف متْنَهَ صِغَرُ الولايةِ فاستقلّ الموصلا

فسرّي عن خالد ، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون فزاده ديار ربيعة ، فأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم .

٥٢١
[والد أسامة]

مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، والد أسامة؛ قال السمعاني : رأيت مصحفاً بخطه بماء الذهب ما أظن الرائين رأوا مثله . وتقدم بحسن تدبيره على رهطه ، وأسنّ وعمّر ، وله الأولاد الأمجاد النجباء . ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتوفي بشيزر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ؛ وكتب بخطه سبعين ختمة .

ومن شعره[١] :

ظلومُ أبتْ[٢] في الظلم إلا تماديا وفي الصدّ والهجران إلا تناهيا
شكتْ هجرَنا والذنبُ في ذاك ذنبها فيا عجباً من ظالمٍ جاء شاكيا
وطاوعتِ الواشين[٣] فيّ وطالما عصيتُ عذولاً في هواها وواشيا

---

٥٢١ – الزركشي : ٣٢٩ والخريدة (قسم الشام) ١ : ٥٥٨ وابن خلكان ١ : ١٩٩ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٦٠ والروضتين ١ : ١١١ ومعجم الأدباء ٥ : ٢٢٧ (في ترجمة أسامة)، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ الأبيات في الخريدة ١ : ٥٦٠ والزركشي ومعجم الأدباء .
٢ ص : أنت .
٣ ص : الواشون .

ومال بها تيهُ الجمال ِ إلى القلى	وهيهات أنْ أُمسي لها الدهرَ قاليا
ولا ناسياً ما استودعتْ من عهودها	وإن هي أبدتْ جفوةً وتناسيا

منها [1] :

وقلتُ أخي يرعى بنيَّ وأُسرتي	ويحفظُ فيهمْ عهدتي وذماميا
ويجزيهمُ ما لم أكلفه [2] فعله	لنفسي فقد أعددته من تراثيا
فأصبحتُ صِفرَ الكفّ مما رجوته	أرى اليأس قد غطّى سبيلَ رجائيا
فمالك لما أن حنى الدهرُ صعدتي	وثلّمَ مني صارماً كان ماضيا
تنكّرتَ حتى صار بِرُّكَ قسوةً	وَقُرْبُكَ منهم جفوةً وتنائيا
على أنني ما حلت عمّا عهدته	ولا غيّرتْ هذي السنون وداديا
فلا زعزعتك الحادثاتُ فإنني	أراك يميني والأنامَ شماليا

٥٢٢

مزبد المدني

مزبد – بالزاي والباء المشدّدة المكسورة ودال مهملة – أبو إسحاق المدني ؛ كان كثير المجون حلو النادرة ، له أخبار كثيرة في البخل ، فإنه كان مُبَتَخّلا إلى الغاية ؛ قيل إنه صبَّ عليه الماء يوماً ، فسألته امرأته عن ذلك فقال : جلدت عميرة ، ثم إنه رآها بعد أيام تصبّ عليها الماء ، فسألها عن ذلك فقالت : جاءت عميرة فجلدتني .

١ كان أخوه « سلطان » كثير الحسد له على أولاده فهو يعاتبه في هذه الأبيات .
٢ ص : أكلف .
٥٢٢ – نوادره في الحيوان والبيان والتبيين للجاحظ والبصائر للتوحيدي وثمار القلوب : ٤٧٠ ومحاضرات الراغب .

وأحضره بعض ولاة المدينة ، وقد اتّهمه بشرب الخمر ، فاستنكهه فلم يجد له رائحة ، فقال : قيئوه ، فقال : ومن يضمن عشائي أصلحك الله ؟

وقيل له هل لك في الخروج إلى قبا والعقيق ، وأخذ ناحية قبور الشهداء ، فإن يومنا كما ترى طيباً[1] ؟ فقال : اليوم الأربعاء ولست أبرحُ من منزلي ، قالوا : وما تكره من يوم الأربعاء ، وفيه وُلدَ يونس ابن متّى ؟ فقال : بأبي أنتم وأمي فقد التقمه الحوت ، قالوا : فهو اليوم الذي نصر الله فيه النبيَّ صلى الله عليه وسلم على الأحزاب ، قال : أجل ولكن بعد إذ ﴿زاغت الأبصارُ وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ وتظنون بالله الظنون﴾ (الاحزاب : ١٠) .

وهبّتْ يوماً ريحٌ شديدةٌ فصاحَ الناس : القيامة ، القيامة ، فقال مزبد : هذه القيامة على الريق بِلا دابةِ الأرْضِ ولا الدّجّال ولا يأجوج ومأجوج ! ! .

ومرض مرة فقال له الطبيب : احتمِ[2] ، قال : يا هذا أنا ما أقدرُ على شيء إلا على الأماني ، أفأحتمي منها ؟ !

ورآه إنسان وهو بالرُّها وعليه جبة خزّ فقال : هَبْ لي هذه الجبة ، فقال : ما أملك غيرها ، فقال الرجل : فإن الله تعالى يقول : ﴿وَيُؤثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ولو كان بهمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر : ٩) ، فقال : اللهُ أرحم بعباده من أن ينزل هذه الآية بالرُّها في كانون ، وإنما أنزلتْ بالحجازِ في حزيرانَ وتموز وآب .

ونظر يوماً إلى امرأته وهي تصعد في سلم فقال لها : أنت طالق إن صعدت ، وأنت طالقٌ إن نزلت ، وأنت طالقٌ إن وقفت ، فرمت بنفسها إلى الأرض ، فقال لها : فداك أبي وأمي ، إن مات مالك احتاج الناس إليك لأحكامهم .

---

١ كذا في ص .

٢ ص : احتمي .

واشترى يوماً جاريةً فسُئل[1] عنها فقال : فيها خلتان من خلال الجنة : البرد والسعة .

وقيل له : ما بالُ حمارك يتبلد إذا رجع إلى منزله ؟ قال : لأنه يعلم سوء المنقلب .

وقيل له : أيولدُ لابن ثمانين ولدٌ ؟ قال : نعم ، إذا كان له جارٌ ابن ثلاثين سنة .

وسمع رجلا[2] يقول : عن ابن عباس أنه قال : مَن نَوى حجة فعاقه عنها عائقٌ كتبت له ، فقال مزبد : ما خرج كرًى أرخص من ذا العام .

وطلب منه بعض جيرانه ملعقة ، فقال : ليت لنا ما نأكله بالأصابع .

وهبَّتْ بالمدينة ريحٌ صفراء أنكرها الناس وفزعوا ، فجعل مزبد يدقُّ أبواب جيرانه ويقول : لا تعجلوا بالتوبة ، فإنما هي وحياتكم زَوْبَعة ، والساعة تنكشف .

وكان مرَّةً نائماً في المسجد ، فدخل إنسان فصلّى وقال : يا رب أنا أصلي وهذا نائمٌ ، فقال : يا بارد ، سَلْ حاجتك ولا تُحَرّشه علينا .

وصلّى يوماً ، فلما فرغ دعا ، فقالت امرأته : اللهمَّ أشركني في دعائه ، فسمعها ، فقال : اللهمَّ اصلبني .

وغضب يوماً عليه بعضُ الولاة ، فأمر الحجامَ بحلق لحيته ، فقال له الحجام : انفخ شدقك حتى أتمكن من الحلاقة ، فقال : الوالي أمرك بحلق لحيتي أو تعلمني الزمر ؟ !

وقيل له : كيف حبك لأبي بكر وعمر ؟ فقال : ما ترك الطعام في قلبي حباً لأحد .

ودخل يوماً على بعض العلويين ، فجعل يعبثُ به ويؤذيه ، فتنفس

---

١ ص : فسال .

٢ ص : رجل .

الصعداء وقال : صلوات الله على عيسى بن مريم فإن أمته معه في راحة لم يخلّف عليهم من يؤذيهم .

وباع جاريةً على أنها تحسن تطبخ ، فلم تحسن شيئاً ، فطلب إلى القاضي وطولب بأن يحلف على أنها تحسن الطبيخ ، فاندفع وحلف أيماناً مُغلظة أنه دفع إليها مرّة جرادة فعملت منها خمسة ألوان من الطعام وفضل منها شريحة للقديد ، سوى الجنب فإنها عملته جوذابة ، فضحك مَن حضر ويئس الخصم من الوصول إلى شيء منه ، فخلى سبيله .

وجمع مرة في بيته بين متعاشقين ، فتعاتبا ساعة ، ثم إنّ العشيق مد يده إليها فقالت : دع هذا ليس هذا موضعه، فسمعها مزبد فقال : يا زانية ، فأين موضعه ؟ بين الركن والمقام ؟ والله ما بنيت هذه الدار إلا للقِحاب والقَوّادين ، ولا اشتري خشبها إلا من دراهم القمار ، فأيُّ موضع أحق بالزنا منها ؟

ونوادره كثيرة ، عفا الله عنا وعنه وسامحنا بمنه وكرمه .

٥٢٣
ابن قسيم الحموي

مسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم ، أبو المجد التنوخي الحموي من شعراء نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى ؛ توفي سنة إحدى[1] وأربعين وخمسمائة.

---

٥٢٣ – الزركشي : ٢٣٠ والخريدة (قسم الشام) ١ : ٤٣٣ (وأشار المحقق إلى ترجمته في الوافي) وقال الزركشي : وقفت على ديوان شعره في مجلد ، ثم أورد مختارات انفرد في أكثرها عما جاء به المؤلف ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : أحد .

يقال انه كان له خادم وعبد ، فدخل بعض الايام داره فوجد العبد فوق الخادم ، فضربه وخرج ، فرأى بعض أصحابه فسأله عن غيظه فقال : هذا العبد النحس ناك الخويدم الصغير ، فقال : مولانا المخدوم الكبير .

ومن شعر ابن قسيم :

كأن خمرته إذ قـام يمزجها   من خدّه عُصِرَتْ أو من ثناياهُ
النرجسُ الغضُّ عيناه ، وطرَّتهُ   بنفسجٌ ، وجَنيُّ الورد خدّاه

وقال يصف المطر على النهر :

ولنا إذا انبجست أهاضيبُ الحيا   يومٌ تغاث به البلاد وتمطرُ
وتظلّ مفعمةً أكفّ بروقه   تطوى بها حُلَلُ الغمام وتنشر
والغيث منسكبٌ كأن حبـابه   دُرَرٌ تُبَثّ على المياه وتنثر
فحسبتُ أن الروضَ منه منوّر   والأرض غرقى والغدير مجدّر

وقال يصف زهر الباقلاّ :

لله في زمن الربيع وصائفٌ   حيّتْ[1] بزهرة باقلاء مُبهجهْ
ولوت بمفرقها عصابةَ لؤلؤ   وكأن شمساً بالنجوم متوَّجه
وكأنَّ أنملها حَبَتْكَ بدرّةٍ   بيضاءَ مطبقةٍ على فيروزجه

---

١ الخريدة : حفت .

٥٢٤

[صريع الغواني]

مسلم بن الوليد ، أبو الوليد مولى الأنصار المعروف بصريع الغواني ، أحد فحول الشعراء ؛ قيل إنه كان في أوّل أمره خاملاً أجير فرّان ، فانقاد له الشعر وجوده وكسب به الاموال العظيمة ، ثم اتصل بابني سهل : الحسن والفضل فولوه جرجان ، فمات وهو واليها . مدح الرشيد وآل برمك وسار شعره . لقبه الرشيد بصريع الغواني لقوله [١] :

وتغدو صريع الكاس والأعين النُّجلِ

توفي في حدود المائتين . وقصيدته التي قالها في يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني مشهورة جيدة ، وهي [٢] :

أُجْرِرْتُ حبلَ خليعٍ في الصبا غزلِ ... وشمَّرتْ هممُ العذّالِ في عذلي
هاج البكاءَ على العين الطموح هوى [٣] ... مفرّقٌ بين توديعٍ ومرتَحَلِ
كيف السلوُّ لقلبٍ بـات [٤] مُخْتَبَلاً ... يهذي بصاحب قلبٍ غير مختبل
لولا مراعاةُ [٥] دمعِ العينِ لانكشفتْ ... مني سرائر لم تظهرْ ولم تُخَلِ

٥٢٤ – الزركشي ٣٣١ وطبقات ابن المعتز : ٢٣٥ والشعر والشعراء : ٧١٢ وتاريخ بغداد ١٣ : ٩٦ والأغاني ١٨ : ٣١٥ ومعجم المرزباني : ٣٧٢ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٨٦ وقد جمع شارح ديوانه أخباره من المصادر وألحقها بالديوان (٣٥١ – ٤٥٢) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ديوانه : ٤٣ وصدر البيت : « هل العيش إلا أن أروح مع الصبا وأغدو . . . . » .

٢ ديوانه ١ – ٢٣ .

٣ ص : بها .

٤ الديوان : راح .

٥ الديوان : مداراة .

أما كفى البينَ أن أُرمى بأسهمه ـــ حتّى رماني بلحظِ الأعينِ النجل
مما جنتْ[١] لي وإن كانت منىً صُدقٌ[٢] ـــ صبابةً خُلَسُ التسليمِ بالمقل
ماذا على الدهرِ لو لانتْ عريكتُهُ ـــ أو ردّ[٣] في الرأس مني سكرة الغزل
جُرْمُ الحوادثِ عندي أنها اختلست ـــ مني غذاء بنات الكرمِ[٤] والكلل
ورب يومٍ من اللذاتِ مختصرٍ[٥] ـــ قصّرته بلقاءِ الراح والحلل
وليلةٍ خُلِسَتْ للعين من سنة ـــ هتكتُ فيها الصّبا عن بيضة الحجل
عن غادةٍ مثلِ قرنِ الشمسِ ناعمةٍ ـــ فَعْمٍ مخلخلها مرتجةِ الكفل[٦]
قد كان دهري وما بي اليومَ من كبرٍ ـــ شُرْبُ المدام وعزفُ القينة الفضل[٧]
إذا شكوتُ إليها الحبَّ خفّرها ـــ شكواي واحمرّ خدّاها من الخجل
فكم قطعتُ[٨] وعينُ الدهرِ راقدةٌ ـــ أيامَه بالصبا في اللهو والغزل
وطيّبِ الفرع أصفاني[٩] مودّته ـــ كافأته بمديحٍ فيه منتخل
وبلدةٍ لمطايا الركبِ مُنْضية ـــ أنضيتها بوجيفِ الأينق الذلل
فيم[١٠] المقام وهذا البحر[١١] معترضاً ـــ دنا النجاءُ وحان السيرُ فارتحل
يا مائل[١٢] الرأسِ إن الليثَ مفترسٌ ـــ ميلَ الجماجم والأعناقِ فاعتدل

---

١ الديوان : جنى .
٢ الديوان : صدقت .
٣ الديوان : ورد .
٤ الديوان : بنات غذاء الكرم ، ص : عدا نبات الكرم .
٥ الديوان : مختضر .
٦ لم يرد هذا البيت في الديوان .
٧ الديوان : العطل .
٨ الديوان : كم قد قطعت
٩ ص : صفاني .
١٠ ص : فقيم .   ١١ الديوان : النجم
١٢ ص : مالك .

حذارِ من أسدٍ ضرغامةٍ شَرِسٍ لا يولغُ السيفَ إلا هامة البطل
لولا يزيدُ لأضحى الملكُ مطرّقا[1] أو مائل الرأس[2] أو مسترخيَ الطّول
حاط الخلافةَ سيفٌ[3] من بني مطرٍ أقام قائمه من كان ذا ميَل
كم صائلٍ في ذرى تمهيدِ مملكةٍ لولا يزيدُ بني شيبانَ لم يَصُل
نابُ الإمام الذي يفترّ عنه إذا ما افترتِ الحرب عن أنيابها العُصُل
كفاكمُ يا بني العباس أنّ لكم سيفاً بكم غير ما نِكْسٍ ولا وَكَل[4]
سدَّ الثغورَ يزيدٌ بعد ما انفرجتْ بقائمِ السيف لا بالختل والحيل[5]
من كان يختلُ قِرناً عند موقفه فإن جارَ[6] يزيدٍ غيرُ مختتل[7]
كم قد أذاق[8] حمامَ الموتِ من بطلٍ حامي الحفيظة لا يؤتى من الوهل
أغر أبيض يُغشي البيضَ أبيضَ لا يرضى لمولاه يومَ الرَّوْع بالفشل
يغشى الوغى وشهابُ الموتِ في يده يرمي الفوارس والأبطال بالشّعَل
يفترّ عند افترار الحرب مبتسماً إذا تغيَّر وجهُ الفارس البطل
موفٍ على مُهَجٍ في يوم ذي رَهَجٍ كأنه أجلٌ يسعى الى أمل
ينالُ بالرفق ما يعيا الرجال به كالموتِ مستعجلاً يأتي على مهل
يُغْشي المنايا المنايا ثم يفرجها حين النفوسُ[9] مطلاتٌ على الهَبَل
ان شيم بارقه حالتْ خلائقه بين العطيةِ والإمساكِ والعلل
لا يرحل الناسُ إلا نحو حجرته كالبيتِ يُضحي إليه ملتقى السبل

١ الديوان : مطرحاً .
٢ الديوان : السمك .
٣ الديوان : سل الخليقة سيفاً .
٤ لم يرد هذا البيت في الديوان .
٥ ص : بالخيل والحيل .
٦ الديوان : قرن .
٧ ص : مختبل .
٨ ص : أراق .
٩ الديوان : عن النفوس .

يقري المنيةَ أرواحَ الكماةِ كما يقري الوحوشَ[1] شحومَ الكوم والبزل
يكسو السيوفَ نفوس[2] الناكثين به ويجعل الهامَ تيجانَ القنا الذبل
يغدو فتغدو المنــايا في أسنّتــهِ شوارعاً تتحدّى الناسَ بالأجل
إذا طغتْ فئةٌ عن غبٍّ طاعتها عبّى لها الموتَ بين البيضِ والاسل
قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثقن بها فهنّ يتبعنه في كلِّ مرتحل
تراه في الأمن في درعٍ مضاعفةٍ لا يأمن الدهرَ أن يُدْعى على عجل
جافي الجفون صحيح الطرف[3] همته فكُّ العُناةِ وأسرُ الفاتكِ الخطل
لا يعبقُ الطيبُ عينيه ومفرقَهُ ولا يمسِّح عينيه من الكُحُل
إذا انتضى سيفَه كانت مسالكه مسالك الموت في الأبدانِ والقلل
وإن خلتْ بحديث النفسِ فكرتُهُ حيٌّ الرجاء ومات الخوفُ من وجل
كالليثِ إن هجتَهُ فالموتُ راحته لا يستريحُ إلى الأيام والدول
إن الحوادثَ لما رُمْنَ هضبته أزْمعنَ عن جارِ شيبانٍ بمنتقل
والدهرُ يغبط أولاه أواخره[4] إذ لم يكنْ كان في أعصاره الأول
لا تكذبن فإن المجدَ مَعدِنُهُ وراثةٌ في بني شيبان لم يزل
إذا الشريكيّ[5] لم يفخر على أحد تكلّم الفخر عنه غير منتحل
الزائديّون[6] قومٌ في رماحهمُ خوفُ المخيفِ وأمنُ الخائف الوجل
سلّوا السيوفَ فأغشوا من يحاربهم خبطاً بها غير تعذيرٍ ولا وَكَل[7]
كبيرهُمْ لا تقوم الراسياتُ له حلماً وطفلهمُ في هَدي مكتهل

---

١ الديوان : الضيوف .
٢ الديوان : دماء .
٣ الديوان : صافي العيان طموح العين .
٤ ص : وآخره .
٥ الشريكي : المنسوب إلى شريك وهو أحد أجداد الممدوح .
٦ ص : الزائدون .
٧ الديوان : غير ما نكل ولا وكل .

إسلم يزيدُ فما في الدين من أود   إذا سلمتَ وما في الملك من خلل
أثبتَّ سوقَ بني الإسلام في صُعُدٍ [1]   يومَ الخليج وقد قامت على زلل
لولا دفاعُكَ بأسَ الروم إذ مكرت   عن بيضة الدينِ [2] لم تأمن من الثكل
ويوسف البَرْم [3] قد صبَّحتَ عسكرَهُ   بعسكرٍ يلفظ الاقدارَ ذي زَجَلَ
غافصته [4] يومَ عَبرِ النهرِ مُهْلَتَهُ   وكان محتجزاً في الحرب بالمهل
والمارق ابن طريفٍ قد دلفتَ له   بعارضٍ للمنايا مُسْبِلٍ هطل
لما رآك مجداً في منيته   وان دفعك لا يُسطاع [5] بالحيل
سام النزالَ فأبرزتَ [6] اللقاءَ له   مقدِّمَ الخطو فيها غير منتكل [7]
ماتوا وأنت غليلٌ في صدورهمُ   وكان سيفك يُستَشْفى من الغُلَلِ
لو أن غيرَ شريكيَّ أطاف بها   فاز الوليدُ بقدحِ الناضل الخصل [8]
وقمتَ بالدين يوم الرسِّ فاعتدلتْ   منه دعائمُ قد أوفت على خزل [9]
ما كان جمعهمُ لما لقيتهمُ   إلا كمثلِ نعامٍ ريع منجفل
تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهمُ   لآب جيشك بالأسرى وبالنَّفل
كم آمنٍ لك نائي الدار ممتنعٍ   أخرجتَهُ من حصونِ الملك والخول
ومارقين غواة [10] من بيوتهم   لا ينكلون ولا يؤتون من نكل [11]

---

١ الديوان : فاطأدت .
٢ الديوان : إذ بكرت عن عثرة الدين .
٣ ص : اليوم .
٤ ص : عاصفته .
٥ ص : يستطاع .
٦ الديوان : شام ...فأبرقت .
٧ الديوان : متكل .
٨ ص : الناظل الخضل .
٩ الديوان : ميل .
١٠ الديوان : غزاة .
١١ نكل : كتبها في ص ، وكتب بعدها « وكل » .

خلّفتَ أجسادهم والطيرُ عاكفةٌ   فيها وأقفلتهم هاماً مع القفل
يأبى لك الذمَّ في يوميك إن ذكرا   عَضبٌ حسامٌ وعرضٌ غيرُ مبتذل
فافخرْ فما لك في شيبانَ من مَثَلٍ   كذاك ما لبني شيبانَ من مثل
كم مشهدٍ لك لا تحصى مآثره   قسمت فيه كرزق الجن[1] والحبل
لله من هاشم في أرضه[2] جبلٌ   وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل
قد أعظموك فما تُدعى لهيّنةٍ   إلا لمعضلة تستنُّ بالعَضَل
يا ربَّ مكرمةٍ أصبحتَ واحدها   أعيتْ صناديدَ راموها فلم تُنَل
تشاغل الناسُ بالدنيا وزخرفها   وأنت من بَذْلِكَ المعروفَ في شغل
أقسمتُ ما ذدتَ[3] عن جدواك طالبها   ولا دفعت[4] اعتزام الجد بالهزل
يأبى لسانك منعَ الجودِ سائلَهُ   فما يُلَجلِجُ بين الجودِ والبخل
صدقتَ ظنّي وصدَّقتُ الظنونَ به   وحطَّ جودُكَ عقدَ الرّحلِ عن جملي

صنع هذه القصيدة لمّا أشخصه إليه إلى الرّقة ، فأخذه وأدخله على الرشيد ، فأنشده شعره فيه ، فأمر له بمائتي ألف درهم ؛ ثم إن يزيد الممدوح بعث إليه بمائة وتسعين ألف درهم وقال : لا تكون عطيّتي لك بمثل عطية أمير المؤمنين ؛ قال مسلم : وأقطعني إقطاعات تبلغ مائتي ألف درهم ؛ ثم أفضت الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبني ، فهجوته ، فشكاني إلى الرشيد ، فدعاني وقال : أتبيعني عِرض يزيد ؟ قلت : نعم ، قال : بكم ؟ قلت : برغيف ، فغضب حتى خفته على نفسي ، وقال : قد كان رأيي أن أشتريه منك بمال جسيم ، ولستُ أفعل ولا كرامة ، وأنا بريء من أبي ، ووالله والله ، إن بلغني انك هجوته لأنزعنَّ لسانك من بين فكّيك؛ قال : فأمسكت

١ الديوان : الأنس ؛ والحبل : الجن أو طائفة منهم .
٢ ص : في ... من أرضه .
٣ الديوان : ذب .
٤ ص : رفعت .

عنه بعد ذلك ولم أذكره .

ومن شعر صريع الغواني [1] :

لا يمنعنّك خفض العيش في دَعَةٍ نزوع نفسٍ إلى أهل وأوطانِ
تلقى بكل بلادٍ إن حللتَ بها أرضاً بأرضٍ وجيراناً بجيران

وقال أيضاً [2] :

وليلةَ ناب الهم إلا بقيّةً تداركها طيفٌ ألمَّ فسلّما
جمعنا مُعـاذير العتابِ برقدةٍ مشت بيننا نطوي الحديثَ المكتّما

وقال أيضاً [3] :

وخندريسٍ لها شعاعٌ ابنة خمسين ألف عامِ
كأنها كوكبٌ منير والبدر في ليلة التّمام
لو قُرِنَتْ بالظلامِ يوماً لانجابَ عنّا دُجى الظّلام
تُكْسِبُ شُرَّابها سروراً فما يُراعون باهتمام
تضحك عن لؤلؤٍ شَتيت ألَّفَـهُ الماءُ في النظام
ما ذُقْتُها قطُّ غير أنيّ أمنحها الودَّ بالكلام
حلَّت ليَ الكاسُ حين دارتْ عليَّ في سكرة المنام

....

١ ديوانه : ٣٤٢ .
٢ لم يردا في ديوانه .
٣ لم ترد في ديوانه .

٥٢٥
مصعب ابن الزبير

مصعب بن الزبير بن العوّام ؛ استعمله أخوه عبد الله على البصرة ، وقَتَلَ المختار بن أبي عُبيد ، وحارب بالعراقين عبدَ الملك بن مروان ، إلى أن قتل سنة إحدى وسبعين للهجرة .

قال الشعبي : ما رأيت أميراً على منبر أحسن من مصعب .

وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد[1] عن أبيه ، قال : اجتمع في الحجر عبد الله ومصعب وعروة بنو الزبير ، وعبد الله بن عمر ، فقالوا : تمنّوا ؛ فقال عبد الله : الخلافة ؛ وقال عروة : يؤخذ عني العلم ؛ وقال مصعب : إمرة العراق ، وأجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وقال ابن عمر : المغفرة ؛ فنالوا ما تمنّوا .

أتي مصعب يوماً بأسارى من أصحاب المختار ، فأمر بقتلهم بين يديه ، فقام إليه أسير منهم فقال له : أيها الأمير ، ما أقبحَ بي يوم القيامة أن أقوم إلى صورتك هذه المليحة الحسنة ، ووجهك هذا الذي يُستضاء به ، فأتعلق بك وأقول : أي ربّ ، سل مصعباً هذا فيمَ قتلني ، فاستحيا مصعب وأمر بإطلاقه ، فقال : أيها الأمير ، اجعل ما وهبتَ لي في خَفَضٍ ودعَةٍ من العيش ، قال : قد أمرتُ لك بثلاثين ألف درهم ؛ فقال : اشهدني أيها الأمير أن شطر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيّات ، قال : ولمَ ذلك ؟ قال : لقوله فيك :

٥٢٥ — ترجمته وأخباره في المصادر التاريخية الكبرى، وانظر بخاصة أنساب الأشراف للبلاذري وطبقات ابن سعد (ج : ٥) ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

١ ص : الزياد .

انما مصعبٌ شهابٌ[1] من اللـ ـه تجلّتْ عن وجهه الظلماءُ

فضحك مصعب وقال : احفظ ما أمرنا لك به ، ولابن قيس عندنا مثله . فما شعر عبد الله بن قيس الرقيات ، إلا وقد وافاه المال .

٥٢٦

أبو العرب الصقلي

مصعب بن عبد الله بن أبي الفرات ، أبو العرب القرشي العبدري الصقلّي ، الشاعر المشهور ؛ دخل الأندلس عند تغلّب الروم على صقليّة ، وحظي عند المعتمد بن عباد ، وديوانه بأيدي الناس . روى عن ابن عبد البرّ ، أخذ عنه أبو علي ابن غريب « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وتوفي بميورقة سنة ست وخمسمائة . ومن شعره :

إلامَ اتّباعي للأماني الكواذبِ ... وهذا طريقُ المجد بادي المذاهبِ

أهمّ ولي عزمان : عزمٌ مُشرِّقٌ ... وآخر يثني همّتي في المغارب

ولا بدّ لي أن أسألَ العيسَ حاجةً ... تشقُّ على أخفافها والغوارب

إذا كان أصلي من ترابٍ فكلها ... بلادي وكل العالمين أقاربي

وما ضاق عني في البسيطة جانبٌ ... وإن جلّ الا اعتضتُ عنه بجانب

إذا كنتَ ذا همٍّ فكن ذا عزيمةٍ ... فما غائب نال النجاحَ بغائب

ومن شعره من أخرى :

...

١ ص : شهاباً .

٥٢٦ – الزركشي : ٣٣٢ والخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٠٢ وصفحات متفرقة من المكتبة الصقلية ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

كأن فجاج الأرض يُمناك إن يَسِرْ ... بها خائفٌ تجمعْ عليها الأناملا
فأين يفرُّ المرءُ عنك بجرمِهِ ... إذا كان يطوي في يديك المراحلا

وهو من قول النابغة :

فإنك كالليلِ الذي هو مدركي ... وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

٥٢٧
مطيع بن إياس

مطيع بن إياس الكناني أبو سلمى ؛ قيل إنه من الديل[١] . كان شاعراً من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . كان خليعاً ماجناً حلو النادرة متهماً في دينه مأبوناً ، ومولده ومنشأه بالكوفة ، وكان إذا حضر ملكك ، وإذا غاب عنك شاقك ، وإذا عرفت به فضَحَك . وكان يجتمع هو ويحيى بن زياد[٢] الحارثي وحمّاد الراوية وابن المقفّع ووالبة ابن الحباب ويتنادمون لا يفترقون ولا يستأثر أحد منهم على صاحبه بمال . وكان يرمى الجميع بالزندقة .

ولام الناسُ مطيعاً على ما يُرمى به من الأبنة ، وقالوا : أنت في أدبك وسؤددك ترى هذه الفاحشة ، فلو أقصرتَ[٣] عنها ، فقال : جرّبوه أنتم ثم دعوه إن كنتم صادقين ، فقالوا : قبّح الله تعالى فعلك ، وانصرفوا عنه .

وقدم بغداد رجل يقال له الفهمي ، مغنٍّ محسن ، فدعاه مطيع ودعا

٥٢٧ – طبقات ابن المعتز : ٩٤ وتاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٦ والأغاني ١٣ : ٢٧٥ وقد جمع شعره غرونباوم (شعراء عباسيون : ٣٠ – ٧٦) ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ ص : دبك (دون اعجام للباء) .
٢ ص : زناد .
٣ ص : قصرت .

جماعة من إخوانه ، وكتب إلى يحيى بن زياد يدعوه بهذه الابيات [1] :

عندنا الفهميُّ مسـ ـرورٌ وزمّار مجيدُ
ومعاذ وعياذ وعميرٌ وسعيد
وندامى يعملون الـ ـقلز والقلز شديد
بعضهم ريحانُ بعضٍ فهمُ مسكٌ وعود

القلز – بالقاف واللام والزاي – : البدال . فأتاهم يحيى وأقام عندهم . وبلغت الابيات المهدي ، فضحك منها وقال : تنايك القوم ورب الكعبة .

وخرج مطيع بن إياس ويحيى بن زياد حاجّين ، فقدما أثقالهما وقال أحدهما للآخر : هل لك أن نصير إلى زرارة فنقصف عنده ليلتنا ثم نلحق أثقالنا ؟ فقال : نعم ، فما زال ذلك دأبهما حتى انصرف الناس من مكة ، فركبا بعيرين وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحاجّ ، فقال مطيع [2] :

ألم ترني ويحيى إذ حججنا وكان الحجُّ من خير التجارَهْ
خرجنا طالبي خير وبرّ فمال بنا الطريق إلى زُراره
فعاد الناسُ قد غنموا وحجّوا وأُبنا موقَرين من الخساره

ومن شعر مطيع [3] :

ويومٍ ببغدادٍ نعمنا صباحَهُ على وجه حوراءِ المدامع تطربُ
ببيت ترى فيه الزجاجَ كأنه نجومُ الدجى بين الندامى تَقلّبُ
يُصَرِّفُ ساقينا ويقطبُ [4] تارةً فيا طيبها مقطوبةً حين تقطب
علينا سحيقُ الزعفران وفوقنا أكاليلُ فيها الياسمينُ المذهّب

---

[1] شعراء عباسيون : ٤٦ .
[2] شعراء عباسيون : ٥٧ .
[3] شعراء عباسيون : ٣٧ .
[4] ص : نصرف . . . ونقطب .

فما زلتُ أسعى بين صنج ومزهرٍ من الراح حتى كادتِ الشمسُ تغرب

وسقط لمطيع حائط فقال له بعض أصحابه : احمد الله على السلامة ، فقال : احمده أنت الذي لم تَرُعكَ هدّته ، ولم يصل إليك غباره ، ولم تغرم أجرة بنائه .

وهو الذي يقول في نخلتي حلوان[1] :

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمانِ
واعلما أن رَيْبَهُ لم يزل يَفْـ رُقُ بين الألاّف والأقران
ولعمري لو ذقتما ألمَ الفُرْ قَةِ أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أنّ نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

فلما خرج هارون الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحلوان ، فوصف له الحكيم أكل جُمّار النخل، فلم يكن بحلوان إلا تلك النخلتان اللتان في العقبة ، فقطعوا له رأس احداهما وأتي به إليه ، فأكل منه ، فلما بلغ إلى العقبة نظر إلى القائمة وإذا عليها مكتوبٌ هذه الأبيات ، فاغتمّ لذلك وبكى وقال : والله لو سمعت بهذا الشعر ما قطعتها ولو قتلني الدم ، ويعز عليّ أن أكون النحس الذي فرّق بينهما .

وقال إبراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرقيق النديم في كتاب « قطب السرور »[2] : إن مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحماد عجرد كانوا[3] يجتمعون عند أبي الأصبغ المقيّن ، وكان له عدة جوار قيان ، وكان فتيان الكوفة يألفون منزله وينفقون عنده ، وكان هؤلاء الأدباء يغشون منزله

---

١ شعراء عباسيون : ٦٩ .
٢ وردت هذه القصة في الأغاني ١٣ : ٣٢٧ .
٣ ص : كانا .

لجارية يقال لها حوذانة[1] مليحة الغناء حسنة الوجه بارعة الظرف والأدب ، وكان لأبي الاصبغ ابن يقال له الأصبغ ولم يكن بالعراق أحسن منه ، وكان غالب أهل بغداذ[2] يتعشقونه ولا يقدرون عليه ، وكان يحيى بن زياد كثير الإفضال على أبي الأصبغ . وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبح يوماً مع يحيى ابن زياد ، فأهدى إليه يحيى من الليل جداءً ودجاجاً وفراخاً وفاكهة وشراباً ، وقال أبو الأصبغ لجواريه : ان يحيى يزورنا فأصلحن له ما يشبه مثله ، فلما فرغ من الطعام لم يجد رسولاً يرسله إلى يحيى لأنه وجّه بغلمانه في حوائجه ، فوجّه ابنه الأصبغ وقال له : لا تبرح أو تجيء بيحيى معك ، فلما جاء الأصبغ قال يحيى للغلام : أدخله وتنحَّ أنت وأغلقِ الباب وإن أراد الخروج فامنعه . فلما دخل إليه أصبغ وأدّى الرسالة راوده عن نفسه فامتنع ، فساوره يحيى فصرعه ورام حلّ تكته فلم يقدر على ذلك فقطعها وقضى غرضه منه ، فلما فرغ أعطاه أربعين ديناراً فأخذها ، وقال له يحيى : امضِ وأنا في أثرك ، فخرج أصبغ من عنده ، فاغتسل يحيى وجلس يتزين ويتبخّر ، فدخل إليه مطيع بن اياس فرأى ما هو فيه ، فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يجبه وشمخ بأنفه وقطب حاجبيه وتعظّم ،فقال له: أراك تتبخّر وتتزين فإلى أين عزمت ؟ فلم يجبه وازداد قطوباً وتعظماً[3] ، فقال له : ويحك ، نزل عليك الوحي ؟ كلمتك الملائكة ؟ بويع لك بالخلافة ؟ وهو يومىء برأسه : لا ، لا ؛ فقال له : فما خبرك ؟ قد تهت فلا تتكلم كأنك قد نكت الأصبغ ، قال : أي والله الساعة نكته وأعطيته أربعين ديناراً وقطعت تكته ، قال له : فإلى أين تمضي ؟ قال إلى دعوة أبيه ، قال مطيع : فامرأته طالق ثلاثاً إن فارقتك أو أقبّل أيرك ، فأبداه له يحيى حتّى قبله ، ثم قال له : كيف

---

١ ص : حوذاته .

٢ كذا هو ، ولعل الصواب « الكوفة » لأن الحديث قد تقدم من فتيان الكوفة .

٣ ص : وتعظيماً .

قدرت عليه ؟ فحدّثه حديثه ، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ ، واتبعه مطيع ، فقال له : ما تصنع معي والرجل لم يدعك[1] وإنما يريد الخلوة ؟ قال : أشيعك إلى بابه ونتحدث ، فمضى معه ، ودخل يحيى وردّ الباب في وجهه ، فصبر مطيع ساعة ثم دقّ الباب واستأذن ، فخرج إليه الرسول وقال : يقول لك أنا عنك مشغول اليوم في شغل لا أتفرغ منه لك فتعذر ، فقال له مطيع : فابعث لي بدواة وقرطاس ، فبعث له فكتب[2] :

يا أبا الأصبغ لا زلت على كل حال ناعماً متبعا[3]
لا تصيّرني من الود كمن قطع التكةَ قطعاً شنعا
وأتى ما يشتهي لم يثنه خيفة أو خفض حق ضيعا
لو ترى الأصبغ ملقىً تحته مستكيناً خجلاً قد خضعا
وله دفعٌ عليه عجل شبقٌ ساءك ما قد صنعا
فادعُ بالأصبغ واعرف حاله سترى أمراً قبيحاً فظعا[4]

قال ، فقال أبو الأصبغ ليحيى : فعلتها يا ابن الزانية ؟! قال : لا والله ، فضرب بيده إلى تكة ابنه فوجدها مقطوعة فأيقن بالفضيحة ، فقال يحيى : قد كان الذي كان ، وسعى مطيع ابن الزانية إليك ، وهذا ابني هو والله أفره من ابنك وأنا عربي ابن عربيّ وأنت نبطي ابن نبطية ، فنك ابني عشر مرات مكان المرة الواحدة التي نكت لابنك ، فتكون قد ربحت الدنانير والواحدة بعشر ، فضحك أبو الأصبغ وضحك الجواري ، وقال لابنه : هات الدنانير يا ابن الفاعلة ، فرمى بها إليه وقام خجلاً ، فقال يحيى : والله لا دخل

١ ص : يدعوك .
٢ شعراء عباسيون : ٧٦ .
٣ الشابشتي : ١٦٥ عالياً ممتنعا .
٤ ص : فضعا .

مطيع ابن الزانية ، فقال أبو الأصبغ وجواريه : ليدخلن إلينا ، فقد نصحتنا وغشيتنا[1] ، فأُدخل وجلس يشرب معهم ويحيى يشتمه بكل لسان ، ومطيع يضحك .

ونوادر مطيع كثيرة في كتاب « الأغاني » ؛ وتوفي سنة تسع وستين ومائة .

٥٢٨
[مظفر الذهبي]

مظفر بن محاسن بن علي ؛ هو تاج الدين الموصلي الأصل الدمشقي المولد الذهبي ، مولده في العشر الأول من الحجة سنة سبع وستمائة ، وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : استعرت ديوانه منه وكتبت منه كثيراً مما اخترته وقرأته عليه ، فمن ذلك قوله :

إذا شرفت نفس الفتى وتلطفت طفت فتراها بالهوا تتعلقُ
وتقعدُ بالفدمِ الغبيّ كثافة تجاذبه نحو الحضيض فيغرق
وساقٍ لشمس الراح في فيه مغربٌ لأن لها من أفق خديه مشرق
إذا ما سعى بالكاس كان مبشراً بكسر جيوشِ الهمّ وهو مخلّق
تعاهدني أعطافه ثم تنثني ويطعنُ رمحُ القدّ قلبي فيصدق
بخصرٍ يُرى مثل السراب ممنطقاً وردفٍ تخالُ الموجَ فيه يصفق

---

١ الأصوب : وغششتنا .

٥٢٨ – الزركشي : ٣٢ ؛ ولم يرد منها في المطبوعة إلا شيء يسير .

وقال :

أمنٌ وصحةُ جسمٍ وكسرُ بيتٍ وكسرهْ
نهاية العيش فاقنع وشرّهُ حيثُ تَشْرَهْ

وقال أيضاً :

راحت تدير بمقلتيها الراحا فغبقت من أحداقها أقداحا[1]
وجلتْ لنا من تحتِ ليلِ غدائرٍ قبلَ الصباح من الجبين صباحا
ناديتها رفقاً بصبَ مدنفٍ قد مال من سُكْرِ الغرامِ وطاحا
قد مسّه قرح الصدودِ فبرؤه لو كان يرشف من لماك قراحا
فتبسمت دلاً وقالت هكذا يُلْفى[2] ملحاً من أحب ملاحا
قم فاهصر الغصن الرطيب وكسّرِ !! رُمّانَ فيه وعضّضِ التفاحا

وقال أيضاً :

سنّ الظُّبا من لحظه الوَسْنانِ ورنا فَرَاشَ سهامَهُ ورماني
وبدا فذاب البدر من حَسَدٍ له فلذاك ما ينفكُّ في نقصان
ماء النعيم يرف من وجناته يسقي رياضَ شقائقِ النعمان
قالت عقودُ نهوده لقوامـــه من أنبتَ الرمّان في المرّان

وقال :

زمرّذُ شاربِهِ الأخضرِ ينم على ثغره الجوهري
وريقُ اللمى طعمه سكرٌ وذاك النباتُ من السكر

وقال :

لقد خاب مَنْ يرجو رجوعَ شبابه بصبغةِ نيلٍ تنتهي وتَحُولُ

١ ص : الراحا ، والتصويب عن الزركشي .
٢ ص : يلقى .

كأنَّ بقاياها بصفحةِ خدِّهِ سهامُ المنايا والنصولُ نصول

وقال :

مَنْ منصفي من ساحرٍ ساخرٍ يزيدُ من ذلي لديه اعتزازْ
مذ وشحت خدّاه بالعارض الـ ـمرقوم قال الناسُ : دارُ الطرازْ

وقال :

وأمردٍ ضاقَ عن معاملتي أودعْتُ فاه خفيفَ دينار
فقال : بهرجتَ ذا الخفيفَ لنا فقلت : والضربُ خارجَ الدار

وكان تاج الدين الذهبي يكتب جيداً ، ويذهّب أجود ، ويصوّر في نهايةِ الحسن ؛ ودخل السلطان الملك الناصر ابن العزيز عليه وهو بقلعة دمشق يذهب في دار رضوان ، فقال له : ما تصنع يا تاج ؟ فقال : يا خوند أنا بالنهار أذهّب البنا ، وفي الليل أذهّب[1] الثنا ، وقال شعر[2] :

يا حاتمَ الجود بل يا يوسف الثاني اشفع فديتك إحساناً باحسانِ
ماذا أقول وعكسُ الحال صيّرني يا مالكي أحرقتني دارُ رضوان

وقال :

كلفتُ بتصوير الدُّمى في شبيبتي وأتقنتها إتقانَ حبرٍ مهذّبِ
وحاولتُ عنها رجعةً ومدحتكـــم فلم أخلُ من تزويق زور مكذب

ولابن صابر المنجنيقي[3] في هذه المادة[4] :

---

١ الزركشي : أهذب. ٢ كذا في ص .
٣ هو أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات ، نجم الدين المنجنيقي ، توفي ببغداد سنة ٦٢٦ (انظر ابن خلكان ٧ : ٣٥ والبدر السافر : ٢٣٧ والزركشي : ٣٦٤ وابن الشعار ١٠ : ١٤٤ والحوادث الجامعة : ٨ – ١١ والبداية والنهاية ١٣ : ١٢٥) .
٤ البيتان عند ابن خلكان ٧ : ٣٧ .

كلفتُ بعلم المنجنيق ورميـــه لهدمِ الصياصي وافتتاح المرابطِ
وعدتُ إلى نظم القريضِ لشقوتي فلم أخلُ في الحالين من قصد حائط

وكتب إليه ناصر الدين ابن النقيب يعتذر إليه :

منعتني من أن أراك خيولُ ضاق صدري بها وضاق السبيلُ
هي ما بيننا تحولُ وما ينـ كر تصحيف من يقول تحول
منظرٌ مثلما رأيت مَرُوعٌ وسماعٌ كما علمتَ مهول
مقنب خلفَ مقنبٍ متوالٍ ورعيلٌ يقفوه ثمَّ رعيل
وجمالٌ محمَّلاتٌ وقد قــا بلها مثلها عليها حمول
وبغالٌ تأتي بزبلٍ فتلقـــا ها بغالٌ غُشْمٌ عليها طبول
ودواب الحلفاء والماء والطيـ ن وقومٌ ترمي وقومٌ تشيل
وروايا مؤثرات من الآثــا ر ما لا يمحي وما لا يزول
كاع فيها الغسّالُ من كثرة الغسـ لِ وضاع الصابون والغاسول
وجباةُ الأسواق بالقرد والدبّ ، وسبعٌ من آخرين وفيل
وصراخٌ وغاغةٌ وصياحٌ وبغيضٌ وغائظ وثقيــل
وشحيج[1] مستنكرٌ ونهــاق ورغاءٌ مزعزعٌ وصهيل
وكسيرٌ على يدٍ مُتَوَكٍّ وعلى الكِتْفِ آخرٌ محمول
وثيابٌ تخرقت بالمهــامير وباللجم . رَفْوُها مستحيل
ومواعينُ من غَضَارٍ وفخّــارٍ على أهلها الغضار تسيل
فتراها وقد رجعن شقاقاً ولأصحابها عليها عويــل
وسقوطُ الأطفال من زحمة الخيـل وللأمهات عنها ذهول
ولكم أزمنتْ حوافرهــا خلـقاً كثيراً وكم لهن قتيل
وعليها من لا يخافُ علينــا وإذا قال لا نطيقُ نقول

---

١ ص : وخخيش .

وهو من تيهه بلفظة إيّـــا ك وحاشاك أو تنحَّ بخيل
« ما الذي عنده تدار المنايــا كالذي عنده تدار الشمول »[1]
فلك العذر أيها الخلّ إن لم آتِ أو يأتِ من جهاتي رسول

فكتب إليه الجواب مظفر ابن الذهبي :

سيّدي من زيارتي أنت معفىً وعلينا مزاركم والمثولُ
أنا أسعى إليك سعيَ محبٍّ ومحقٍّ بفعله ما يقول
لو غدت داركم بنجدٍ أتينا لم تَرُعْنا حزونها والسهول
والصخور الكبار بالعَجَلِ العا جلِ والخيلُ إذ تراها جفول
ورحال[2] يحملن ما سلخ الجزارُ منه الدماءُ سَحّاً تسيل
ومكالٍ ملئن من وسخ المسـ لخ ما للدواب منه حمول
وبقلبي إذا الكـلابُ من المسـ لخ وافين وانتفضن غليـــل
ولكم رابني وعيدُ سريرٍ من جريد به النواظرُ حُول
وقميصي من قطعِ بنتكيةِ[3] الفوّا ل شلّتْ يمينه مشلول
ثم سقّا يرشّ بالقربة السـ وقَ سريعاً ذيلي به مبلول
وزحامٌ والجُرح في كتف المنـ بل يجري ونصله مسلول
وحميرُ الرّاس إذ زجروها حيث أنّا عن صدمهنّ غفول
ودفوفُ المزكلشين[4] وللنــا س عليهم تزاحمٌ ودخول
وجمال الأجنادِ إذ تجلب الاحـ طاب والسيروان[5] فدمٌ جهول

---

١ مضمن ، وهو للمتنبي .
٢ ص : ورجال .
٣ لم أهتد إلى وجه الصواب في هذه اللفظة .
٤ المزكلشون : الذين ينشدون الزكالش المصرية ، وهي فيما أقدر نوع من الأزجال .
٥ السيروان : من سروان بالفارسية وهو الجمال .

وطبالي الشوّاء مع بطة[1] الزيـ … ات لم ينقِ طبعها الغاسول
وبرجلي معالج صخرة إن هـ … ي زلت عليّ أني قتيل
ولو ان البليـــغ يستوعب الأذ … كادَ فيها لكان شرحاً يطول

فأجابه الحكيم شمس الدين ابن دانيال :

يا خليليَّ أنتما المأمـــولُ … ومنائي من الورى والسولُ
بكما راقتِ الفضائلُ وانسا … غت بطيبٍ كما تساغ الشمول
عجباً منكما صديقين صدقاً … لكما عن مزار كلٍّ عُدول
لا يصدُّ الخليلُ عن زورة الخـ … لِّ إذا ما أتاه أمرٌ مهول
لا ولا زحمةُ الخلائق في الأسـ … واق كلٌّ عليه جهلاً يميل
وحميرُ البلاطِ والجبسِ تجري … والورى في الزحامِ عنها غفول
وحمارُ الزبّالِ يعـــثر بالزبـ … لِ أمامي والريحُ ريحٌ قبول
وغبار النحّات والسبـــل الـ … منكي ودمعي إذ قابلتني هَمول
ولكم قد وقعتُ من طعنة القبّـ … ان حيث الوزّانُ فدمٌ جهول
ومنادي السيوف أرهبهُ حيـ … ثُ ينادي وسيفهُ مسلول
وليقـدْر الشرائحيِّ سُخَامٌ … في ثيابي بالغسلِ لا يستحيل
وكذاك الأمراق من مطبخ السلـ … طان يجري بها الغلام العجول
وزحام المجذّمين مع البر … ص بقلبي من لمسهنَّ غليل
ووقوع المياهِ من دار قومٍ … فوق رأسي بالوه أو لم يبولوا
ولكم سلحةٍ من الطاق ترميـ … ها فتاةٌ إذ طفلها مسهول
وبراسي منها علامـــةُ ذمـ … يٍّ كأني أبو العلا شمويل
وحمار مُطَرْمَذٌ[2] عجلٌ إن … نال ظهري إنني إذاً لقتيل

1 البطة : وعاء للزيت وما شابهه .
2 المطرمذ : العجل النفاج .

وسرابُ الحمّامِ يحفرُ إذ ضا ق ففيض المياه منه تسيل
وسقوطُ الأحجارِ من كل هدمٍ وذراعي من وقعها مشلول
ورجال قد زاحموني بأثقا لٍ لهم عند عتلها ترتيل
والذي يذبحُ الدجاجَ ويرميـ ـهنَّ والدمُّ سائح مطلول
وارتياعي إذا المجرّسُ وافى مقبلاً مدبراً به تنكيل
وعصاةُ الضرير تجرح كَعْبَـ ـيَّ وذيلي بطينها مبلول
كل ذا هين على صاحب الشو قِ وإكثاره عليه قليل
فَدرا أيها الخليلان عــــذراً هو عندي إن زرتما مقبول
وخذاه نظماً حكى البردَ وشياً ولأهدابــــه عليه فضول

٥٢٩
أبو المظفر الأنباري

مفلح بن علي بن يحيى بن عباد، أبو المظفر الأنباري؛ أقام ببغداذ وكان يؤدب الصبيان، ثم اتصل بخدمة الوزير ابن هبيرة واختصّ به سفراً وحضراً، ولما توفي الوزير نُقل عنه أنه نظم شعراً يعرّض[1] فيه ببعض الصدور، فأخذ وحبس في حبس الجرائم وعوقب مراراً، ومكث في الحبس سنة، ثم أخرج منه ميتاً سنة إحدى وستين وخمسمائة.

وكان حافظاً لكتاب الله تعالى حسن القراءة عالماً بالفقه والأصول أديباً مليح العبارة، سمع الكثير بنفسه وقرأ على الشيوخ وحدّث بالسِّيَرَ[2]، رحمه الله؛ ومن شعره:

٥٢٩ — الزركشي: ٣٣٣ والخريدة (قسم العراق) ٤: ٣٠١؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة.
١ ص: تعرض. ٢ كذا ولعله: باليسير.

وكنت قنعتُ في الدنيا بشخصٍ ... يكونُ لراحتي ولكبتِ ضدّي
تؤانسه مفاكهتي وقـــربي ... وتؤلمه مفارقتي وبعـــدي
فما سمحتْ به الأيامُ إلا ... يسيراً والمنون إليه تخـــدي
فما قرّتْ به عيناي حتى ... توخّاه الردى وبقيتُ وحدي

وقال :

سقى ربوعاً أقوتْ على حاجرْ ... واهي العزالي مجلجلٌ ماطرْ
وجاد ماذان والعقيق إلى ... غمرةَ دانٍ وسميُّهُ باكر
يثير سلكاً من الرذاذ عــلى ... بان قرورا وروضها الزاهر
بكت بها شجوها فأضحكها ... بالنَّوْر دمعُ السحائب[1] الماطر
كأنما الطلُّ في ذوائبــــه ... والشمس صبحاً تنسلُّ من كافر
عقد فتاة ألقى جواهـــرَهُ ... سلكٌ خؤونٌ لضعفه خائر
إذا تغنى حمامـــه[2] طرباً ... كان له من هديله سامر
كأنه شاربٌ معتّقـــةً ... كان لها قسٌّ إيليا عاصر
من عهد كسرى وقيصر خُتِمتْ ... ما فضها شاربٌ ولا تاجر
يا خالياً مِن غرام مكتئبٍ[3] ... ويا رقوداً عن ليله الساهر
وناصحي والنصيحُ متّهمٌ ... إن لم تكن مسعداً فكن عاذر
وعدتني منك وقفة[4] أممـــاً ... أين وفاءُ الميعاد يا غادر
قفْ ساعةً بي على معاهدهم ... ولا تكن للمطيّ بالزاجر
أما تراها تحنّ مُرْزِمـــةً ... ودمعها في جفونها حائر
قد أيقنت أنني أخو كلفٍ ... بأربعٍ لا ترقّ للذاكــر

---

١ ص : للسحايب .
٢ ص : حماه .
٣ ص : مكتئباً .
٤ ص : وقفاً .

قد كنتُ جَلْداً فخانني جلدي أهجر من ملّ أو غدا هاجر
ومدمعي جامداً فمذ رحلوا عن أرض نجدٍ لم يرقَ لي ناظر
حجْرٌ عليّ البكاءُ في طللٍ وإن شجاني إلا على حاجر
ومخطف الخصر أغيدٍ علقت بالقلب منه كنفثة الساحر
يعقد أزراره على غصـــنٍ وبدر تم يعشى [1] له الناظر
بمهجتي رمتُ وصله فـــأبى وعدت منه بصفقة الخاسر
رمى فأصمى عن قوس حاجبه فالسهمُ لا طائش ولا عاثر
ما خامر القلب قط فيه ولا جالت بنات السلوّ في خاطر
له على القلب من جلالتـــــه رقبة ناهٍ من غيرةٍ آمر
يغيب ذهني إذا تـــذكره وهو بقلبي مخيّم حاضر
حنّ فؤادي إلى معذّبـــه فيا لهيمٍ حنّتْ إلى الزاجر

٥٣٠
مقدار المطاميري

مقدار بن المختار ، أبو الجوائز بن المطاميري الشاعر التكريتي ؛ توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ؛ من شعره :

لو أنّ وقفةَ ليلِ ذي الأثْلِ رجعتْ عليّ بذاهبِ الوصلِ

١ ص : يغشى .

٥٣٠ – الزركشي : ٣٣٤ والخريدة (قسم العراق) ٢ : ١٩٥ وفيها « مقدار بن بختيار » والمطاميري : نسبة إلى المطامير ، وهي ضيعة بحلوان العراق ؛ ووصفه العماد بأنه كان شاعر الدولتين المستظهرية والمسترشدية ومدح صدقة ، وكان يحب الخمول ، ولم يزل خلق الثياب ؛ قلت : ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

أو عاود الإلمامَ طيفكـــــمُ   لقضى ديونَ الحبِّ ذو مطل
كانت ليالي وصلكم خُلساً   جادت بها مألوفةُ البخــل
تثني اللثام على حصى بَرَدٍ   تشفي مذاقته من الخبل
وتديرُ نجلاوين زانهمـــــا   كَحَلٌ لقد أغنى عن الكحل
ويهزّ منها الخطو معتـــدلاً   نشوان من ترفٍ ومن دلّ
كقوام خوطِ البانِ رنّحه   ولعُ النسيم بذي نقاً سهل
يا صاحبي سرّي اللذين هما   أدنى محافظةً من الأهــل
بالله هل آنستما أحـــــداً   شغف الغرامُ فؤادهُ مثلي
ليت الحلولَ سهولَ كاظمة   لم يستحلّوا في الهوى قتلي
جحدوا دمي وعلى أكفّهمُ   نَضْحٌ يقومُ بشاهدٍ عدل

وقال [1] :

ولما تنادوا [2] بالفراقِ غُدَيّةً   رموا كلَّ قلبٍ مطمئن بروائعِ
وقمنا فمبدٍ [3] حنةً إثر أنّةٍ   تقوّم بالأنفاسِ عوجَ الأضالع
مواقف تدمي كل عبراء [4] ثرة   صدوف الكرى إنسانها غير هاجع
أمنّا بها الواشين أن يلهجوا بنا   فلم نتهمْ إلا وشاةَ المدامع

---

١ انظر الأبيات ومناسبتها في الخريدة ٢ : ٢٠٠ — ٢٠١ .
٢ الخريدة : تناجوا .
٣ الخريدة : وقفنا ومنا .
٤ الخريدة : عشواء .

٥٣١
أبو سعد الآبي

منصور بن الحسين ، الأستاذ أبو سعد الآبي ؛ تقلد الوزارة بالريّ ، وكان يلقب بالوزير الكبير ذي المعالي زين الكفاة ؛ كان أديباً ماهراً ناظماً عالي الهمة شريف النفس ، ذكره الثعالبي في كتاب « اليتيمة »[1] وأثنى عليه ، وله كتاب « نثر الدرّ » لم يجمع مثله ، سبع مجلدات ، كل مجلد بخطبة ، وكل مجلد فيه أبواب ، لم يجمع أحد في المنثور مثله . وله كتاب « نزهة الأدب » وله كتاب « الأنس والعرس » ، وكان يتشيع . ولما ورد السلطان إلى الريّ سنة إحدى[2] وعشرين وأربعمائة ولاّهُ القيامَ باستيفاء الأموال .

ومن شعره :

على التلعات البيض من أبرق اللوى ... تلألأ برقٌ مثلما ابتسمت سعدى
واتلع ان ماس الأراكة لم يدع ... لها فنناً سبطاً ولا ورقاً جعدا
إذا وردت ماءَ العُذَيب ركائبي ... فقد أعشبت مرعىً وقد أعذبت وردا
يرف[3] عليها الأقحوان غُدَيّة ... وقد علّه طلٌّ كدمعيَ أو أندى
هنالك قومٌ كلما زرتُ حيّهم ... لقيت أبا سعد به الطائر السعدا
عقائله يفرشن بالورد طُرْقَهُ ... ليوطئه إن جئته الفرسَ الوردا

---

٥٣١ – الزركشي : ٣٣٤ وتتمة اليتيمة ١ : ١٠٠ ودمية القصر ١ : ٤٦٧ (وفيه منصور بن الحسن) ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ الصواب : تتمة اليتيمة .

٢ ص : أحد .

٣ ص : يرق .

وقال :

إذا الليل أسبل أستارَهُ وضمَّ أبا حسنٍ والحسنْ
فاني بريء من المصطفى لئن كنت أعلم من ناك من

وقال :

أزور بمهجتي العلمين دارا يناغي الأقحوانُ به العرارا
أناشد لامعَ البرق اليماني وأستسقي لكاظمةَ القطارا
وأسأل عن نوارٍ كلَّ دار وما تُغْنِي مساءلتي الديارا
سلامٌ إن يكن قولي سلام يليح[1] الوصل أو يدني المزارا
سلام فتى يحنّ إلى هنات صحا من سكرها إلا ادكارا
ودون المنحنى بالجزع حيٌّ عزيزٌ أن يزورَ وأن يزارا
ألا يا صاحبي عرِّجْ قليلاً فقد آنست من وهبين[2] نارا
ألا يا ناذريه دمي رويداً أراقته عقيلتكم جبارا
فَرُبَّتَ ليلة سهرتْ ونمتم قطعناها عتاباً واعتذارا
وما حدرت لمحظور[3] نقاباً ولا وضعت لفاحشة خمارا
وليلة زرتها والأفق سودٌ حوافيه[4] وأنجمه حيارى

---

١ ص : مليح .
٢ ص : وهنين .
٣ ص : لمحضور .
٤ ص : خوافيه .

٥٣٢
أمير العرب بهاء الدولة

منصور بن دبيس بن علي بن مزيد ، أبو كامل بهاء الدولة الأسدي ؛ كان أديباً فاضلاً ، شاعراً فارساً ، شجاعاً كريماً جواداً ذا رأي وحسن تدبير ، وكان حفظةً لأخبار المتقدمين وسير الأوائل وأشعار الجاهلية والإسلام .
قرأ الأدب على عبد الواحد بن علي بن برهان ، وكان حسن السيرة عادلاً في رعيته ؛ ولد سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، وتوفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وكانت أيامه بالعراق أربع سنين وشهوراً . ولما دخل على عميد الملك الكندري وزير طغرلبك أسيراً قال له الأمير : أين فروسيتكم وشجاعتكم ؟ فأنشده :

فإن نَهزِمْ فهزّامون قدماً وان نُهزمْ فغير مهزّمينا[1]
وما إن طبنا جبن ولـكن منايانا ودولة آخرينا

وقال أيضاً :

أقول لزيّاد ولا ستْرَ دونه ونحن بشاطي المسرقان[2] جنوحُ
وقد عاد للدولابِ رَجعٌ كأنه حنينُ مطايا مسَّهنَّ طلوح
تبصّرْ خليلي هل ترى ضوء بارق على نَشَزٍ نحو العراقِ يلوح
فقال وقد طال التشوق ما أرى سوى زفراتٍ في الفؤاد تفوح

---

٥٣٢ — الزركشي : ٣٣٤ وابن خلدون ٤ : ٢٨٠ وابن الأثير ١٠ : ١٥٠ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .
١ ص : مهزمونا .
٢ ص : المشرفان ؛ الزركشي : المشرفات ؛ والمسرقان : نهر بخوزستان .

رعى الله سكّانَ العراق فإنني   عليهم وإن شطَّ المزارُ شحيح
ولا زال من نوءِ السماكِ عليهمُ   ونوءِ الثريّا بالعشيِّ دلوح

وقال أيضاً :

ما لامني فيـك أعدائي وعُذّالي   إلا لغفلتهم عنّي وعن حالي
لا طيّبَ الله لي عيشاً أفوزُ به   إن دبَّ سكر التسلّي عنك في بالي

وقال أيضاً :

ولما رأيتك ضرّاعةً   تزينُ الخداعَ مقالاً جميلا
تسليتُ عنك بمن لا أريد   فدبَّ السلوّ قليلاً قليلا

وقال من أبيات :

أولئك قومي إن أعُدَّ الذي لهم   أكرَّمْ وإن أفخرْ بهم لا أكذّبِ
همُ ملجأ الجاني إذا كان خائفاً   ومأوى الصريخ والفقير المعصب
بطاءٌ عن الفحشاء لا يحضرونها   سراعٌ إلى داعي الصباحِ[1] المثوّب
مناعيشُ للمولى مساميح للقـرى   مصاليتُ تحت العارضِ المتلهب
وجدتُ أبي فيهم وخالي كليهما   يطاعُ ويؤتى أمره وهو محتبي
فلم أتعمدْ للسيادة فيهمُ   ولكنْ أتتني وادعاً غيرَ متعب

---

١ ص : الصيـاح .

٥٣٣
النمري الشاعر

منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم ؛ كان من شعراء الدولة العباسية ، وهو تلميذ العتابي ، والعتابي هو الذي وصفه للفضل بن يحيى بن خالد حتّى أقدمه من الجزيرة واستصحبه وأوصله للرشيد ، ومنصور هو راوية العتابي وعنه أخذ ومن بحره استقى ، وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة فتهاجرا وتناقضا وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه .

وعرف منصور النمري[١] مذهب الرشيد في الشعر ومقصده في نفي الامامة عن آل أبي طالب والطعن عليهم ، لما كان يبلغه عن مروان بن أبي حفصة ، فسلك مذهب مروان ونحا نحوه ولم يصرّح بالهجاء كما كان يفعل مروان ، وكان شديد العداوة للطالبيين .

وتوفي منصور النمري في حدود العشر والمائتين ، ولما دخل على الرشيد[٢] أنشد :

أميرَ المؤمنين إليكَ خُضْنا ... غمارَ الموتِ من بلدٍ شطيرِ[٣]
بخوصٍ كالأهلّةِ خافقاتٍ ... يَلِبْنَ[٤] على السرى [وعلى الهجير][٥]

---

٥٣٣ — الزركشي : ٣٣٤ والأغاني ١٣ : ١٤٠ والشعر والشعراء : ٧٣٦ وتاريخ بغداد ١٣ : ٦٥ وطبقات ابن المعتز : ٢٤٢ وابن خلكان ٦ : ٣٣٦ ، وكنية منصور « أبو الفضل » وأصله من رأس العين ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : النميري ، حيثما وقع ؛ وهو من النمر بن قاسط .
٢ ص : المنصور .
٣ ص : ولد سطير ، والتصويب عن الأغاني ؛ والشطير : البعيد .
٤ ص : يلبن ، الأغاني : تلين .
٥ سقط من ص ، وأكملته من الأغاني .

حملن إليك آمالاً ثقالا ... ومثل الصخر والدر النثير
فقد وقفوا[1] المديح بمنتهاه ... وغايته فصار إلى مصير
إلى من لا تشير إلى سواه ... إذا ذكر الندى كفُّ المشير

فقال مروان بن أبي حفصة : وددت والله أنه أخذ جائزتي وسكت .

وقال في هذه القصيدة :

يدٌ لك في رقاب بني عليّ ... ومنّ ليس بالمنّ الصغير
مننتَ على ابن عبد الله يحيى ... وكان من الهلاك[2] على شفير
فإن شكروا فقد أنعمتَ فيهم ... وإلاّ فالندامة للكفور
وإن قالوا بنو[3] ابنته فحقّ ... وبرُّوا والمناسب للذكور
وما لبني بناتٍ من تـراثٍ ... مع الأعمام في ورق الزبور

ولابن المعتز هذا المعنى حيث يقول :

فأنتم بنو بنته دوننا ... ونحن بنو عمّه المسلمِ

وهذا في غاية الفخر والحسن لأن العباس رضي الله عنه مات مسلماً وأبا طالب مات كافراً .

ودخل يوماً على الرشيد وأنشده قوله :

ما تنقضي حسرةٌ منّي ولا جزَعُ ... إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ
بان الشبابُ وفاتني بلذّته ... صروفُ دهرٍ وأيامٌ لها خدع
ما كنت أوفي شبابي كُنْهَ غِرّته ... حتّى انقضى فإذا الدنيا له تبعْ

فقال الرشيد : أحسن والله ، لا يتهنا أحد بعيش[4] حتى يخطر في رداء

---

١ الأغاني : وقف .   ٢ الأغاني وابن المعتز : الحتوف .
٣ ص : بني .
٤ ص : أحداً يعيش .

الشباب ؛ ومن القصيدة في المديح :

أي امرىء بات من هارون في سخطٍ   فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن المكارم والمعروف أوديةٌ   أحلَّكَ الله منها حيث تجتمع [1]
إذا رفعتَ امرءاً فالله يرفعه   ومن وضعتَ من الأقوام يتضع
نفسي فداؤك والأبطالُ معلمةٌ   يوم الوغى والمنايا بينها قُرَعَ

فأمر الرشيد له بمائة ألف درهم .

وكان محمد البيذق ينشد الرشيد أشعار المحدثين ، وكان إنشاده يطرب أكثر من الغناء ، فأنشده يوماً هذه القصيدة ، فلما بلغ هذه الأبيات كان بين يديه خوان فرمى به من يديه وقال : هذا اطيب من كلّ طعام ومن كل شيء ، وبعث إلى منصور النمري بسبعة آلاف دينار ، قال البيذق : فلم يعطني منها ما يرضيني ، وشخص إلى رأس عين فأغضبني فأنشدت هارون قوله :

شاءٌ من الناس راتع هامل [2]   يعللون النفوسَ بالباطل

حتى بلغت قوله :

إلا مساعير يغضبون لها   بسلّةِ البيض والقنا الذابل

فقال هارون : أراه يحرض عليّ . ابعثوا إليه من يأتيني برأسه ، فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يفده . وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الثاني الذي مات فيه منصور ، فأمر بنبشه وإحراقه ، فشفع فيه الفضل ولم يزل إلى أن كف عنه .

ومن مديح قصيدته العينية في الرشيد قوله :

---

١ الأغاني : تتسع .
٢ ص : رايع هايل .

إن أخلفَ الغيثُ لم تخلفْ مخايله　　أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتسعُ

قيل ان العتابي استقبل منصوراً النمري يوماً فوجده واجماً كئيباً فقال له : ما خبرُك ؟ قال : تركت امرأتي تطلق وقد عسرت عليها الولادة ، وهي يدي ورجلي والقيمة بأمري ، فقال له العتابي : اكتب على فرجها « هارون » ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لتلدَ ويتسع المكان ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لقولك كذا وكذا وأنشده البيت ، فقال : يا كشخان ، والله لئن تخلصت امرأتي لأذكرن ذلك للرشيد ؛ فلما ولدت امرأة منصور أخبر الرشيد الواقعة ، فغضب وطلب العتابي ، فاستتر عند الفضل بن الربيع حتى شفع له فأمره بإحضاره. فأحضره فقال له : ويلك تقول كذا وكذا للنمري ، فاعتذر له حتى قبل ذلك ، فقال العتابي : ما حمله على الكذب عليّ إلا وقوفي على ميله إلى العلوية ، وأنشده قصيدته اللامية التي أولها :

شاء من الناسِ راتع هامل

فغضب وقال للفضل : احضره الساعة ، فستره الفضل عنده ، ولم يزل الرشيد يتطلبه إلى أن قال يوماً للفضل : ويحك يفوتني النمري ؟ ! قال : يا أمير المؤمنين ، قد حصلته وهو عندي ، قال : فجئني به ؛ وكان الفضل قد أمره أن يلبس فروة مقلوبة ويباشر الشمس ليشحب ويسوء حاله ، ففعل ، فلما أراد إدخاله عليه علـّمه ما يقول ، فلما وقعت عين الرشيد عليه قال : السيف ، فقال الفضل : يا أمير المؤمنين ومن هو هذا الكلب حتى نأمر بقتله بحضرتك ؟ قال : أليس هو الذي يقول :

إلا مساعير يغضبون لنا　　بسلّةِ البيضِ والقنا الذابلْ

فقال منصور : لا يا سيدي ، ما أنا الذي قلت هذا ولقد كذب علي ، ولكني الذي أقول :

يا منزلَ الحيِّ ذا المغاني   أنْعِمْ صباحاً على بلاكا

منها :

هارون يا خيرَ من يرجّى   لم يطعِ اللهَ من عصاكا
في خير دين[1] وخير دنيا   من اتقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله ، فقال منصور يمدح الفضل :

رأيت الملك مذ آزر   ت قد قامت محانيه[2]
هو الأوحدُ في الفضلِ   فما يعرف ثانيه

٥٣٤

الراشد بالله

منصور بن الفضل بن أحمد بن عبد الله ، أبو جعفر الإمام الراشد بالله أمير المؤمنين ابن المسترشد بالله ابنُ المستظهر ؛ ولد ليلة الجمعة ثالث عشر شهر رمضان سنة اثنتين وخمسمائة ، ويقال انه لما ولد لم يكن له مخرج، فأحضر الاطباء وأشاروا بأن يفتح له مخرج بآلة من ذهب ، ففعل به ذلك واستقام أمره .

وخطب له والده بولاية العهد سنة ثلاث عشرة[3] وخمسمائة ، وبويع

---

١ ص : ديناً .

٢ ص : أحانيه .

٥٣٤ – الكامل لابن الأثير ١١ : ٦٢ وتواريخ آل سلجوق : ١٧٨ ومرآة الزمان : ١٥٨ ، ١٦٧ وتاريخ الخلفاء : ٤٦٧ والفخري : ٢٧٣ والروحي : ٦٦ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٧٣ والخريدة (قسم العراق) ١ : ٣٢ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٣ ص : ثلاثة عشر .

له بالخلافة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . وكان مليحاً أبيض شديد الأيد شجاعاً حسن السيرة جيد الطوّية ، يؤثر العدل ويكره الشرّ ، وكان فصيحاً أديباً شاعراً سمحاً جواداً ، ولم تطل أيامه ، خلعه السلطان مسعود وبايع عمه الإمام المتقي وعمره أربعون سنة ، وخرج الراشد بالله إلى نواحي اصبهان فقتله الفراشون بالسكاكين في خركاته وبني له هناك تربة .

يحكى أنه كان ببستان الخلافة ايل عظيم الخلقة اعترضه في بعض الميادين ، فهرب الخدم عنه ، فهجم عليه بنفسه ومسك قرنيه فقلعهما بيده فوقع ميتاً ؛ ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

سأقتضي من زمني ديوني ان أخرتني ريب المنون
ولست بالراشد إن لم انتخي لهاشم عن حسبي وديني

٥٣٥

[المستنصر بالله]

منصور بن محمد بن أحمد ، الإمام المستنصر بالله ابن الإمام الظاهر ابن الإمام الناصر ؛ ولد في ثالث عشر صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، بويع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من الحجة سنة أربعين وستمائة ، وبويع بعده لولده الأكبر أبي أحمد المستعصم .

---

٥٣٥ — تاريخ الخميس ٢ : ٣٧٠ والسلوك ١ : ٣١١ وابن خلدون ٣ : ٥٣٦ وتاريخ أبي الفدا ٣ : ١٧١ وتاريخ الخلفاء : ٤٦٠ والروحي : ٦٨ والفخري : ٢٩٢ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٨٥ والحوادث الجامعة : ١٥٥ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

ولما استقر الإمام المستنصر نشر العدل وبثّ المعروف وزاد أبواب الخيرات ، وقرّب أهل العلم والزهاد والصالحين ، وبنى المدارس والمساجد والربط والمشاهد ودور الضيافة والبيمارستانات ، وكفّ الفتن واعتنى بطرق الحاج وإصلاح آبارها ، وبنى بالمدينة ومكة دوراً[1] للمرضى وأرسل إليها[2] ما تحتاج من العقاقير والمركبات من الأدوية ؛ وجمع العساكر وقام بأمر الجهاد ، وأذعنت لطاعته ملوك الأرض ، وبيعت كتب العلم في أيامه بأغلى الأثمان لميله إلى اقتنائها ورغبته في تحصيلها وإكبابه على مطالعتها ووقفها على أهل الفضل . وصنّف الفضلاء في دولته بدائع المصنفات في فنون العلم تقربوا باهدائها إليه .

وكان أبيض أشقر الشعر ضخماً قصيراً ، وكان جده الإمام الناصر يقرّبه ويسميه « القاضي » لعقله وهديه وإنكاره المنكر .

قال ابن واصل : وبنى على دجلة من الجانب الشرقي فيما يلي دار الخلافة مدرسة ما بني على وجه الأرض مثلها ، وهي بأربع مدرسين على المذاهب الأربعة ، وعمل فيها بيمارستاناً كبيراً ، ورتب فيها مطبخاً ومزملة للفقراء ، ورتب لهم حماماً وبالحمام قومة ، واستخدم عساكر عظيمة تزيد على مائة ألف وعشرين ألف فارس ، وهزم التتار .

وكان قد بلغ ارتفاع وقف المستنصرية نيفاً وسبعين ألف مثقال .

ولما اهتمّ رضي الله عنه بجمع الجند من أقطار الأرض لدفع التتار اتفق جماعة من التجار وجمعوا مالاً خطيراً وسألوا الإنعام عليهم بقبوله وإنفاقه على الغزاة ودفعوا المال إلى الدوادار ، فأمر بأن يرد عليهم المال وقال : جزاكم الله الخير ، يكفينا منكم الدعاء ، وفي خزائننا ما يغني عن ذلك .

وكان له جارية يحبها اسمها « فضة » ، فمن شعره فيها :

---

١ ص : دور .

٢ ص : إليه .

قالوا أمثل أمير المؤمنين له   عقلٌ يقسّمُ بين الملك والغزلِ
فقلتُ ما جئت بدعاً في الغرام ولا   أخذتُ إلا بحظّ من حلى الرسل
وما يضيع الهوى عقلاً يكون له   فضلاً إلى الرأي والتدبير للدول

وحكي أن محيي الدين ابن الجوزي حضر عنده بعض الصالحين وشكا إليه أمر دين لزمه وعجز عن قضائه ، فهمّ ابن الجوزي أن يقضي دينه ، ثم رأى أن يؤثر المستنصر بالله بهذه المثوبة لما يعلم من صلاح الرجل ورغبة المستنصر في الخير ، فطالعه بذلك ، فبعث إلى ابن الجوزي من المال مقدار دين الرجل ، وبعث مع ذلك مائتي دينار وقال : هذه لنفقته لأنه إذا قضى دينه لم يبق له ما ينفقه ، وبعث إلى ابن الجوزي خمسمائة دينار وقال : هذه عوض إيثارك لنا بهذه المثوبة ، رحمه الله تعالى .

٥٣٦
النيري الواسطي

منصور بن محمد بن علي ، أبو نصر الخباز المعروف بالنيري[١] من أهل واسط ؛ كان أمياً لا يحسن الكتابة ، وكان له خاطر جيد في النظم . لو أراد أن لا يتكلم في خطابه إلا بالشعر لفعل ذلك ، ولم يزل يجتمع بالناس ويهذب شعره إلى أن أجاد النظم ، ومات سنة خمسين وأربعمائة ؛ فمن شعره رحمه الله تعالى:

ولربَّ يومٍ بت أخلف شمسه   والروضُ قد نثرتْ محاسنُ بردِهِ
بمدامةٍ صفراءَ كالتِّبرِ تاجَها   كفُّ المزاج بلؤلؤ من عقده

٥٣٦ — الزركشي : ٣٣٤ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .
١ قد تقرأ الكلمة : « النيربي » .

ومليحةٍ تحدوا[1] الهمومَ إذا شدت ومهفهفٍ يسبي القضيبَ بقدّه
هذاك منتقشُ العذارِ كأنما غُرِسَ البنفسجُ في منابت ورده
ويدُ الفتاةِ خضيبةٌ فكأنما غمست أديمَ وصالها في صده
غنّتْ فأطربتِ الغزالَ بشدوها فجنى أناملها بخضرة زنده
ودنا يقبلها فمن رقبائها سخطت عليه وأسرفت في رده
لطمت عوارضه بغير جناية منه فأثّر نقشُها في خده

ومنه :

الكأسُ بين معصفرٍ ومخلّقٍ والحبُّ بين مزنّر ومقرطقٍ
والماءُ في زبد الصراة كأنه وردُ اللجين على قَبَاء فستقي
وترى الهلالَ لليلتين كأنه الـ خلخالُ يلمع تحت ذيلٍ أزرق

ومنه :

كأن نجومَ الليلِ أحداقُ فضةٍ بأجفانِ تبرٍ لم يصغهنّ صائغُ
ونجمُ الثريّا شبهُ كاسٍ مرصّعٍ بكفّ حبيبٍ ردّه وهو فارغ

وقال أيضاً :

حبيبي ما[2] يفارقك الرقيبُ ولا لي منك يا سكني نصيبُ
ولا تخلو وأخلو مَعْكَ يوماً فأملي من حديثك ما يطيب
أحبّك لا أحب سواك خلقاً وتبغضني وذا شيء عجيب
إذا كان المحب قليلَ حظٍّ فما حَسَنَاته إلا ذنوب

وقال أيضاً :

وتبريةٍ جاءتكَ في ثوبِ فضّةٍ بكفّ خماسيٍّ القوام رشيقِ
أتت بين طعمي عنبرٍ وسلافةٍ بأنفاسِ مسكٍ في شعاع حريق

---

[1] كذا ولعلها « تجلو » .
[2] الزركشي : لا .

كأن حبابَ المزج في جنباتها كواكبُ درّ في سماء عقيق

وقال أيضاً :

سقاني وقد نام الرقيبُ مدامةً على فَرَقٍ والليل عسكره زنجُ
وطيّر عقلي حين تاه بنظرة على واضحٍ من تحتها أعينٌ دعج
وفي يده تفاحةٌ شبهُ خدّه مضرّجة كالنار ليس لها وهج
عقيقيةُ الأثوابِ دريّةُ الحشا فظاهرها نارٌ وباطنها ثلج

وقال أيضاً :

الخدُّ بين مطرّز ومدبّج والثغر بين منظّم ومفلّج
وكأنما وجناته بلورة وعذاره والصدغ من فيروزج
وكأنّنا والكاسُ تجمعُ شملنا والروضُ بين مجلل وممزج
من طرفه والخدّ ثم عذارهِ في نرجسٍ وشقائق وبنفسج

٥٣٧

الخليفة الهادي

موسى بن محمد ، أمير المؤمنين الهادي ابن المهدي ابن المنصور ؛ كان أبيض جسيماً طويـلاً ، مولده بالريّ سنة سبع وأربعين ومائة ، وتوفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة[١] ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وله خمس وعشرون[٢] سنة وشهور ، وصلّى عليه أخوه الرشيد ، ودفن

٥٣٧ – تاريخ بغداد ١٣ : ٢١ وابن الساعي : ٢٤ والبدء والتاريخ ٦ : ٩٩ والروحي : ٤٨ والفخري : ١٧١ وخلاصة الذهب المسبوك : ١٠٣ وتاريخ الخلفاء : ٣٠٥ ؛ ولم تردُ الترجمة في المطبوعة .

١ ص : لثلثة عشر .   ٢ ص : وعشرين .

بالقصر الأبيض الذي كان عمله . وكانت خلافته سنة وشهراً واحداً[1] وعشرين يوماً . وأمه أم ولد يقال لها الخيزران .

وكان شجاعاً بطلاً أديباً جواداً صعب المرام ، يلهو ويلعب ويركب حماراً فارهاً ، ولا يقيم أبهة الخلافة ، وكان فصيحاً قادراً على الكلام تعلوه هيبة وله سطوة .

أعطى لإبراهيم الموصلي سبعمائة ألف درهم .

يقال إن أمه الخيزران سمته لأنه طالب أخاه الرشيد أن يخلع نفسه من العهد ويقدم ولده ، وكان موسى قد سماه الناطق بالحق ، فامتنع ، فهم بقتله مراراً ، فكانت أمهما الخيزران تدافع عنه ، ولعظمها في دولة المهدي كان كبراء الدولة يغشون بابها للحوائج ، فأغضب الهادي ذلك وقال لها : ما هذه المواكب التي تغدو لبابك وتروح ؟ ! إنما للمرأة بيتها ومغزلها وسجادتها وسبحتها ، ثم أنفذ لها أرزاً مسموماً ، ففطنت له ولم تأكله وأخذت في الاحتيال عليه وسمته ، فمات ، وفي ليلة مات ولد خليفة وولي خليفة : توفي الهادي وولي الرشيد وولد المأمون .

وهو أول من وصل بمائة ألف درهم لأنه أعطى سلم الخاسر مائة ألف درهم ، وكان أسمح بني العباس بالمال .

وحكي أنه كان في بستان له يتفرج وهو راكب حماراً[2]، فجيء إليه برجل قد وجب عليه القتل وشرطيان يمسكانه عن يمينه ويساره ، فأفلت منهما واخترط سيف أحدهما وأقبل به على الهادي ، فصاح الهادي وقد أيقن بالموت : ويلك ، اضرب عنقه — يوهم أن وراءه أحداً[3] ، فلوى عنقه ، فوثب من حماره عليه وضرب به الأرض وأخذ السيف من يده

---

١ ص : وشهر واحد .

٢ ص : حمار .

٣ ص : أحد .

وذبحه به ، وعاد الشرطيان وأصحابه الذين كانوا قد هربوا فلم يعتبهم بحرف واحد.

وقتل جاريتين بلغه عنهما ما أوجب ذلك عنده ، وشاع عنه ما فعل بهما ، وكثر الكلام في ذلك فقال :

يلومني مَن جَهِلَ الأمرا   فكيف إن لم يسمع العذرا
يزعم اني آثم والذي   فعلته أرجو به الأجرا
من كان ذا صبر على مثل ذا   فلستُ منه أملك

٥٣٨

الرئيس موسى القرطبي

موسى بن ميمون ، الرئيس أبو عمران القرطبي اليهودي ، الطبيب المفنّن في العلوم ؛ كان رئيساً على اليهود بمصر ، وكان أوحد أهل زمانه في الطب ، وكان السلطان صلاح الدين يستطبّه ، وكذلك ولده الأفضل . ويقال إنه كان قد أسلم بالمغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ؛ ولما قدم من الغرب صلّى بمن في المركب التّراويحَ في شهر رمضان ، وجاء إلى الديار المصرية ، وجاء إلى دمشق ، فاتّفق للقاضي محيي الدين ابن الزكيّ مرض خطر ، فعالجه الرئيس موسى وبالغ في نصحه ؛ فرأى له القاضي ذلك وأراد مكافأته على ذلك ، فحلف أيماناً مغلّظة أنه ما يأخذ شيئاً أبداً . ثم بعد مدة اشترى داراً وسأل من القاضي تقديم التاريخ إلى خمس سنين متأخرة ، فما بخل القاضي عليه بمثل ذلك ، ولم يعلم أن في ذلك مفسدة ، ثم إنه أثبت ذلك ؛ وبعد مدة توجّهَ إلى الديار المصرية ، وخدم القاضي الفاضل ، فجاء مَن كان في

٥٣٨ – ابن أبي أصيبعة ٢ : ١١٧ والبحر المحيط ٧ : ٤٧٢ وأخبار الحكماء : ٣١٧ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

المركب وقالوا : جاء معنا من الغرب وصلّى بنا التراويح في السنة الفلانية ، فأنكر ذلك وأخرج المكتوب وقال : أنا كنت في دمشق قبل هذه السنة بمدة واشتريت داراً ، وهذا خط القاضي بذلك ؛ فلما رأى الفاضل خط محيي الدين ابن الزكي بالثبوت ما شك فيه واندفعت القضية بخبث هذا الشيطان .

وعلى الجملة فكان فاضلاً ، وله كتاب « الدلالة » في أصول دينهم ، وهو جيّد إلى الغاية على قواعدهم . وكانت له مشاركة في كل فنّ ، وفيه يقول ابن سناء الملك[1] :

أرى طبَّ جالينوسَ للجسم وحده ... وطبُّ أبي عمران للعقلِ والجسمِ
فلو كان بدرَ التمّ من يستطبّه ... لتمَّ له ما يدّعيه من التمِّ
وداواه يوم التمِّ من كلفٍ به ... وأبراه في يوم السرار من السقم

وله مقالة في معالجة الحدبة ، صنفها للقاضي الفاضل ، ومقالة في السموم و « تنقيح الفصول » وهو من أجلّ كتب الطب .

وتوفي سنة عشر[2] وستمائة .

٥٣٩

[المؤمل المحاربي]

المؤمّل بن أميل المحاربي الكوفي ؛ كان شاعراً محسناً . مدح المهدي ، فأجازه عشرة آلاف دينار . وتوفي في حدود التسعين والمائة . وهو القائل

---

١ لم ترد في ديوانه .

٢ ص : عشرة .

٥٣٩ — الأغاني ٢٢ : ٢٥٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

في امرأة كان يهواها من أهل الحيرة :

شفَّ المؤمّلَ يومَ الحيرة النظر　ليت المؤمّلَ لم يُخلَقْ له بصرُ

فيقال إنه رأى رجلاً في المنام قد أدخل إصبعيه في عينيه فأخرجهما وقال : هذا ما تمنيت ، فأصبح أعمى . ومن هذه القصيدة :

يكفي المحبّين في الدنيا عذابهمُ　والله لا عذّبتهم بعدها[1] سَقَرُ

وامتدح المهدي ، وهو ولي العهد ، فأعطاه عشرين ألف درهم ، فبلغ المنصور ذلك فكتب إليه يلومه ويقول : انما كان ينبغي أن تعطيه أربعة آلاف درهم بعد أن يقيم ببابك سنة ؛ وأجلس قائداً[2] من قواده على جسر النهروان يتصفّح وجوه الناس حتى مرَّ به المؤمّل ، فأخذه ودخل به على المنصور فسلّم فقال : من أنت ؟ قال : المؤمل بن أميل ، فقال : اتيت إلى غلام غرٍّ خدعته ؟ ! فقال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، أتيت غلاماً كريماً فخدعته فانخدع ، فكأنَّ ذلك أعجب المنصور[3] ، فقال : أنشدني ما قلتَ فيه ، فأنشده القصيدة ، ومنها :

هو المهديُّ إلا أن فيه　مشابهةً من[4] القمر المنير
تشابَهَ ذا وذا فهما إذا ما　أنارا مشكلانِ على البصير
فهذا في الظلام سراجُ ليلٍ　وهذا في النهارِ ضياءُ نور
ولكن فَضَّلَ الرحمنُ هذا　على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أميرٌ　وما ذا بالأمير ولا الوزير
وبعضُ الشهر ينقص ذا وهذا　منيرٌ عند نقصانِ الشهور

١ ص : لا عذبتها بعدهم .
٢ ص : قائد .
٣ ص : فكان .... للمنصور .
٤ الأغاني : مشابه صورة .

فيا ابنَ خليفةِ الله المصفّى   به تعاو مفاخرةُ الفخور
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافوا   إليك من السهولةِ والوعور
لقد سبق الملوكَ أبوك حتى   بقوا من بين كابٍ أو حسير
وجئتَ مصلّياً تجري حثيثاً   وما بك حين تجري من فتور
فقال الناسُ ما هذان إلا   كما بين الخليق إلى الجدير
لئن سبق الكبير[1] فأهل سبقٍ   له فضلُ الكبير على الصغير
وإن بلغ الصبيُّ مدى كبيرٍ   فقد خُلِقَ الصغير من الكبير

فقال : والله لقد أحسنت ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم ، فأين المال ؟ قال : ها هوذا ، فقال : يا ربيع ، امضِ معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذ الباقي منه ، ففعل ؛ فلما ولي الخلافة المهدي ، ولّى أبا ثوبان المظالم ، فكان يجلس بالرصافة ، فإذا ملأ كساءه رقاعاً دفعها إلى المهدي ، فرفع المؤمّل رقعة ذكر فيها واقعته ، فلما نظر إليها المهديّ ضحك وقال : ردوا إليه عشرين ألف درهم ، فردت إليه .

وقال محمد بن حذيفة الطائي ، حدثني أبي قال : رأيت المؤمّل شيخاً كبيراً أعمى نحيفاً ، فقلت له : لقد صدقتَ في قولك :

وقد زعموا لي أنها نذرتْ دمي   وما لي بحمد الله لحمٌ ولا دمُ
برى حبُّها لحمي ولم يبقَ لي دمٌ[2]   وإن زعموا أني صحيح مسلَّم
فلم أرَ مثلَ الحبِّ صحَّ سقيمه   ولا مثلَ من لا يعرفُ الحبَّ يسقم
ستقتل جلداً بالياً فوق أعظم   وليس يبالي القتلَ جلدٌ وأعظم[3]

فقال : نعم ، فديتك ، ما كنتُ لأقولَ إلا حقاً .

---

١ ص : الكثير .
٢ الأغاني : ولم يبق لي دماً .
٣ ص : جلداً ولا دم.

حَرْفُ النّونْ

٥٤٠
البديهي الشاعر

ناشب بن هلال بن ناشب بن نصير الحراني، أبو منصور المعروف بالبديهي؛ كان أديباً فاضلاً يقول الشعر بديهاً ويعظ في التعازي وغيرها ، وسمع أبا القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وأبا القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي وابن كادش وغيرهم ، وحدث باليسير . ولد سنة أربع عشرة[1] وخمسمائة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، ومن شعره رحمه الله تعالى :

لا تحقرنّي وإن أبصرتني حدثاً فالشبلُ يصغر حيناً ثم يأتسدُ
إني وإن صغرت سنّي فقد فقهت خواطري غرراً ما نالها أحد

ومنه :

يحسدني كلٌّ من رآني أركب في موكب الأميرِ
والناسُ لا يعلمون أني تبيتُ خيلي بلا شعير

وقال : قصدت ديار بكر مكتسباً بالوعظ ، فلما نزلت قلعة ماردين دعاني صاحبها تمرتاش بن ايلغازي بن أرتق للإفطار عنده في شهر رمضان ، فحضرت عنده فلم يرفع مجلسي ولا أكرمني ، وقال بعد الإفطار لغلام عنده : آتينا بكتاب ، فجاءه به ، فقال : ادفعه إلى الشيخ ليقرأ فيه ، فازداد غيظي لذلك وفتحت الكتاب وإذا هو ديوان امرىء القيس ، وإذا في أوله :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

٥٤٠ — الزركشي : ٣٣٤ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .
١ ص : عشر .

فقلت في نفسي : أنا ضيف وغريب وأستفتح ما أقرأه على سلطان كبير وقد مضى هزيع من الليل :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي !!

فقلت :

ألا عم مساءً أيها الملك العالي   ولا زلتَ في عزّ يدوم وإقبال

ثم أتممت القصيدة ، فتهلل وجه السلطان لذلك ورفع مجلسي وأدناني إليه ، وكان ذلك سبب حظوتي عنده ، رحمهما الله تعالى .

٥٤١

المطرزي شارح المقامات

ناصر بن عبد السيد بن علي، أبو الفتح المطرزي الأديب الخوارزمي؛ من أعيان مشايخ خوارزم في علم الأدب ، قرأ على والده وبرع في معرفة النحو واللغة وصار أوحد زمانه ، وصنف كتباً حساناً ، وكان شديد التعصب داعية إلى الاعتزال .

مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة ووفاته سنة عشر وستمائة ، وصنف شرحاً للمقامات الحريرية وكتاب « المعرب » وتكلم فيه [على الألفاظ][1] التي يستعملها الفقهاء الحنفية ، وهو لهم مثل الأزهري للشافعية ، ومقدمة في

٥٤١ – الزركشي : ٣٣٤ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢١٢ وابن خلكان ٥ : ٣٦٩ (فهو ليس من المستدرك على الوفيات) وانباه الرواة ٣ : ٣٣٩ والجواهر المضية ٢ : ١٩٠ وبغية الوعاة ٢ : ٤٠٢ ومرآة الجنان ٤ : ٢٠ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ بياض في ص ، وهو ثابت عند الزركشي وابن خلكان .

النحو و « الإقناع » في اللغة و « مختصر إصلاح المنطق » .

ولما مات رثي بثلثمائة قصيدة بالعربي وبالعجمي ، وكان يقال هو خليفة الزمخشري ، وكان سائر الذكر مشهور السمعة ، وانتفع الناس به وأخذوا عنه .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

تعامى زماني عن حقوقي[1] وإنه قبيحٌ على الزرقاء تبدي تعاميا
فإن تنكروا فضلي فإن دعاءه كفى لذوي الأسماع منكم مناديا

ومن أبيات :

وإني لأستحيي من الله أن أُرى حليفَ غوان أو أليف أغاني

قال ياقوت في « معجم الأدباء »[2] : أنشدني المطرزي ببغداد لنفسه :

يا خليليّ اسقياني بالزجاج حَلَبَ الكرمة من غير مزاج
أنا لا ألتذّ سمعاً باللجاج فاسقنيها قبل تغريد الدجاج
قبل أن يؤذن صبحي بانبلاج[3]

إن أردت الراح فاشربها صباحا بعد أن تصحبَ أتراباً ملاحا
جمعوا حسناً وأنساً ومزاحا وغدوا كالبحر علماً وسماحا
فهمُ مفتاح باب الإبتهاج

---

١ ص : حقوق .
٢ لم يرد هذا في معجم الأدباء المطبوع .
٣ ص : بابتلاج .

٥٤٢
ابن صورة الكتبي

ناصر بن علي بن خلف ، الوجيه المعروف بابن صورة الكتبي ؛ كان سمساراً في الكتب بمصر وله في ذلك حظ كبير ، وكان يجلس في دهليز داره لذلك ويجتمع الناس عنده يوم الأحد والأربعاء من أعيان الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع ، ولا يزالون عنده إلى انقضاء وقت السوق .

توفي سنة سبع وستمائة بمصر ودفن بالقرافة ؛ وكان له دار مليحة موصوفة بالحسن فاحترقت ، فقال في ذلك نشو الملك أبو الحسن علي بن المنجم ، وقد تقدم ذكره :

أقولُ وقد عاينتُ دارَ ابن صورةٍ ... وللنار فيها مارجٌ يتضرّمُ
كذا كلُّ مالٍ أصله من مهاوشٍ ... فعما قليل في نهابرَ يعدم
وما هو إلا كافرٌ طال عمره ... فجاءته لما استبطأته جهنم

وقال ابن المنجم أيضاً لما وقعت الأرضة في دار ابن صورة :

قالوا بدار ابن صورةٍ سعت الأرْضَةُ حتى أتت على الخشبِ
من أعلم الأرضةَ المشومةَ أنّ الدارَ مسروقةٌ من الكتب

وفيه يقول ابن الساعاتي وقد غدر به في كتاب :

يا خائناً ما كنت أحسـ ... ـب به يخفّ إلى الخيانَهْ
أصبحتَ في سلب القلوب ... وذاك من عَدَمِ الديانه

---

٥٤٢ — ابن خلكان ١ : ١٩٧ وانظر كذلك ترجمة نشو الملك في البدر السافر : ٢٠٥ فقد ذكرت فيها الأبيات الميمية ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

كفتى زبيد في العما رة وابن صورةَ في الأمانه
فامررْ عليه وقلْ لـــه في السترِ منه والصيانه
يا ريشكون[1] غدرتَ بي إن كنت تحسنُ بالرطانه

٥٤٣

ابن الشقيشقة الصفار

نصر الله بن مظفر بن أبي طالب بن عقيل بن حمزة، نجيب الدين أبو الفتح الشيباني الدمشقي الصفّار المعروف بابن الشقيشقة ، المحدث الشاهد ؛ ولد سنة نيف وثمانين وخمسمائة ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة . سمع وعني بالحديث ، وكان يعقد الأنكحة تحت الساعات، وفيه يقول البهاء ابن الحوط :

جلس الشقيشقة الشقي ليشهدا بأبيكما ماذا عدا مما بدا
هل زلزل الزلزال أم هل أخرج الد جالُ أم عُدم الرجال ذوو الهدى
عجباً لمحلول العقيدةِ جاهلٍ بالشرع قد أذنوا له أن يعقدا

وقف قاعته التي بدرب البانياسي دار حديث ، وتولى مشيختها الشيخ جمال الدين المزي ؛ قال الشيخ شمس الدين : ولم يكن بالعدل في دينه .

---

١ ص : ريش كون ؛ وريش كن بالفارسية تعني من ذهب جهده سدى ؛ والأقرب أن تكون ريش كاو : وهو البليد أو الجشع .

٥٤٣ — الزركشي : ٣٣٥ وذيل الروضتين : ٢٠١ ؛ وابن الشعار ٩ : ٨٥؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٥٤٤
ابن حواري الحنفي

نصر الله بن عبد المنعم بن نصر الله بن أحمد بن جعفر بن حواري ، الشيخ شرف الدين أبو الفتح التنوخي الدمشقي الحنفي الأديب ، ويعرف بابن شقير أيضاً ؛ ولد في سنة أربع وستمائة ، وتوفي سنة ثلاث وسبعين وستمائة . سمع البكري وابن ملاعب ، وروى عنه الدمياطي وابن الجناز والدواداري وقاضي القضاة ابن صصرى وآخرون .

وخطّه أسلوب غريب ، كتب كثيراً ، وملكتُ من ذلك عدة مجلدات ؛ وكان أديباً فاضلاً حسن المحاضرة حفظة للنوادر والأخبار ، حسن البزّة ، كريماً مجملاً . عمّر في آخر عمره مسجداً عند طواحين الأشنان ، وتأنق في عمارته ، ودفن لما مات بمغارة الجوع ؛ وصنف كتاب « إيقاظ الوسنان » في تفضيل دمشق وذكر محاسنها وما مدحت به في ثلاث مجلدات ، وهو عندي بخطه . وكان مقامه بالعادلية الصغيرة .

ولما ولي القاضي شمس الدين ابن خلكان وفوض إليه أمر الأوقاف جميعها طلب الحسابات من أربابها ، ومن شرف الدين هذا عن وقف المدرسة ، فعمل له الحساب وكتب وريقة فيها :

ولم أعمل لمخلوق حساباً ... وها أنا قد عملتُ لك الحسابا

فقال له القاضي : خذ أوراقك ولا تعمل لنا حساباً ولا نعمل لك ؛ وكان له خلق حادّ وفيه تسرع ؛ وهو أخو تاج الدين المقدم ذكره ، رحمهما الله .

---

٥٤٤ — الزركشي : ٣٣٦ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٥٤٥

فخر القضاة ابن بصاقة

نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي ، فخر القضاة أبو الفتح ابن بصاقة الغفاري المصري الحنفي الناصري الكاتب ؛ شاعر كاتب ماهر ، كان خصيصاً بالمعظم عيسى ثم بابنه الناصر داود ، وتوجه معه إلى بغداد .

ولد بقوص سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وتوفي بدمشق سنة خمسين وستمائة .

ومن شعره لغزاً في المحفة المحمولة على البغال ، رحمه الله تعالى :

وحاملةٍ محمولةٍ غيرَ أنها إذا حَمَلَتْ ألقتْ سريعاً جنينَها
وأكثرُ ما تحويه يوماً وليلةً وتضجرُ منه أن يدوم قرينَها
منعمة لم ترضَ خدمةَ نفسها فغلمانُها من حولها يخدمونها
لها جسدٌ ما بين روحين يغتدي فلولاهما كان الترهبُ دينها
وقد شبهتْ بالعرش في أن تحتها ثمانيةً من فوقهم يحملونها

وقال أيضاً لغزاً في البيضة :

ومولودة لا روحَ فيها وإنهـــا لتقبلُ نفخَ الروح بعد ولادِها
وتسمو على الأقران في حومة الوغى ولكن سمواً لم يكن بمرادها
إذا جُمعتْ فالنقصُ يعرو حروفها ولكنها تزداد عند انفرادها

وقال أيضاً في السيف :

---

٥٤٥ – الزركشي : ٣٣٦ والبدر السافر : ٢٠٧ والشذرات ٥ : ٢٥٢ والسلوك ١ : ٣٨٥ والطالع السعيد : ٦٧٦ والبداية والنهاية ١٣ : ١٨٤ وابن الشعار ٩ : ٦٩ ؛ وورد من هذه الترجمة في المطبوعة شيء يسير .

وأبيضَ وضاحِ الجبين صحبته ... فأحسَنَ حتى ما أقومُ بشكرِهِ
إذا خذلتني أُسرتي وتقاعدتْ ... أخلاي عن نصري حباني بنصره
يواصلني في شدّتي منه قاطعٌ ... يخففُ عني في رخائي بهجره
شددت يدي منه على قائمٍ بما ... أكلّفه يلقى الأعادي بصدره
صبور[1] على الشكوى فلو دست خدَّه ... على رقّةٍ فيه وثقتُ بصبره
إذا نابني خطبٌ جليلٌ ندبته ... فيهتزّ منه مستقلٌّ بأمره
يخفّ غداةَ الروع مهما نهرته ... فيغرقُ في بحر العجاج بنهره
ويمضي إذا أرسلتُهُ في مهمةٍ ... فما يتلقّاني مقيماً لعذره
غدا فاخراً بينَ الأنام بجده ... وراح أبيّاً عن أبيه بفخره
فغصْ خلفه إن كنتَ تؤثر كشْفَه ... ولا تدّعِ[2] التقصيرَ عن طوا، بحره
فها أنا عنه قد كشفتُ لأنني ... حلفتُ له أن لا أبوحَ بسرّه

وقال في الرمح :

ولي صاحبٌ قد كمّل الله خَلْقَهُ ... وليس به نقصٌ يعابُ فيذكرُ
عصيٌّ ثقيلٌ إن أُطيلَ عنانه ... مطيعٌ خفيفُ الكَلّ حين يُقصَّر
يسابقني يومَ النزالِ إلى العدا ... فإن لم أؤخِّره فما يتأخر
ويؤمنُ منه الشرُّ ما دام قائماً ... ولكن إذا ما نام يخشى ويحذر
أنال به في الروع مهما اعتقلته ... مراماً إذا أطلقتُه يتعذر
تعدّى على أعدائه متنصلاً ... إليهم وما أبدى اعتذاراً فيعذر
ترى منه أميّاً إلى الخطّ ينتمي ... ومُغرًى بغزو الروم وهو مزنّر
عجبتُ له من صامتٍ وهو أجوف ... ومن مستطيلِ الشكلِ وهو مدوّر
ومن طاعنٍ في السنّ ليس بمنحنٍ ... ومن أرعنٍ مذ عاش وهو موقّر

١ ص : صبوراً .
٢ ص : تدعي .

ففكّر إذا ما رمتَ إفشاءَ سره   فها أنا قد أظهرتُهُ وهو مضمر

وقال في الخيمة :

ومرفوعة منصوبة قد نصبتُها   ولكنه رفعٌ يؤولُ إلى خفضِ
تُعينُ على حرّ الزمانِ وبرده   بلا حَسَبٍ زاكٍ ولا كَرَمٍ محض
وتصبحُ للاّجي إليها وقايةً   لبعضِ الأذى الطاري على الجسم لا العرض
تقوم على رجلين طوراً وتارةً   تقومُ على رجلٍ بلا عَرَجٍ مُنض
إذا حضرتْ كانت عقيلةَ خدرها   وإن تبدُ لم تلزم مكاناً على الأرض
قصدتُ كريماً[1] خيمهُ ليبينها   وقصدُ الكريم الخيم من جُملةِ الفرض

يا رافعَ لواء الأدباء ، ودافعَ لأواء الغرباء ، هذا اللغز ممهد موطّا ، مكشوف لا مغطّى ، وقد سطر مفرداً ومجموعاً ، وذكر مقيساً ومرفوعاً ، إلا أنه قد استخفى وهو مظهر ، وأُسِرَّ وهو مجهر ، وتعامى وهو بصير ، وتطاول وهو قصير ، وتصامم وهو سميع ، وتعاصى وهو مطيع ، ومثل مولاي من عرف وَكرَهُ ، ولم يعمل فكره ، والامر له عليّ أمره ، وأطال للأولياء عمره .

وقال أيضاً :

ومليح جاءنا يش   طح في صدر نهار
وهو في مبدأ سكرٍ   وعقابيلِ خُمار
فسقيناهُ إلى أن   أظلم الليل لسار
وجذبنا في لبان   ودفعنا بمداري
فصبحناه بكاسٍ   وغبقناه بعار

وقال في جمع سواك :

---

[1] ص : كريم .

أيا سيداً ما رام جدواه طالبٌ   فعاد ولم يظفرْ بأقصى مطالبه
أبنْ لي عن الجمع الذي إن ذكرته   تخاطب من خاطبته بمعايبه

وكتب إلى ركن الدين قرطاي ببغداد وهو ساكن عند نهر عيسى :

أمولايَ إني مذ رأيتكَ ساكناً   على نهر عيسى لم أزلْ دائم الفكرِ
لأنك بحرٌ بالمكارم زاخرٌ   ومن عجبٍ أن يسكنَ البحرُ في النهر

ولما كان ببغداذ خرج للشعراء من عند المستنصر ذهب على أيدي الحجاب ولم يخرج إليه شيء ، فكتب إلى الخليفة المستنصر :

لما مدحتُ الإمامَ أرجو   ما نال غيري من المواهبْ
أجدتُ في مدحه ولكنْ   عدتُ بجدّي العثور خائب
فقال لي مادحوه لما   فازوا وما فزت بالرغائب
لمْ أنت فينا بغير عينٍ   قلت لأني بغير حاجب

وقال :

وعلقٍ نفيسٍ تعلّقْتُهُ   فزار على خلوة وارتياعِ
ولم يبقَ في المردِ إلا كما   يقالُ على أكلةٍ والوداع
فعاجلته عن دخول الكنيف   بشحّ مطاع ورأيٍ مضاع
فغرّقني منه نوء البُطَيْنِ   وروّاه منّيَ نوء الذراع

وقال :

على ورد خديه وآسِ عذاره   يليقُ بمن يهواه خلعُ عذارهِ
وأبذلُ جهدي في مداراةِ قلبه   ولولا الهوى يقتادني لم أداره
أرى جنةً في خده غير أنني   أرى جلّ ناري شبَّ من جلّناره
كغصنِ النقا في لينهِ واعتداله   وريم الفلا في جيدهِ ونفاره
سكرتُ بكأسٍ من رحيق رُضابهِ   ولم أدرِ أنَّ الموتَ عقبي خُماره

وقال :

لو شرحتُ الذي وجدتُ من الوجـ ـدِ[1] عليكم أمللتكُمْ ومللتُ
فلهذا خففت عنكم من الكتـ ـب ولو شيت أن أطيل[2] أطلت
غير أن العبيد تحمـل عن قلـ ـب الموالي وهكذا قد فعلت

وقال في مليح نحوي :

بُليتُ بنحويّ يخالفُ رأيه أواناً فيجزيني على المدح بالمنعِ
تعجبتُ من واوٍ تبدتْ بصدغه ولم يُحْظِني منها بعطف ولا جمع
ومن ألفٍ من قدّه قد أمالها عن الوصل لكن لم يملها عن القطع

وقال أبو الحسين الجزار يمدحه :

عفا الله عما قد جنَتهُ يدُ الدهرِ فقد بذل المجهودَ في طلب العذرِ
أيحسنُ أن أشكو الزمانَ الذي غدت صنائعه عندي تجلُّ عن الشكر
لقد كنتُ في أسرِ الخمولِ فلم يزل بتدريجه حتى خلصت من الأسر
فشكراً لأيامٍ وفتْ لي بوعـدها وأبدت لعيني فوق ما جال في فكري
وكم ليلةٍ قـد بتّها مُعْسِراً ولي بزخرف آمالي كنوزٌ منَ اليسر
أقولُ لقلبي كلّما اشتقت للغنى إذا [جاء] نصر الله تبَّتْ يدُ الفقر

منها :

وإن جئته بالمدح يلقاك باللها فكم مرة قد قابل النظمَ بالنثر
ويهتزّ للجدوى إذا ما مدحته كما اهتز ،حاشا وصفه، شارب الخمر

منها :

ولو أنني وافيت غيرك مادحاً لتممتُ نقصي بالحماقة والفشر

---

١ الطالع : كتمت من السر .
٢ ص : أطلت .

وأعطيت نفسي عنده فوق حقها من الكبر لكن ليس ذا موضعَ الكبر
وكل امرىء لا يحسن العومَ غارقٌ إذا ما رماه الجهلُ في لجة البحر

٥٤٦

أبو صالح الجيلي

نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر ، أبو صالح الجيلي الشافعي[١] ؛ تفقه في صباه ، ثم صحب محمد بن علي النوقاني الفقيه الشافعي ، وقرأ عليه الخلاف والأصول وبرع في ذلك ، وتولى التدريس في مدرسة جده بباب الأزج وبالمدرسة الشاطئية عند باب المراتب ، وبنيت له دار بجامع القصر للمناظرة ، وعقد مجلس الوعظ في مدرسته ، وكان له قبول عظيم .

وأذن له في الدخول في كل جمعة على الأمير أبي نصر محمد ابن الإمام الناصر لسماع مسند مسلم فحصل له به أنس ، فلما بويع له بالخلافة ولقب بالإمام الظاهر قلّده قضاء القضاة في يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وخلع عليه السواد وقرىء عهده في جوامع مدينة السلام ، فسار السيرة المرضية وأقام ناموس الشرع ولم يحابِ أحداً[٢] في دين الله . وكان يملي الحديث في مجلس حكمه ويكتب الناس عنه ، ولم تغيّره

---

٥٤٦ – الزركشي : ٣٣٦ والحوادث الجامعة : ٨٦ (نصر بن أبي بكر بن عبد الرزاق ولعل الصواب : أبي بكر عبد الرزاق) وذيل ابن رجب ٢ : ١٨٩ ، ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ قال في الحوادث الجامعة : وقلد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله ولم يقلد حنبلي سواه ، وورود ترجمته في ذيل ابن رجب يؤكد ذلك ، وقد ردد الزركشي أنه شافعي .

٢ ص : أحد .

الولاية عن أخلاقه ، وأقام على القضاء مدة أيام الظاهر ، وتولّى المستنصر بالله فأقرّه على ذلك أربعة أشهر وأياماً وعزله .

وكان له رسم في رجب من الصدقة الناصرية يأخذه من البدرية ، فاتفق تفرقته في بعض السنين في يوم الأربعاء ، وكان قد توجه لزيارة قبر أحمد بن حنبل ، فلما عاد من الزيارة وجد الناس قد قبضوا رسومهم وانفصلوا ، وقيل له : إن رسمك قد رفع إلى الحكيم ابن توما النصراني فامض إليه ، فقال : والله لا أمضي إليه ولا أطلب رزقي من كافر ، وعاد إلى منزله متوكلاً على الله تعالى وقال :

نفسُ ما عَنْ ديننا من بَدَلِ　　　فدعي الدنيا وخلي جدلي
ما تساوي أننا نمضي إلى　　　مشرك إذ ذاك عين الزلل
إن يكن دَينٌ علينا فلنا　　　خالقٌ يقضيه ، هذا أملي

ولم يزل ذلك الذهب عند الحكيم النصراني إلى أن مات وأخذ من تركته وحمل إلى القاضي .

ومولده في شهور سنة أربع وستين وخمسمائة ، ووفاته سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وكانت جنازته عظيمة ، ودفن إلى جانب قبر الإمام أحمد بن حنبل ، وقيل بل دفن معه ، تولّى ذلك الرعاع والعوام ، وقبض على من فعل ذلك وعوقب وحبس ، ونبش بعد ثلاثة أيام ونقل وعفي قبره ولم يعلم أين دفن . ورثاه الشيخ يحيى الصرصري رحمه الله تعالى بقوله :

أبا صالح ما العيشُ بعدك صالحُ　　　نزحتَ ففيك الحزنُ للدمع نازحُ
وما مُقَلٌ ضنَّتْ عليك بمائها　　　غداةَ النوى إلا عيونٌ شحائح
نأيتَ وصعبُ الدمع بعدك بالأسى　　　ذلولٌ ومطواعُ التصبر جامح
على مثلك اليوم البكاء لذي الحجى　　　مباحٌ وفيك القلب بالحزن نائح
وما عذرُ عينٍ لا تفيض دموعها　　　عليك وآماقُ المعالي سوافح

على صفحات المكرمات كآبةٌ لفقدك لما غيبتك الصفائح
فلله قبرٌ ضمَّ فضلك إنه لقبرٌ بعيدٌ قطرُهُ متفاسح
به الرَّوح والريحان والنور عاكفٌ وفوق ثراه فأرة المساك فائح
لئن ذقتَ كأساً ذاقها أحمد الرضا وقد ذاقها من قبل هودٌ وصالح
لما مات ما أحييتَ من سنن الهدى بعلمك فليرغمْ حسودٌ وكاشح
سقى جدثاً أصبحتَ فيه مخيّماً من السلسبيل العذب غادٍ ورائح
علوت بقرب من إمامك ذروةً تسنّمتها إذ أنت عنه تنافح
وما كنت إلا سرّ جدك ، ميتاً وحياً، فميزان العلا بك راجح
وكنت عمادَ الدين معنىً وصورةً وغيرك عن ألقابه متنازح
سموتَ بمجدٍ سابق ثم لاحق فقصَّر في الأوصاف ناعٍ ومادح
وكنت لرأس المجد تاجاً مكللاً وخلّفتَ تاجاً فوقه الفخر لائح
فلا زال في العلياء بيتك سامياً تزول به عنّا الخطوبُ الفوادح [1]

٥٤٧
أبو طاهر الحلي الشاعر

نصر بن الفتح بن أبي المعمر بن أسد بن الحسن ، ينتهي إلى طاهر بن الحسين ، أبو طاهر الطاهري الشاعر ، من الحلة السيفية ؛ كان شيخاً فاضلاً أديباً شاعراً ، دخل الشام ومدح الملوك والأعيان .

قال محب الدين ابن النجار : لقيناه بالشام وكتبنا عنه شيئاً من شعره ، وكانت وفاته بعد سنة خمس وعشرين وستمائة ، ومولده سنة إحدى وخمسين

---

١ ص : القوادح .
٥٤٧ – الزركشي : ٣٣٧ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

وخمسمائة[1] ؛ ومن شعره :

ما بين . رامةَ والعقيقِ ديارُ كانت وكان بها الهوى ونوارُ
درست على مرّ الزمان كأنما آثارها من ريطه آثار
لم تبق إلا من أَوارٍ ، ما بدت إلا بدا فوق القلوب أُوار
عهدي بها قبل الشباب، وما غدت من أهلها للغاديين قفار
والدهر ما صدع الجميع وظلنا ضال النقا وضياؤها[2] السمّار
والأرض قد حكت السماءَ بأنجم في روضة نجمت بها الأزهار
والطل يستبكي الربيع جفونه فإذا بكى يتضاحكُ النوّار
والدوح تهصره الصبا بعليلها فإذا أمادت ورقه الأوكار
تشدو وتنشدنا القيان مناسباً بفمِ الكران ويصحب المزمار
فتصفق الأغصان ما بين الغنا بيد النسيم وترقص الأشجار
وشرابنا كرميّة الأعراقِ بل كَرَمية[3] الأخلاق بل بكر الحيا المدرار
كالتبر قد نُثِر اللجينُ فُوَيقَهُ الا ياقوت بل ماء عليه نار
راحٌ بها روح القلوب وبرؤها من عقر سيف الهمّ وهي عقار
يغدو بها عَبَلُ الروادف ما انثنى إلا ثنى الأكبادَ وهي حرار
قمرٌ على غصنٍ على دعصٍ وهل هذي الصفات تحوزها الأقمار
لبس العذار فظلّ يُخلعُ دائماً فيه العذار وتُلبَسُ الأعذار
يجري غرارُ السيف منه إذا بدا وأسيل خد سال فيه عذار
وردٌ على طلعٍ وخيط بنفسج متنطقٌ بنضيده ومدار
كم شدّ زنّاراً[4] لديه مسلمٌ ولهاً ولم يحلل له زنار

---

١ كانت في الأصل : وستمائة ثم غيرت بغير خط الأصل .
٢ ص : وظللنا . . . وضيايها .
٣ ص : كريمة .
٤ ص : زنار .

فسقى لييلات مضين بهذه الـ أوطان كم قضيتْ بها أوطار
ديمٌ تديم الإنسكابَ كأنها نعمٌ يجود بها الغياث غزار

٥٤٨

أبو سعد الدينوري

نصر بن يعقوب ، أبو سعد الدينوري مصنف كتاب التعبير المعروف بـ « القادري » ؛ ذكره الثعالبي في من ورد من نيسابور وقال : تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة والصناعة والبراعة[١] ، وله في الأدب تقدم محمود وفي المروّة قدم مشهورة ، وشهادة الصاحب ابن عباد له في الفضل، يسجل بها حكام العدل . وله تصانيف منها كتاب «روائع التوجيهات في بدائع التشبيهات » وكتاب « ثمار الأنس في تشبيهات الفرس » . كتاب « الجامع الكبير في التعبير » وهو القادري . كتاب « الأدعية » كتاب « حقّة الجوهر »[٢].

ومن شعره :

أبى لي أن أبالي بالليالي وأخشى صرفَها في من يبالي
حلولي في ذرى ملك كطود رفيع مشرق الأعلام عالي
إلى شمس الشتاء إلى ظلال الـ ـمصيف إلى الغمام إلى الهلال
إذا ما جاءه المذعور يوماً وحلّ ببابه عقد[٣] الرحال
تبوأ من ذراه خيرَ دار فلم يخطرْ لمكروهٍ ببال

٥٤٨ – الزركلي : ٣٣٧ واليتيمة ٤ : ٣٨٩ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .
١ اليتيمة : والبراعة في الصناعة .
٢ اليتيمة : حقة الجواهر في المفاخر .
٣ ص : عند .

[ومنها عند ذكر القصيدة][1] :

بودّي لو نهضتُ بها ولكن ضعفتُ عن الحراك لضعف حالي

ومنه :

اسقني كاساً كلون الذهب وامزجِ الريقَ بماء العنبِ
فقد ارتجتْ بنا الأرض ضحًى كارتجاج الزئبق المنسرب
وكأنّ الأرضَ في أرجوحةٍ وكأنا فوقها في لولب

٥٤٩
نصيب الأكبر

نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ؛ كانت أمه سوداء فوقع عليها أبوه فجاءت بنصيب ، فوثب إليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه ، وكان شاعراً فحلاً مقدّماً في النسيب والمديح ، ولم يكن له حظ في الهجاء ، وكان عفيفاً ؛ توفي في حدود العشرين والمائة .

قال نصيب : كنت أرعى غنماً — أو قال إبلاً — فضلّ[2] منها بعير فخرجت في طلبه حتى قدمت مصر وبها عبد العزيز بن مروان فقلت : ما بعد عبد العزيز أحد أعتمده ، ولم أكن بعد قد[3] مدحت أحداً[4] ، فحضرت

---

١ زيادة من اليتيمة .

٥٤٩ – طبقات ابن سلام : ٥٤٤ والشعر والشعراء : ٣٢٢ والأغاني ١ : ٣٠٥ والسمط : ٢٩١ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٢٩ والعيني ١ : ٥٣٧ والزركشي : ٣٣٧ . جمع شعره الدكتور داود سلوم (بغداد : ١٩٦٨) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ ص : فطل .

٣ ص : بعد ذلك . ٤ ص : أحد .

بابه مع الناس فرأيت رجلاً على بغلة ، حسن البزة يؤذن له إذا جاء ، فلما انصرف إلى منزله اتبعته أماشي بلغته فقال : ما شأنك ؟ فقلت : أنا رجل شاعر من أهل الحجاز ، وقد مدحت الأمير وأتيت إليه راجياً معروفه ، قال : فأنشدني ، فأنشدته فأعجبه وقال : ويحك هذا شعرك ؟ إياك أن تنتحل فإن الأمير راوية عالم[1] بالشعر وعنده رواة ، فلا تفضحني وتفضح نفسك ، فقلت : والله ما هو إلا شعري ، فقال : ويحك ، قل أبياتاً تذكر فيها حوف[2] مصر وفضلها على غيرها والقني بها غداً ، فغدوت عليه فأنشدته[3] :

سرى الهم حتى بيّتتني[4] طلائعه   بمصر وبالحوف اعترتني روائعُه
وبات وسادي ساعدٌ قلّ لحمه   عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

وذكر الغيث فقال :

وكم دون ذاك العارض البارق الذي   له اشتقت من وجه أسيل مدامعه
تمشي به أبناء[5] بكر ومذحج   وأبناء[5] عمرو فهو خصب مراتعه
بكل[6] مسيلٍ من تهامةَ طيب   دميث الربى تسقي البحار دوافعه
أعنّي على برق أريك وميضه   تضيءُ دجنّاتِ الظلام لوامعه
إذا اكتحلت عينا محبّ بضوئه   تجافت به حتّى الصباح مضاجعه

قال : أنت والله شاعر ، احضر الباب فاني أذكرك ، قال : فجلست على الباب ودخل فدعاني فدخلت فسلمت على عبد العزيز ، فصعّد فيّ بصره

---

١ ص : عالماً .
٢ ص : خوف .
٣ ديوانه : ١٠٣ .
٤ الأغاني : تشنيني إليك .
٥ الأغاني : أفناء .
٦ الأغاني : فكل .

وصوّب وقال : أشاعر ويلك أنت ؟ قلت : نعم أيها الأمير ، قال : فأنشدني ، فأنشدته[1] :

لعبد العزيز على قومه وغيرهمُ نعمٌ غامرَهْ
فبابك ألينُ أبوابهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك[2] آنس بالمعتفين من الأم بالابنة الزائره
وكفك حين ترى السائلين أندى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنا الثناء بكلّ محبرةٍ سائره

فقال : أعطوه أعطوه ، قلت : إني مملوك ، فدعا الحاجب قال : اخرج فابلغ قيمته ، فدعا المقوّمين فقال : قوّموا غلاماً أسود ليس له عيب ، فقالوا : مائة دينار ، قال : إنه راعي إبل يحسن القيام بها ، قالوا : مائتا دينار ، قال : إنه يبري القسيّ والنبل ويريشها ، قالوا : أربعمائة دينار ، قال : إنه راوية للشعر ، قالوا : ستمائة دينار ، قال : إنه شاعر لا يلحن ، قالوا : ألف دينار ، قال عبد العزيز : ادفعها إليه ، فقلت له : أصلح الله الأمير ، ثمن بعيري الذي ضلّ ، قال : كم ثمنه ؟ قلت : خمسة وعشرون ديناراً[3] ، قال : ادفعوها إليه ، قلت : فجائزتي لنفسي عن مديحي إياك ، قال : اشترِ نفسك ثم عد إلينا .

ووفد نصيب على الحكم بن المطلب وهو على صدقات المدينة فأنشده[4]:

أبا مروان لست بخارجي وليس قديم مجدك بانتحال
أغر إذا الرواق انجاب عنه بدا مثلَ الهلالِ على المثال
تراءاه العيون كما تراءى عشيةَ فِطْرها وَضَحَ الهلال

---

١ ديوانه : ٩٩ .
٢ ص : وكيلك .
٣ ص : دينار .
٤ ديوانه : ١١٩ .

فأعطاه أربعمائة ضائنة ومائة لقحة ومائتي [1] دينار .

وقال نصيب : علقت جارية حمراء ، فمكثتْ زماناً تمنيني الأباطيل ، فلما ألححت عليها قالت : إليك عني فوالله لكأنك من طوارق الليل ، فقلت : والله وأنت لكأنك من طوارق النهار ، قالت : وما أظرفك يا أسود ! فغاظني قولها فقلت لها : أتدرين ما الظرف ؟ إنما الظرف العقل ، ثم قالت لي : انصرف حتى أنظر في أمرك ، فأرسلت إليها بهذه الأبيات [2] :

فإن أكُ أسوداً [3] فالمسك أحوى وما لسواد [4] جلدي من دواءِ
ومثلي في رجالكمُ قليلٌ ومثلك ليس يُعدمُ في النساء
فإن ترضيْ فردّي قولَ راضٍ وإن تأبي فنحن على السواء

قال : فلما قرأت الشعر تزوجتني .

ودخل نصيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق فأنشده شعراً لم يرضه وكلح في وجهه ، وقال لنصيب :قم فأنشد مولاك ، فقام فأنشده [5] :

أقولُ لركبٍ صادرين لقيتهم قفا ذات أوشالٍ ومولاك قاربُ
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من آل ودّان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
وقالوا عهدناه وكلّ عشيّةٍ على بابه من طالبي العرف راكب
هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حوله ولا يشبه البدرَ المضيء الكواكب

فقال : أحسنت يا نصيب ، وأمر له بجائزة ، ولم يصنع ذلك بالفرزدق ،

---

١ ص : ومائتين .
٢ ديوانه : ٥٨ والأغاني : ٣٣٣ .
٣ ص : أسود ، الأغاني : حالكاً .
٤ ص : بسواد .
٥ ديوانه : ٥٩ .

فقال الفرزدق :

وخير الشعر أكرمه رجالاً   وشرُّ الشعر ما قال العبيدُ

حدث محمد بن سلام قال : دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فقال له : حدثني يا نصيب ببعض ما تمّ عليك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، علقت جارية حمراء فعيّرتني بالسواد فكتبت إليها[1] :

فإن يك من لوني السواد فإنني   لكالمسك لا يروى من المسك ذائقُهْ
وما ضرَّ أثوابي سوادي وتحته[2]   لباسٌ من العلياء بيضٌ بنائقه

فلما سمعت الشعر[3] قالت : المال والعقل يأتيان على غيرهما ، فتزوجتني .

٥٥٠
نصيب الأصغر

نصيب الأصغر مولى المهدي ؛ كان قد نشأ باليمامة فاشتراه المهدي، فلما سمع شعره قال: والله ما هو بدون نصيب مولى بني أمية، وأعتقه وزوجه أمةً وكنّاه أبا[4] الحجناء وأقطعه ضيعة بالسواد، وعمر بعده ومدح هارون بقوله:

أللبين يا ليلى جمالك ترحلُ   ليقطع منا البينُ ما كان يوصلُ
تعللنا بالوعدِ ثمتَ تلتوي   بموعدها حتّى يموتَ المعلل

---

١ ديوانه : ١١٠ وأثبت هنا رواية الأغاني .   ٢ الأغاني : وتحتها .
٣ ص : فلما سمع شعر الشعر .
٥٥٠ – الأغاني ٢٢ : ٤٠٠ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٣٤ وطبقات ابن المعتز : ١٥٥ والزركشي : ٣٣٨ ؛ ولم يرد من هذه الترجمة في المطبوعة إلا بعضها .
٤ ص : أبو .

فلا الحبل من ليلى يواتيك وصله ... ولا أنت تنهى القلبَ عنها فيذهل
خليليّ إني ما يزال يشوقني ... قطينُ الحمى والظّاعنُ المتحمّل
فأقسمتُ لا أنسى لياليَ منعجٍ ... ولا مأسلٍ إذ منزلُ الحيِّ مأسل
أمن أجل أبيات ورسم كأنـــه ... بقية وحيٍ أو كتاب مفصل
فيا أيها الزنجيّ ما لك والصبا ... أفق عن طِلابِ البيض إن كنت تقبل [1]
فمثلك من أحبوشة الزنج قطعت ... وسائل [2] أسباب بها يتوصل
قصدنا أمير المؤمنين ودونـه ... مهامه موماة من الأرض مجهل [3]
على أرحبيات طوى السير [4] فانطوت ... تماثلها [5] مما يحلّ ويرحل
إذا انبلج البابان [6] والستّر دونه ... بدا مثلما يبدو الأغرّ المحجل
شريكان فينا منه : عينٌ بصيرةٌ ... كلوءٌ وقلبٌ حافظ ليس يغفل
فما فات عينيه رعاه بقلبـــه ... فآخر ما يرعى سواء [7] وأول
وما نازعت فينا أمورَكَ هفوةٌ ... ولا خَطَلٌ في الرأي والرأي يخطَل
إذا اشتبهت أعناقه [8] بينت له ... معارف في أعجازه وهو مقبل
على ثقة منا نحنّ قلوبنـــا ... إليك كما كنا أباك نؤمل
إذا ما دهتنا من زمان ملمـــة ... فليس لنا إلا عليك معوّل

ووجه المهدي نصيباً إلى اليمن في شراء إبل مَهْرِية ، ووجه معه رجلا

١ الأغاني : تعقل .
٢ ص : رسائل .
٣ ص : مرماة . . . تجهل .
٤ ص : السر .
٥ ص : بمائلها ، الأغاني : شمائلها ، وهو خطأ .
٦ ص : البانان .
٧ ص : وآخر . . . سواه .
٨ ص : أعقابه .

من الشيعة ، وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار ، فمدّ نصيب يدّه في الدنانير ينفقها ويشرب بها ويشتّري الجواري ، فكتَبَ الشيعي بخبره إلى المهدي ، فأمر بحمله موثقاً في الحديد ، فلما دخل على المهدي أنشده :

تأوبني ثقلٌ من الهمِّ موجعُ — فأرق عيني والخليُّونَ هُجّعُ
همومٌ توالت لو أطاف يسيرها — بسلمى لظلت صُمُّها[1] تتصدّع
[ولكنها نيطت فَنَاءَ بحملها — جهيز المنايا حائن النفس يجزع][2]
وعادت بلادُ الله ظلماءَ حِندِساً — فخلتُ دجى ظلمائها لا تقشع

منها :

إليك أميرَ المؤمنين ولم أجدْ — سواك مُجيراً [منك] يدني ويمنع
تلمستُ هل من شافع لي فلم أجد — سوى رحمةٍ أعطاكها الله تشفع
لئن جلت الأجرامُ مني وأفظعتْ — لَعَفوك من جرمي أجلُّ وأوسع
لئن لم تَسَعْني يا ابنَ عمِّ محمدٍ — فما عَجزتْ مني وسائل أربع
طبعتَ عليها صنعةً[3] ثم لم تزلْ — على صالح الأخلاق والدين تُطبع
تغابيك عن ذي الذنب ترجو صلاحه — وأنت ترى ما كان يأتي ويصنع
وعفوك عمَّنْ لو تكونُ جزيته — لطارت به في الجوِّ نكباءُ زعزَع
وأنك لا تنفكّ تنعشُ عاثراً — ولم تعترضه حين يكبو ويخمع
وحلمك عن ذي الجهل من بعد ما جرى — به عَنَقٌ من طائش الجهل أسفع[4]
ففيهنّ لي إمّا شفعن منافعٌ — وفي الأربع الأولى إليهنّ أفزع
مناصحتي بالفعل إن كنت نائياً — إذا كان دانٍ منك بالقول يخدع

١ الأغاني : شمها .
٢ لم يرد في ص ، وهو في الأغاني .
٣ الأغاني : صبغة .
٤ الأغاني : أشنع .

وثانيةٌ ظني بك الخير عادةً   وإن قلتَ عبدٌ ظاهرُ الغشّ مسبعُ
وثالثة أني على ما هويتَهُ   وإن كثُر الأعداء فيّ وشنعوا
ورابعة أني إليك يسوقني   ولائي ، تولاكَ[1] الذي لا يضيع
وإني لمولاك الذي إن جفوتـه[2]   أتى مُستكيناً خاضعاً[3] يتضرّع
[وإني لمولاك الضعيف فأعْفِني   فإني لعفوٍ منك أهلٌ وموضِعُ][4]

فقطع عليه المهدي الإنشاد وقال : ومن أعتقك يا ابن السوداء ؟ فأومأ بيده إلى الهادي وقال : الأمير يا أمير المؤمنين ، فقال المهدي لولده موسى : أعتقته يا بنيّ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فأمضى المهدي ذلك وأمر بحديده ففك عنه وخلع عليه عدّة من الخلع : الخز والوشي والسواد والبياض، ووصله بألفي دينار وأمر له بجارية يقال لها «جعفرة» جميلة فائقة من روقة الرقيق، فقال له سالم قيم دار الرقيق : لا أدفعها إليك أو تعطيني ألف دينار ، فقال قصيدته :

أآذن الحيُّ فانصاعوا بترحالِ[5]   فهاج بينُهُمُ شوقي وبلبالي

وقام بها بين يدي المهدي ، فلما قال :

ما زلتَ تبذلُ لي الأموالَ مجتهداً   حتّى لأصبحتُ ذا أهلٍ وذا مال
زوّجتَني يا ابن خير الناس جاريةً   ما كان أمثالها يهدى لأمثالي
زوّجتني بضةً بيضاءَ ناعمةً   كأنها درةٌ في كف لآل
حتّى توهمتُ أنّ الله عجلها   يا ابنَ الخلائف لي من خير أعمالي
فسالني سالمٌ ألفاً فقلت له   أنّى ليَ الألف يا قُبِّحتَ من سال

---

١ الأغاني : فمولاك .
٢ ص : جفيته .   ٣ الأغاني : راهباً .
٤ زيادة من الأغاني .
٥ ص : بترحالي

هيهات ألفك إلا أن أجيء بها   من فضل مولى لطيف المنّ مفضال

فأمر له المهدي بألف دينار ولسالم بألف درهم .

ومرّ نصيب بباب الفضل بن يحيى فقال :

ما لقينا من جودِ فضل بن يحيى   جعلَ الناسَ كلَّهُمْ شعراءَ

وكانت وفاته بعد التسعين والمائة ، رحمه الله .

٥٥١

[النصير الحمامي]

النَّصير — بفتح النون — ابن أحمد بن علي المناوي الحمّامي ؛ قال الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان : كان المذكور أديباً بمصر ، كيّسَ الأخلاق يتحرّف باكتراء الحمامات ، وأسنّ وضعف عن ذلك ، وكان يستجدي بالشّعر ، توفي سنة اثنّي[1] عشرة وسبعمائة ، رحمه الله .

من شعره :

لا تَفُهْ ما حييتَ إلا بخير   ليكونَ الجوابُ خيراً[2] لديكا

قد سمعتَ الصّدى وذاك جمادٌ   كلّ شيء تقول ردّ عليكا

أخذ هذا المعنى من ابن سناء الملك حيث يقول[3] :

---

٥٥١ — الزركشي : ٣٣٨ والبدر السافر : ٢١٢ والدرر الكامنة ٥ : ١٦٦ وحسن المحاضرة ١ : ٥٦٩ وفي البدر السافر أن وفاته ظناً سنة ٧٠٤ وفي الدرر أنه توفي سنة ٧٠٨ ، ولم يرد في المطبوعة من هذه الترجمة إلا شيء يسير .

١ ص : اثنا .

٢ ص : خير .   ٣ ديوان ابن سناء الملك : ٧٩١ .

بان عليها الذلُّ من بعدهم وزاد حتّى كاد أن لا يبينْ
فإن تقلْ أين الذين اغتـــدوا يقل صداها لك أين الذين

وأخذه ابن سناء الملك من القاضي ناصح الدين الأرّجاني حيث قال[1] :

سأل الصدا عنه وأصغى للصدا كيما يقولَ فقال مثل مقالـهِ
ناداه أين ترى محطّ رحاله فأجاب أين ترى محط رحاله

ومن شعر النصير :

أقول والكأسُ قد تبدت في كفِّ أحوى أغنّ أحورْ
خربتَ بيتي وبيتَ غيري وأصلُ ذا كعبك المدوّر

ومنه أيضاً :

إن الغزالَ الذي هام الفؤادُ به استأنس اليوم[2] عندي بعدما نَفَرَا
أظهرتْها ظاهرياتٍ وقد ربضتْ فيها الأسودُ[3] رآها الظبي فانكسرا

ومنه أيضاً :

قالوا افتضحتَ بحبِّـــهِ فأجبتُ لي في ذا اعتذارُ
من لي بكتمانِ الهوى وبخدّه نمَّ العـــذار

وقال أيضاً :

ما زال يسقيني زلالَ رضابه لما خفيتُ ضنًى وذبتُ توقّدا
ويظنّني حياً رويتُ بريقه فإذا دعا قلبي يجاوبه الصدا

وقال أيضاً :

ماذا يضرّك لو سمحتَ بزورةٍ وشفعتها بمكارم الأخلاقِ

---

١ ديوان الأرجاني : ٣٢٨ .

٢ ص : النوم

٣ البدر السافر : بها أسود .

وردعتَ نفسك حين تمنعك اللقا وتقولُ هذا آخر العشاق

وقال :

لي منزلٌ معروفه ينهلُّ غيثاً[1] كالسحبْ
أقبلُ ذا العذر به وأكرمُ الجار الجنب

وقال :

رأيتُ فتىً يقـول بشطِّ مصرٍ على درجٍ بدت والبعضُ غارقْ
متى غطّى لنـا الدرجَ استقمنا فقلتُ نعم وتنصلحُ الدقائـق

وقال :

ومذ لزمتُ الحمّام صرتُ فتىً خلا يداري من لا يداريـه
أعرف حرَّ الأشيا وباردها وآخذ المـاءَ من مجاريه

قلت : لما كتب أبو الحسين الجزار إلى النصير الحمامي :

حسنُ التأتي ممـا يعين على رزق الفتى والحظوظُ تختلفُ
والعبدُ مـذ كان في جزارته يعرفُ من أين تؤكلُ الكتف

كتب إليه النصير البيتين المذكورين أولاً .

وقال النصير أيضاً [2] :

رأيت شخصاً آكلاً كرشةً وهو أخو ذوقٍ وفيه فطنْ
وقال ما زلتُ محباً لهـا قلتُ من الإيمان حبُّ الوطن

وقال النصير يوماً للسراج الوراق : قد عملت قصيدة في الصاحب تاج الدين وأشتهي أنك تزهزه لها وتشكرها ، وسيرها إلى الصاحب ، فلما أنشدت

---

١ البدر السافر : لها انهمال .

٢ مر البيتان في ج ١ : ١٢٩ .

بحضرة السراج قال السراج بعد ما فرغ منها :

شاقني للنصير شعرٌ بديع ولمثلي في الشعر نقدٌ بصيرُ
ثم لما سمعتُ باسمك فيــه قلت نعم المولى ونعم النصير

فأمر له الصاحب بدراهم وسيرها إليه وقال : قل له هذه مائتا درهم صنجة[1] ، فلما أدى الرسول الرسالة قال النصير : قبّل الأرض بين يدي مولانا الصاحب وقل له : يسأل إحسانك وصدقاتك أن تكون عادة ، فلما [بلغ] ذلك الصاحب أعجبه وقال : يكون ذلك عادته .

وكتب النصير إلى السراج يتشوقه :

وكدرتَ حمّامي بغيبتك التي تكدّر من لذاتها صفو مشربي
فما كان صدر الحوض منشرحاً بها ولا كان قلبُ الماء فيها بطيّب

وكتب أيضاً يستدعي إلى حمامه :

من الرأي عندي أن تواصلَ خلوة[2] لها كبدٌ حرّى وفيضُ عيونِ
تراعي نجومــاً فيك من حــرٍّ قلبها وتبكي بدمعٍ قارحٍ وحزين
غدا قلبهـا صباً إليك وأنت إن تأخرت أضحى في حياض منون

وكتب ناصر الدين ابن النقيب إلى النصير وقد حصل له رمد :

يقولون لي عينُ النصير تألمتْ ولازمه في جفنه الحكُّ والأكلُ
فقلتُ أعينُ الراسِ أم عين غيره فللعلو شيءٌ لا يداوى به السفل
فقالوا بل العين التي تحت صلبــه فقلت لها التشييف[3] عندي والكحل

---

١ لعله يعني أنها دراهم وازنة أي راجحة في وزنها على المعدل المتعارف ؛ والصنجة : هي قطعة محررة بوزن يوزن بها عند السبك ، وقد جاء عند ابن بعرة « فإذا احتجت مائة قيراط تحرر أيضاً بصنجة المائة تحريراً ثانياً » (كشف الأسرار العلمية : ٧٥) .

٢ كذا ، ولعله « خلة » أو « حاوة » .

٣ التشييف : معالجة العين بالشيف ، وهو نوع من القطرة .

وميلٌ بماءِ الريقِ يبتلُّ سفله فيدخل سهلاً غير صعبٍ وينسل
وأغسلها بالبيض واللبن الـذي عليّ بتقطيري له يجب الغسل
فإن شاء وافيتُ الأديبَ مداويـاً ولم أشتغل عنه وإن كان لي شغل

فأجابه النصير رحمهما الله تعالى :

أيا من لـه في الطب علمٌ مباشرٌ وما كلّ ذي قولٍ له القولُ والفعلُ
أتيتَ بطبٍّ قـد حوى البيعَ والشرا تبينَ لي في ذلك الخرج والدخل
وإن كـان ذا سهلاً بطبك إنه بسقميَ صعبٌ ليس هذا به سهل
فلا عدم المملوك منك مداوياً وما زال للمولى على عبده الفضل

وقال النصير ذوبيت :

في وجهك للجمال والحسن فنونْ في طرفك للسحر فتورٌ وفتون
أنى أسلو هواك يا من باتت عيناه تقول للهوى : كن ، فيكون

وقال :

إنْ عجلَ النوروزُ قبل الوفا عجّل للعالم صفع القفا
فقد كفى من دمعهم ما جرى وما جرى من نيلهم ما كفى

وقال :

إني لأكره في الأنام ثلاثـةً ما إن لها في عدّها من زائدِ
قربَ البخيل وجاهلاً متعاقلاً لا يستحي وتودداً من حاسد
ومن الرزية والبلية أن ترى هذي الثلاثة جمّعت في واحد

وكتب النصير إلى السراج الورّاق من أبيات :

كنتُ مثلَ الغزال والله يكفي صرتُ في وجهه إذا جيت كلبا
ولعمري لا ذنب لي غير أني تبتُ لله ظن ذلك ذنبـــا
وهو لو جاءني وقد تبتُ حتى يبتغي حاجةً فلن أتأبى

فأجابه السراج الوراق من أبيات :

وأتى الظبيُ مرسلاً منك فاستغ ربتُ لما دعوتَ نفسك كلبا
ولكم جيتَ عادياً خلفه تلـ ـهثُ عدواً للصيد بعداً وقربا
غير أني نظرت عين صفي الـ ـدين كادت أن تشرب الظبي شربا
فاترك التوبةَ التي قـد نراها لك وزراً كما زعمت وذنبا
واجتهدْ في رضاه عنك وقرِّبْ كلَّ نائي المدى تنلْ منه قربا
فلكم رضت جامحاً في تراضيـ ـه وذللت بالسفارة صعبا

وكتب إلى السراج ملغزاً في نون :

ما اسم ثلاثي يرى واحـداً وقد يعد اثنين مكتوبه
يظهر لي من بعضه كله إذ كلُّ حرفٍ منه مقلوبه
أضعفْ ثمانين إلى ستةٍ إن شئت لا يعددك محسوبه
اطلبه في البرِّ وفي البحر لاً فات حجى مولاي مطلوبه

فكتب إليه الوراق الجواب :

يا سالبَ الألباب من سحره بمعجزٍ أعجز أسلوبُـهُ
ألغزتَ في اسمٍ وهو حرفٌ وقد يخفى علينا منك محجوبه
وهو اسم أنثى مرضعٌ طفلها غير لبان الناس مشروبه
مطّرد منعكسٌ شكلُهُ سيان في العين ومقلوبه

وكتب النصير إلى الوراق :

أتى فصلُ الخريفِ عليّ جداً بأمراضٍ لواعجها شدادُ
وأعذرُ عائدي إن لم يعـدني وربَّ مريضِ قومٍ لا يعاد

فأجابه الورّاق :

خلائقك الربيعُ فليس تخشى خريفاً في الجسوم له اعتيادُ

ولا والله لم أعلمك إلا صحيحاً والصحيح فما يعاد

وكتب النصير إلى الوراق أيضاً :

أيها المحسنُ الذي وهب الله تعالى الحسنى له وزيادَهْ
ضاع ما كان من وصولاتِ وصلي فتصدّق بكتبها لي مُعاده
أين تلك الطروسُ نظماً ونثراً منك تأتي على سبيل الإفاده
كلّ طِرْسٍ يجلى عروساً بدرّ الـ قول كم من عقد وكم من قلاده
كان عيسى إذا أتاك رسول منك يحيي خلاً أمتّ وداده
شهد الله ليس لي غير ذكراك وإلا خرستُ عند الشهاده

فكتب الورّاق الجواب :

لم [يفارق سو] ادَ عيني حبيبٌ حلَّ من قلبيَ المشوقِ سوادَه
فكأني ولا أذوقُ له رز ءاً جريرٌ وذاك عندي سواده
ذو بيانٍ أدنى بلاغتـه تنـ سيك قساً وعصره وإياده
جوهري الألفاظ كم قلد الأجـ يادَ عقداً من نظمه وقلاده
فعبيدٌ[1] أدنى العبيدِ لديه ولبيدٌ عن نظمه ذو بلاده
ولأزجاله ابن قزمان يعنو ولتوشيحه يقرُّ عباده[2]
فات دارَ الطراز منـه خلالٌ لو بها للسعيد تمت سعـاده
يا صديقي الذي غدا راعياً فيّ وللأصدقاء فيّ زهاده
هجروني كأنني مصحفٌ أو مسجد قـد أقيم أو سجـاده
دمتَ نعم النصير لي ما تغنّتْ ساجعاتٌ على ذرا ميّاده

وكتب النصير إلى السراج ملغزاً في النار :

---

١ يعني عبيد بن الأبرص .
٢ عبادة بن ماء السماء وشاح أندلسي .

وما اسمٌ ثلاثي له النفع والضَّرَرْ[1] له طلعة تغني عن الشمس والقمرْ
وليس له وجه وليس له قفا وليس له سمعٌ وليس له بصر
يمد لساناً[2] تختشي الريحُ بأسه ويسخر يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت إذا ما قمتَ تسقيه قاصداً وأعجبُ من ذا أن ذاك من الشجر
أيا سامع الأبياتَ دونك شرحها والا فنمْ عنها ونبّه لها عمر

فكتب إليه الورّاق الجواب :

أراك نصير الدين ألغزتَ في التي تعيد لمسكِ الليل كافورةَ السحرْ
رأى معشرٌ أن يعشقوها ديانةً وتالله لا تبقي عليهم ولا تذر
وكل على قلب لهم ران إسمها فمسكنهم منها ومأواهمُ سقر
وقد وصفوا[3] الحسناء في بهجة بها كما وصفوا الحسناء بالشمس والقمر
ولو لم تكن ما طاب خبز لآكل ولا لذّ ماء في حماك لمن عبر

وكتب [النصير] إلى الورّاق ملغزاً في ديك :

أيا مَنْ لديه غامضُ الشعر يكشفُ ومن بَدْرُهُ بادي السَّنا ليس يكسفُ
عساك هدًى لي إنني اليوم ذاهلٌ عن الرشدِ فيما قد أرى متوقف
أرى اسماً له في الخافقين ترفُّعٌ أخا يقظةٍ ذكراً ولا يتعفف
رأيتُ به الأشياءَ تبدو وضدها فكاد لهذا الأمر لا يتكيف
فعرّفه ذو السمع وهو منكرٌ ونكّره ذو اللبّ وهو معرّف
فجاوبْ لأحظى بالجواب فإنه إذا جاوب المولى العبيدَ يشرّف

فكتب إليه الورّاق الجواب عن ذلك :

---

١ ص : والضر .
٢ ص : لسانه .
٣ ص : وصفوها .

إليك نصير الدين مني إجابةً بها أُوضحُ المعنى الخفيَّ وأكشفُ
رأيتك قد ألغزتَ لي في متوَّجٍ بتذكاره أسماعنا تتشنّف
ينبّه قوماً للصلاة ومعشراً[1] عبادتهم آسٌ وكاسٌ وقرقف
له كرمٌ قد سار عنه وغيره وعرفٌ به من غيره ظلَّ يعرف
حظيٌّ تراه وادعاً في ضرائرٍ يزينه تاجٌ وبردٌ مفوّف
وفي قلبه كيدٌ ولكنَّ صدره غدا ضيّقاً مثلي بذلك يوصف

وكتب النصير إلى الوراق ملغزاً في نعامة :

ومفردٍ جمعاً يُرى بحذفِ بعض الأحرفِ
اسمٌ «نعا» أكثره فقالَ باقيه اكففِ
تراه يغدو مسرعاً في بردهِ المفوّف

فكتب الورّاق الجواب :

لو قلت في من قد نعى مات لصدقتك في
فكل باغٍ كالذي تبغي رهين التلف
ألغزتَ في اسم طائرٍ في الأرض عنا ما خفي
يفحصُ فافحصْ عنه يا ربَّ الفنون تعرف
وهو لعمري في السماء يُقْتَفى ويقتفي

وكتب النصير إلى الورّاق وعنده أحمد الموصلي الزجال ·

عندنا من غدا بحبك مغرّى وله فيك لوعةٌ وغرامُ
موصليٌّ يهوى الملاح إذا ما جاء صبحُ اللحى وولّى الظلام
فهو لا ينتهي عن الشيب بالشـ ـيب فماذا تقول يُجدي الملام
لو تبدّى لعينه ابنُ ثمانينَ غدا وهو عاشقٌ مستهام

---

[1] ص : ومعشر .

قرَّ عيناً وطبْ فديتـــك نفساً عنده أنت أنت بدرٌ تمام

فكتب إليه الورّاق الجواب :

حبذا من بناتِ فكــرك عـذرا ءَ بها من فتيقِ مسكٍ ختامُ
خلتُ ميم الرويّ فاها[1] وقد ضاق ومن ذاق قال فيــه مدام
ولها من عقود فضلك حليٌ لم يحزْ مثلَ درّه النظّام
أذكرت بالشباب عيشاً خليعــاً نبتُ فَوْديه بعد آسٍ ثمــام
كيف لا كيف لا ولم أرَ صعباً قط يأتي الا وأنت زمام
وبما فيك من تأتٍّ ولطفٍ أنا شيخٌ للموصليّ غلام
فهو نعم المولى ، ونعم النصير الـ مرتضى أنت صاحباً والسلام

وكتب النصير إلى الورّاق ملغزاً في كنافة[2] :

يا واحداً في عصره بمصره ومن له حُسْنُ السناء والسنا
تعرفُ لي اسماً فيه ذوق[3] وذكا حلو المحيا والجنانِ والجنى
والحلُّ والعقدُ له في دسته ومجلسُ الصدر وفي الصدر المنى
إن قيل يومـاً هـل لذاك كنيةٌ فقل لهم لم يخلُ يوماً من « كُنَا »

فكتب الورّاق الجواب :

لبيك يا نعم النصيرِ والذي أدْنَتْ[4] به المنيةُ لي كلَّ المنى
عرَّفتني الإسمَ الذي عرفته وكاد يخفى سرُّه لولا « الكنا »
له من الحورِ الحسانِ طلعةٌ تقابل المرآة منها الأحسنا

---

١ ص : فواها .
٢ قال في البدر السافر : وكتب إلى قاضي القضاة تقي الدين القشيري يطلب منه كنافة فبلغني أنه أرسل اليه عشرين درهماً .
٣ البدر السافر : حاز ذوقاً .
٤ ص : أذنت .

وخدنه بعضُ اسمه طيراً غـدا أصدق شيء إن بلوت الألسنا
وهو لسانٌ كلـه وبعد ذا تنظره عند الكلام ألكنا
وفي خوانِ المجد كانا مألفي عند الصيامِ ربِّ فاجمعْ بيننا

وكتب النصير إلى الوراق مع ظروف[1] يقطين في فرد[2] :

يا مَنْ لدفعِ الرَّدى غدا جُنَّهْ ومن له في قَبولها المنَّه
هديّةٌ في الإناء تتبعها خيرُ ثناء[3] وهكذا السنَّه

فكتب الورّاق الجواب :

يا من غدا لي من العدا جُنّه ومن بحمّامه لنا جَنّهْ
جاء بهـا الفردُ وهـــو ممتلئٌ ملءَ فؤاد الحماة بالكنّه
وكل ظرف منها بَنَوهُ على الـ ـفتح فحققْ في حبّه ظنَّه

وقال النصير يصف حمامه :

حمام الأديب العارف ما تجري وحالَ[4] واقفْ
بها اسطولْ وما فيهَ اسطال[5]
والماء يتّزنْ بالقسطال[6]
والعمّالْ رأيته بطّال
والاسكندراني ناشف

---

١ ص : ضروف .
٢ فرد : أظنها تعني الجوالق الضخم ، وفي عامية بعض القرى الفلسطينية « فردة » ، ولعلها سميت كذلك لأنها أحد شقي الحمل على الجمل أو غيره .
٣ ص : حيز نبى ، دون إعجام للباء .
٤ أي وحالها ، ويلاحظ أنه يشير إلى الحمام بالتأنيث ، كما يقال لاحدى النعلين « فردة » .
٥ أي فيها عدد كبير من الناس « أسطول » وليس فيها دلاء « اسطال » .
٦ القسطل : أنبوب من الخزف أو غيره يجري فيه الماء ، وقد جعل الفتحة ألفاً للوزن .

وما رأيت فيها بلاّن[1]
يسرّح . لأحد باحسانْ
والزبال يعر القوسان
قال والخاتمه يتصالف

ذي دونَهْ وقيِّمها دون
مبنيهْ على ميه مجنون
والما في المجاري مخزون
والأنبوبْ معوَّجْ تالف

وتابوت على فُسقيَّه[2]
قلتو متْ بالكليّه
خذو من نصير الديّه
وإلا اثنينّا نتناصف

وكتب النصير إلى الورّاق موشح :

أهوى رشأً في مهجتي مَرْتعُـهُ أفديه ربيبْ
لا بل قمراً في ناظري مَطلعُهُ لم يدرِ مغيب
حقفٌ وهلالٌ وغزالٌ وغُصُنْ
إن قام وإن رنا وإن لاح وإنْ
والمؤمنُ كيّسٌ كما قيل فَطِنْ
قلبي أبداً إلى محياه يحن
ما أبعدَهُ وفي الحشا موضعه ناءٍ وقريب

---

١ البلان : الصبي الذي يخدم في الحمام .
٢ الفسقية : مجتمع الماء (شفاء الغليل) .

قد راق به شعري لمن يسمعه إذ كان حبيب

يـا خجلةَ غصنِ البان لما خطرا
يـا حيرةَ بـدر التمِّ لـما سفرا
يـا غيرةَ ظبي الرمـلِ لما نظرا
يا رخصَ فتيقِ المسك لـما نثرا

مَنْ لؤلؤ نثرِه لمن يجمعه زاهٍ ورطيب
ما أسعدَ ما أغنى فتىً يصنعه عقداً لتريب[1]

دعني فحديثُ العشقِ إفكٌ ومِرا
عندي أبـد الزمان والحقَّ أرى
مدحي لسراج الدين نور الشعرا
والكاتب عند الأمرا والوزرا

كم فيه فضيلةٌ له ترفعه عن قدر أديب
الله بما قد حازه ينفعـــه والله مجيب

[. . .][2] وفاق مَعْناً[3] كرما
تلقاه إذا نحَوْتَهُ في العلمـــا
ألمفردَ في زمانه والعَلَما
كنْ ممتثلاً مرسومَه إن رسما

فالفضلُ إليه كلُّهُ مرجعه والرأي مصيب
لولا عُمَرُ[4] الفضلُ عفَتْ أربعه أو كان غريب

---

١ التريب : ما دون النحر من الصدر .
٢ بياض في ص .
٣ ص : معن ، ومعن بن زائدة مشهور بسخائه .
٤ يعني السراج الوارق ، واسمه عمر .

بالفرعِ غَدَتْ في شفق الخدّين
كالبدرِ يلوحُ نوره للعين
لما رُميَتْ من هاجري بالشين
غنته وقد فارقها يومين

قد غاب ولي يومين ما أقشعه خلُّوهُ يغيب
لو راح إلى نجدٍ أنا أتبعه حتى لو اصيب

فأجابه السراج الورّاق :

البدرُ على غُصْنِ النَّقا مطلعُهُ من فوقِ كثيبْ
من طرفي والقلبِ له موضعه يبدو ويغيب

إنسانُ عيوني ظلّ في الدمع غريقْ
والقلبُ بنار البعدِ والصدّ[1] حريق
من يطفئها من مسكرِ الراح بريق
والدرّ بثغرٍ راقَ لمعاً وبريق

من يمنحه السؤالَ لا يمنعه ظمآن كثيب
أبلاه بما يخفى به موضعه عن مس طبيب

من فترةِ جفنه أثار الفتنا
واستلّ بها من الجفونِ الوسنا
إن ماس وإن أسفر أو عنّ لنا
كالغصنِ وكالبدر وكالظبي رنا

دعْ وصفي فالحسنُ له أجمعه من غيرِ ضريبْ
وانظر ملحاً أضعاف ما تسمعه من كلّ لبيب

---

١ ص : والضد .

لم أنسَ وسكري بين كاسٍ ورضابْ
من فيه ، وشكيّ بين ثغرٍ وحباب
والليلُ كما شاب على إثر شباب
والجوُّ لنا رقَّ كما رقَّ عتاب

لا بل غزلُ النصيرِ إذ موقعه من كلّ أديب
كالماءِ من الظمآن إذ يكرعه في قيظ أبيب [1]

شيخُ الأدباء شرقِها والغربِ
من كل عروضٍ يمتطي أو ضرب
أو وصفِ مقامِ لذّةٍ أو حرب
كم هزَّ معاطفَ القنا والقضب

بالجزل من اللفظِ الذي يبدعه من كلِّ غريب
قد سلَّم في الشعر له أشجعه والشيخُ حبيب [2]

هذا وإذا جدّد خلعاً لعذارْ
في وصفِ رشيقِ القدّ أو ذات خمار
أذكى لك منه الشجرُ الأخضرُ نار
كم قد فُتنتْ وجداً به ذاتُ سوار

ألفته وقالت أي تراها معه تاخذْ بنصيب
مني وإذا زوجي أتى يصفعه لو كان شبيب

---

١ أبيب : الشهر الحادي عشر من الشهور القبطية ، ويقع في تموز (يوليه) .
٢ يعني أشجع السلمي وحبيب بن أوس (أبا تمام) .

٥٥٢
النصير الأذفوي

النصير الأذفوي ؛ قال كمال الدين جعفر : لمّ أجد بأذفو من يعرف اسم أبيه ، وكان أديباً شاعراً ينظم الشعر والموشح ، وكان في أوائل المائة السابعة ، وأظنه مات بعد الخمسين والستمائة ؛ أنشدني له والدي في خولي اسمه كستبان :

أبى كستبانُ الرجلِ أن يحملَ الظرفا ... لقد عدم الحسّى كما عدم الظّرفا
يسمونه الخوليّ وهو مصحّف ... ألا إنه الحولي الذي يأكلُ الحلفا

ومن نظمه هذا الموشح :

يا طلعةَ الهلالِ ... هلاّ لي ... في الحبِّ منتظرْ
يا غايةَ الآمالِ ... أمّا لي[١] ... من الهوى مفر

أما لدائي راقي ... من راقِ ... قدراً على الأنام
زها بحسنِ الساقِ ... والساقي ... من ريقهِ المدام
به فؤادي باقي ... والباقي ... في لُجّةِ الغرام

وسُسْتُ والخلاقِ ... أخلاقي ... بالصبرِ إذ هجر
فلذّ للمذاقِ ... مذاقي ... في حبه السهر

هل من فتى يسعى في ... إسعافي ... بالقربِ من رشا
إنْ مال بالأردافِ ... أردى في ... قلبي مع الحشا

٥٥٢ — الزركشي : ٣٤٠ والطالع السعيد : ٦٨١ ، ولم ترد في المطبوعة .
١ ص : مالي .

مكمّلُ الأوصافِ	أوصى في	قتلي	وأدهشا
عقلي وحكموا الجافي	أجا في	ركوبه	الغرر
فكم من الإسرافِ	أسرى في	كفيه من	خطر
أزرى الجبينُ الحالي	بالحالِ	ممن قد	اعتدى
إذ فاق بالكمالِ	كما لي	أشقى	وأنكدا
من ابنةِ الدوالي	دوا لي	قلبي من	الردى
ومذ بذلتُ مالي	أوما لي	باللحظِ	إذ نظر
وقال إذ ألوا لي	السوالي	يُرْفَعْ	له الخبر
يا غُصْنَ بانٍ مائلْ	يا مائل	عني	لشقوتي
وارثي[1] لدمعي السائل	يا سائل	عن حال	قصتي
ولا تطيع العاذلْ	يا عاذل	وارفق	بمهجتي
وان تزرني قابلْ	في قابل	أفوزُ	بالظفر
كي ينجلي يا فاضل	الفاضل	من حالي[2]	الغير
يا منتهى آمالي	أما لي	في الحبِّ	من مجير
ارثي لجسمي البالي	يا بالي	وارحم فتىً	أسير
فقد بذلتُ الغالي	يا غالي	في القدر	يا أمير
وفيك قد ألقى لي	يا قالي	هجرانُكَ	الضرر
وقطعت أوصالي	يا صالي	بقتلي	سقر
إن جزت بين السرب	سر بي	عن حيهم	قليل
وملْ بهم وعجْ بي	فعجبي	قلبي بهم	بخيل

1 الطالع : ارث .

2 الطالع : في حالة .

وقف بهم يا صحبي وصحْ بي ابكوا على القتيل
وإن تقضى نحبي فنح بي في السهل والوعر
وانزل بهم والطفْ بي وطف بي في البدو والحضر

لم أنس إذ غنّاني أغنـــــاني والليل قد هدا
وقال إذ حياني أحيــــاني روحي لك الفدا
واهتزَّ بالأردان أرداني إذ قام منشدا

وطائر الأفنان أفنــــاني إذ ناح في السحر
وهاتف الأذان آذاني إذ نبه البشر

حرف الهاء

٥٥٣
هارون الرشيد

هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي ابن المنصور ؛ كان شجاعاً كثير الحج والغزو ، حجَّ في خلافته ثماني حججٍ ، وقيل تسع ، وغزا ثماني غزوات ، ولم يحج خليفة بعده ، وكان في أيامه فتح هرقلة .

وكان طويلاً جسيماً أبيض قد وخطه الشيب ، مولده سنة سبع وأربعين ومائة في نصف شوال بمدينة الريّ ، وبويع له بمدينة السلام في ربيع الأول سنة سبعين ومائة يوم موت الهادي ، وكان ولي العهد بعده ، وله يومئذ اثنان وعشرون سنة ونصف ، وتوفي بطوس في جمادى الآخرة[1] سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وله ست وأربعون سنة وكانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وستة[2] عشر يوماً ؛ وكان يحج سنة ويغزو سنة ، ولذلك قال فيه القائل :

فمن يطلب لقاءَكَ أو يُرِدْه ... فبالحرمين أو أقصى الثغـــورِ
ففي أرضِ العدوّ على طِمِـرٍّ ... وفي أرض الثنيـة فوق كـورِ

وكان جواداً بالمال ، واعتمد على البرامكة في دولته فزينوها إلى أن أكثروا الدالة عليه ففتك بهم ، ولكن ساء تدبيره للملك بعدهم وظهر الاختلال في دولته

٥٥٣ – مراجع أخباره كثيرة ، وانظر تاريخ بغداد ١٤ : ٥ والديارات : ١٤٤ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٣١ والبداية والنهاية ١٠ : ٢١٣ ومعجم المرزباني : ٤٦٢ والزركشي : ٣٤٠ والروحي : ٤٨ والفخري : ١٧٥ وتاريخ الخلفاء : ٣٠٧ وخلاصة الذهب المسبوك : ١٠٧ وسائر المصادر التاريخية الكبرى ، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : الآخر .   ٢ ص : وست .

بعدهم ، وكان يقول : أغرونا بهم حتّى إذا هلكوا وجدنا فقدهم ولم يسدّوا مسدّهم .

وكان فصيح المقال ، قال لإسحاق بن إبراهيم الموصلي وقد أنشده أبياتاً منها :

وكيف أخاف الفقرَ أو أحرم الغنى   ورأي أمير المؤمنين جميـــــلُ

لله در أبيات[1] تأتينا بها ما أحكم أصولها وأحسن فصولها وأقل فضولها ! فقال اسحاق : أخذ الجائزة مع هذا الكلام ظلم .

وله شعر جيد منه قوله في جارية صالحها :

دعي عـدَّ الذنوبِ إذا التقينا   تعالي لا نعدّ ولا تعدّي

ومنه :

ملك الثلاث الآنساتُ عنـاني   وحللنَ من قلبي أعزَّ مكـان
مالي تطاوعني البريّـة كلّهـا   وأطيعهنّ وهنّ في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطانَ الهوى   وبه غلبن أعزّ من سلطاني

ومن شعر الرشيد يرثي جاريته هيلانة :

أفّ للدنيـا وللزيـ   ـنة فيها والاناثِ
إذ حثا التربَ على هيلا   نَ في الحفرة حاثي
فلها تبكي البواكي   ولها تشجي المراثي
خلفت سقماً[2] طويلاً   جعلت ذاك تراثي

وكان من أميز الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ، كان يصلي في اليوم مائة ركعة إلى أن مات ، ويتصدق كل يوم من صلب ماله بألف درهم ، وكان يحب

---

١ ص : أبياتاً .

٢ ص : سقمى .

العلم وأهله ، ويعظم حرمات الله تعالى ؛ ولما مات ابن المبارك جلس للعزاء وأمر الناس أن يعزوه .

واجتمع له ما لم يجتمع لغيره : وزراؤه البرامكة ، وقاضيه أبو يوسف ، وشاعره مروان بن أبي حفصة ، ونديمه العباس بن محمد عم أبيه ، وحاجبه الفضل بن الربيع أتيه الناس وأعظمهم ، ومغنّيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وزوجته زبيدة .

قال ابن حزم : كان يشرب الخمر ؛ ولما مات صلى عليه ابنه صالح ودفنه بطوس .

وذكر الرواة أن الرشيد صنع قسيماً من الشعر وهو :

الملك لله وحده

ثم أرتج عليه فقال : استدعوا من بالباب من الشعراء ، فدخل عليه جماعة منهم الجمّاز[1] فقال الرشيد : أجيزوا ، وأنشدهم القسيم ، فبدر الجمّاز فقال :

وللخليفة بعده

فقال الرشيد : زد ، فقال الجماز :

وللمحبّ إذا ما حبيبه بات عنده

فقال الرشيد : أحسنت ، لم تعدُ ما في نفسي ، وأجازه بعشرة آلاف درهم ، رحمه الله .

---

١ كان الجماز من شعراء البصرة ومن موالي قريش (انظر طبقات ابن المعتز : ٣٧٣ وتاريخ بغداد ٣ : ١٢٥) .

٥٥٤
[الواثق بالله]

هارون بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ، أمير المؤمنين الواثق بالله ابن المعتصم بالله ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور ؛ أمه أم ولد يقال لها قراطيس . كان أبيض إلى الصفرة ، حسن الوجه جميل الطلعة جسيماً ، في عينه اليمنى نكتة بياض .

مولده يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان سنة تسعين ومائة ، وبويع له بسامرّا يوم الجمعة لإحدى عشرة [١] ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ، وتوفي بسامرّا يوم الثلاثاء لخمس بقين من الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام .

وكان كاتبه محمد بن عبد الملك الزيات ، وحاجبه إيتاخ ومحمد بن حماد ابن ، نقش ثم محمد بن عاصم ؛ وكان يقال له « المأمون الصغير » لشبه أحواله كلها بأحواله ، وكان أعلم بني العباس بالغناء ، وله أصوات مشهورة من تلحينه .

ومن نادر كلامه لشخص كان عاملاً له على عمل ، نقل عنه أنه قال لمن شفع إليه في قصته لو شفع لك النبي صلى الله عليه وسلم ما شفّعتك : لولا أن في خطأ لفظك إشارة إلى صواب معناك في استعظامك ووضعك رسول صلى الله عليه وسلم في غاية التمثيل لمثلت بك . ثم أمر أن يضرب ثمانين سوطاً

٥٥٤ — الزركشي : ٣٤٠ والأغاني ٩ : ٢٦٧ ومعجم المرزباني : ٤٦٢ وتاريخ بغداد ١٤ : ١٥ وتاريخ الخلفاء : ٣٦٧ والروحي : ٥٣ وخلاصة الذهب المسبوك: ٢٢٣ والفخري : ٢١٥ وسائر المصادر التاريخية الكبرى ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : عشر .

ويعزل . ورئيَ الواثق في تلك الحالة وهو يرعد غضباً وقال : والله لا وليتَ لي عملاً أبداً .

وللواثق شعر حسن منه[1] :

قالت إذا الليل دجا فأتنا ... فجئتها حين دجا الليلُ
خفيّ وطء الرجل من حاسدٍ ... ولو درى حلّ به الويل

وله :

تنحَّ عن القبيح ولا ترده ... ومن أوليته حسنى فزدْهُ
ستكفى من عدوّك كلّ كيدٍ ... إذا كاد العدوّ ولم تكده

وكان يحب خادماً أهدي له من مصر، فأغضبه الواثق يوماً فسمعه يقول لبعض الخدم : والله إن الواثق يروم منذ أمس أن أكلمه فلم أفعل ، فقال :

يا ذا الذي بعذابي ظلّ مفتخرا ... هل أنت إلا مليكٌ جار فاقتدرا[2]
لولا الهوى لتجارينا على قَدَرٍ ... فإن أُفقْ مرةً منه فسوف ترى

وقال يحيى بن أكثم : ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ، ما مات وفيهم فقير .

وكان ابن أبي دواد قد استولى على الواثق وحمله على التشدد في المحنة بالقول بخلق القرآن ، ويقال إن الواثق رجع قبل موته عن القول بخلق القرآن .

وقال عبيد الله بن يحيى[3]: حدثنا ابراهيم بن ساباط قال: حمل فيمن حُمِل رجلٌ مكبل بالحديد من بلاده فأُدخل ، فقال ابن أبي دواد : تقول أو أقول ؟ قال : هذا من أول جوركم ، أخرجتم الناسَ من بلادهم ودعوتموهم إلى

---

١ معجم المرزباني : ٤٦٣ .
٢ السيوطي : جار اذ قدرا .
٣ تاريخ الخلفاء : ٣٦٨ والرجل الذي حمل من بلاده هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأذرمي .

شيء ، لا بل أقول ، قال : قل ، والواثق جالس ، قال : أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتم إليه الناس أَعَلِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم به فلم يدعُ الناس إليه أم شيء لم يعلمه ؟ قال : علمه ، قال : فكان يسعه أن لا يدعو الناس إليه وأنتم لا يسعكم ؟ ! قال : فنبهته ، واستضحك الواثق وقام قابضاً على فمه ، ودخل بيتاً ومدّ رجليه وهو يقول : وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ولم يسعنا ، وأمر أن يعطى ثلثمائة دينار وأن يردّ إلى بلده .

وقال رزقان بن أبي دواد : ان الواثق لما احتضر قال :

الموتُ فيه جميعُ الخلق مشتركُ   لا سوقةٌ منهمُ يبقى ولا ملكُ
ما ضرّ أهل قليلٍ في تفاقرهم[1]   وليس يغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت من تحته وألصق خده بالأرض وجعل يقول : يا من لا يزول ملكه ، ارحم من قد زال ملكه .

وكان في سنة اثنتين ومائتين قد صادر الدواوين وضرب أحمد بن أبي إسرائيل ألف صوط[2] وأخذ منه ثمانين ألف دينار ، ومن سليمان بن وهب كاتب الأمير إيتاخ أربعمائة ألف دينار ، ومن أحمد بن الخصيب وكاتبه ألف ألف دينار ويقال إنه أخذ من الكتاب في هذه السنة ثلاثة آلاف ألف دينار .

---

١ السيوطي : تفارقهم ، وما هنا أصوب .
٢ كذا يكتبها المؤلف .

٥٥٥
ابن المصلي الارمنتي

هارون بن موسى بن محمد ، الرشيد المعروف بابن المصلي الارمنتي ؛ قال كمال الدين جعفر الأذفوي : اجتمعت به ولم يعلق بذهني منه شيء ، وله شعر كثير يأتي من جهة الطبع ، ليس يعرف له اشتغال ، وكان إنساناً حسناً فيه لطافة . توفي بأرمنت سنة ثلاثين وسبعمائة ، وأورد له :

حثّها الشوقُ حثيثاً من وراها ... فتراها عانقتْ تربَ ثراهـــا
واعتراها الوجـدُ حتى رقصتْ ... طرباً أسكرني طيبُ شذاها
غنّني يا ساقيَ الراحِ بها ... ليس يُغني فاقتي إلا غناها

منها في ذم الحشيش ومدح الخمر :

واملَ لي حتى تراني ميّتاً ... إن موتَ السكر للنفس حياها
ليس في الأرض نبات[1] أنبتت ... فيه سرٌّ حيّرَ العقـلَ سواهـا
رامتِ الخضراءُ تحكي سكرها ... قتلوها بعد تقطيع قفاها

وكان قبليَّ الدَّمُقْرات قرية تسمى ببويه[2] وفيها بدوية ، فقال الرشيد فيها :

بدويّه في بَبُويَهْ ساكنـــا ... صيرتْ عندي المحبّـه ماكنا[3]
اسمها ستّ العـربْ ... هيجتْ عندي الطرب
أنا قاعدْ بين جماعه نستريح

....

٥٥٥ - الزركشي : ٣٤١ والطالع السعد : ٦٦ ، ولم ترد الترجمة في المطبوعة .
١ ص : نباتاً .
٢ بويه : كانت بين الدمقرات وطفنيس وقد اندثرت (رمزي ١ : ١٤٣) .
٣ الطالع : كامناً ، وماكنا تعني « مكينة » أي ثابتة راسخة .

عبرت وَحْدَهْ لها وجه مليح
بقوامْ أعدل من الغصنِ الرجيح

في الملاحه زايدا
ووراها قايدا
لو تكنْ لي رايدا

كنت نعطيها ألف دينار وازنا وابنِ في داخلْ[1] بيوتي ماذنا
وترى مني العجب في تصانيف الأدب

نفرت مني كما نفر الغزال
واسفرتْ لي عن جبينْ يحكي الهلال
ودنت أرمتْ بعينيها نبال

ثم قالت يا فلان
خذ من احداقي أمان
معك في طول الزمان

فأنا والله مليحه فاتنـــا ومن الحساد ما أنا آمنـــا
والملك[2] واهل الرتب يأخذوا مني الحسب

قلت يا ستي أنا هوني نموت
ادفنوني عندكم جوّا البيوت
والعذارى حولها يمشوا سكوت

ثم قالوا كلميه
يا عريبه[3] وارحميه
ذا غريبْ لاتهجريه

---

١ الطالع : داخل في .
٢ الطالع : والملوك .
٣ ص : عربيه .

يشتهرْ حالك يصيرْ لكْ كاينا يقتلوه أهلكْ وتبقي ضامنا
ذا الحديثْ فيه العطب ليس ذا وقت الغضب

قالت امضي لا يكونْ عندكْ ضجر
واصطبرْ واعملْ على قلبكْ حجر
ما طريقي سابلهْ من جا عبر

والعذارى يعرفوك
ما تراهم يسعفوك
ظلموني وأنصفوك

قم وعاهدني فما انا خاينا وأنا الليلة لروحي راهنا
مرّ وعبّي لي الذهب فترى عقلك ذهب

واعدتني[1] وبقيت في الانتظار
واورثتني الذلّ بعد الانكسار
والدجى قد صارْ عندي كالنهار

عندما غاب القمر
واظلم الليل واعتكر
جفّ قلبي وانكسر

وعريبا في حديثي واهنا آمنه في سربها مطّامنا
والفؤاد مني اضطرب ونشفْ ذاك الطرب

صرت نرعى النجم إلى وقت الصباح
إذ بدا ذي الكوكب الدرّي ولاح
فإذا هي قد أتت ست الملاح

١ الطالع : عاهدتني .

والعذارى في عتاب
مع عريبه في ضراب
ثم قالت ذا الكلاب

ينبحوا تأتي الرجال الظاعنا بالسيوف وبالرماح الطاعنا
يدركوني في الطلب يجعلوا راسي ذنب

٥٥٦
الجرذ الكاتب

هبة الله بن الحسين بن محمد بن هبة الله بن محمد بن علي بن الحسن بن المطلب، أبو المعالي الملقب بالجرذ ؛ من بيت الوزارة والتقدم ، كان أديباً فاضلاً شاعراً يكتب خطاً حسناً ، ونسخ بخطه الكثير للناس ، وكان ظريفاً لطيفاً ، وجمع في الهزل مجاميع مطبوعة ، وأسنّ وعجز عن الحركة ، وتوفي سنة تسعين وخمسمائة ، رحمه الله . ومن شعره :

فديتُ من في وجهها سُنَّةٌ أشهى إلى قلبي من الفرضِ
تنسى عهوداً سلفتْ بيننا كأنما قد أكلت قرضي

أشار إلى أن أكل الطعام الذي أكل منه الفار يورث النسيان فيما يزعمه أصحاب التجارب ، وحسن هذا لأن اسمه الجرذ .

ومن شعره :

ألا قبّح الله هذي الوجوه وبدّلنا غيرها أوجها

---

٥٥٦ – لم ترد ترجمته في المطبوعة .

فلا أفقها مؤذن بالندى ولا بالعلا مؤذن أوجها

وقال في ابن دينار كاتب الوزير ، وكان أحاله عليه فمطله :

مولاي في بابكم كاتبٌ يزيدُ في ظلميَ إفراطا
مضيّعٌ للمال لكنّه أضحى على شؤميَ محتاطا
ظنَّ أباه من عطاياك لي فليس يعطينيَ قيراطا

وقال في ذم الغيم :

ما أقبحَ الغيمَ ولو أنه يمطرنا درّاً وياقوتا
فكيف والآفاقُ مغبرةٌ شوهاء لا ماءً ولا قوتا

وقال :

نفضُ التراب عقوقٌ عن مناكبنا لأنه نسبُ الآباء في القدمِ

٥٥٧

الصائن ابن عساكر

هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي ، ابن عساكر أخو الحافظ ابن عساكر ؛ كان الأكبر ، وكان يعرف بالصائن ؛ حفظ القرآن العظيم في صباه ، وقرأه بروايات على أبي الوحش سبع بن قيراط وأحمد بن محمد بن خلف بن محرز الأندلسي ، وسمع من الشريف أبي القاسم

٥٥٧ — طبقات السبكي ٤ : ٣٢٠ والدارس ١ : ٤١٦ وعبر الذهبي ٤ : ١٨٤ والأسنوي ٢ : ٢١٥ وترجم له ابن خلكان (٣ : ٣١١) في ترجمة أخيه الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، ووفاته على التحديد ٢٣ شعبان سنة ٥٦٣ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

علي بن إبراهيم بن العباس العلوي وأبي طاهر ابن الحنائي [1] وأبي الفرج غيث ابن علي الصوري وغيرهم ، وقرأ الفقه على أبي الحسن علي بن المسلم ونصر الله ابن محمد المصيصي .

وقدم بغداد سنة عشر وخمسمائة ، وقرأ الخلاف على أسعد الميهني ، وقرأ أصول الفقه على ابن البرهان ، وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني ، وسمع هناك على أشياخ العصر ، وسمع بالكوفة ومكة بعدما حجّ ، ورجع إلى بغداد ثم عاد إلى دمشق ، وصار معيداً لشيخه عليّ ابن المسلم بالمدرسة الأمينية ، ثم إنه درس بالغزالية بالجامع الأموي ، وأفتى وحدّث واعتنى بعلوم القرآن والنحو واللغة ، وحصل النسخ نسخاً وتوريقاً وشراء ، وكان فاضلاً ظريفاً كيّساً مطبوعاً عشيراً حريصاً على طلب العلم ، وكتبه مبذولة للطلبة والمستفيدين والغرباء ، ولم يزل يكتب إلى أن مات في سنة [ثلاث وستين] [2] وخمسمائة ، رحمه الله تعالى وإيانا .

٥٥٨

أبو الحسين الحاجب

هبة الله بن الحسن ، أبو الحسين الحاجب ؛ ذكره كمال الدين ابن الأنباري في « كتاب النحويين » [3] ، ومات فجأة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، كان

١ الحنائي : غير معجمة في ص .

٢ بياض في ص ، واعتمدت فيه على المصادر المذكورة .

٥٥٨ – الزركشي : ٣٤١ (هبة الله بن الحسين) وتاريخ بغداد ١٤ : ٧١ ونزهة الالبا : ٢٣٩ وإنباه الرواة ٣ : ٣٥٨ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٧١ ، وبغية الوعاة : ٤٠٧ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

٣ الأرجح أنه يعني كتاب « نزهة الألبا » .

من أفاضل الشعراء ، ومن شعره :

يا ليلة سلك الزمان بطيبها في كلّ مسلكْ
إذ أرتقي ردفَ[1] المسرة مدركاً ما ليس يُدْرك
والبدر قد فضح الظلام فستره فيه مهتك
وكأنما زهرُ النجوم بلمعها شُعَلٌ تحرك
والغيمُ أحيانـاً يموجُ كأنّـه ثوبٌ ممسك
وكأن تجعيد الريـاح بدجلةٍ ثـوب مفرّك
وكأن نشر المسك ينفح في النسيم اذا تحرك
وكأنما المنثور مصفرٌّ الذرا[2] ذهب مشبك
والنَّوْرُ يبسمُ في الرياض[3] فان نظرت اليه سرَّك
شارطت نفسي أن أقومَ بشرطها[4] والشرط أملك
حتّى تولى الليل منهزمـاً وجاء الصبح يضحك
واهاً لنا لو أننا في ظلّ طيب العيش نترك
والمرءُ يحسبُ عمره فإذا أتاه الشيب فذْلك[5]

---

١ النزهة : درج . ٢ ص : الندى .
٣ ص الزركشي : والروض يبسم والرياض .
٤ النزهة : بحقها .
٥ فذلك : ختم الحساب .

٥٥٩
[هشام بن عبد الملك]

هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو الوليد أمير المؤمنين ؛ كان أبيض أحول سميناً طويلاً أكلف يخضب بالسواد ، مولده سنة قتل ابن الزبير — سنة اثنتين وسبعين للهجرة — وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين ليلة الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام ، وبويع سنة خمس ومائة ، وكانت أيامه تسع عشرة[1] سنة وسبعة أشهر . وهو الذي قتل زيد بن علي بالكوفة سنة إحدى وعشرين ومائة ، وكانت داره عند باب الخوّاصين التي بعضها الآن المدرسة النورية .

قال مصعب بن الزبير الزبيري : زعموا أن عبد الملك رأى في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات ، فدسّ من سأل سعيد بن المسيب ، وكان يعبّر الرؤيا ، فقال سعيد بن المسيب : يملك من ولده لصلبه أربعة ، فكان آخرهم هشام .

وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل ، وكان حازماً عاقلاً صاحب سياسة حسنة ، وكان يكره الدماء ، وما كان أشدّ عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى ، فانه[2] دخله من قبلهم أمر شديد ، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنَبش هشاماً من قبره وصلبه .

٥٥٩ــ الروحي : ٢٦ وتاريخ الخلفاء : ٢٦٩ والفخري : ١١٩ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٦ وتاريخ الخميس ٢ : ٣١٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ٥ : ١٧٠ ومرآة الجنان ١ : ٢٦١ وسائر المصادر التاريخية الكبرى ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : تسعة عشر .

٢ ص : فان .

وكان هشام رجل بني أمية حزماً ورأياً ، ولما أتته الخلافة سجد لله شكراً ، ورفع رأسه فوجد الأبرش الكلبي واقفاً[1] فقال : ما لك لم تسجد معي؟ فقال : يا أمير المؤمنين رأيتك وقد رفعت إلى السماء وأنا مخلد إلى الأرض ، فقال : أرأيتك[2] إن رفعتك معي أتسجد ؟ قال : الآن طاب السجود ، وسجد ، فأمر له بالاحسان الكثير وأن يكون جليسه طول مدته . وعوتب في شأنه وقيل له : ما تجالس من هذا الأبرش ؟ فقال ، حظي منه عقله لا وجهه .

وجمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله ، فلما مات احتاط الوليد على كل ما تركه فما غسل ولا كفن إلا بالقرض والعارية . والمشهور عنه أنه ليس له من الشعر إلا هذا البيت :

اذا أنت لم تعصِ الهدى قادك الهوى إلى كلّ ما فيه عليك مقالُ

ونسب إليه ابن المعتز أيضاً :

أبلغ أبا مروان عني رسالـةً فماذا بعيبٍ من وفاءٍ ومن ضرّ
ونحن كفيناك الأمورَ كما كفى أبوك أبانا الأمرَ في سالف الدهر

ونسب إليه أيضاً :

أبلغ أبا وهبٍ إذا ما لقيتَــهُ بأنك[3] شر الناس عيباً لصاحبِ
أتبدي[4] له بشراً إذا ما لقيته وتلسعه بالغيب لسعَ العقارب

ومن بخله أنه رأى بعض أولاده وبثوبه خرق فقال : أقسمت عليك الا ما رفوته ، وتمثل بقول القائل :

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

---

١ ص : واقف .
٢ ص : أريتك .
٣ ص : فانك .
٤ ص : تبدي .

٥٦٠
ملك التتار

هولاكو بن تولي قان[١] بن جنكز خان ملك التتار ومقدمهم ؛ كان طاغية من أعظم ملوك التتار ، وكان شجاعاً مقداماً حازماً مدبراً ذا همة عالية وسطوة ومهابة وخبرة بالحروب ومحبة في العلوم العقلية من غير أن يتعقّل منها شيئاً . اجتمع عنده جماعة من فضلاء العالم ، وجمع حكماء مملكته وأمرهم أن يرصدوا الكواكب ، وكان يطلق الكثير من الأموال والبلاد ، وهو على قاعدة الترك في عدم التقيد[٢] بدين ، لكن زوجته[٣] تنصرت . وكان سعيداً في حروبه ، طوّف البلاد واستولى على الممالك في أيسر مدة . وفتح بلاد خراسان وفارس وأذربيجان وعراق العجم وعراق العرب والشام والجزيرة والروم وديار بكر ، وقتل الخليفة المستعصم وأمراء العراق وصاحب الشام وصاحب ميافارقين .

قال الظهير الكازروني ، حكى النجم أحمد بن البواب النقاش نزيل مراغة قال : عزم هولاكو على زواج بنت ملك الكرج فأبت حتى يسلم فقال : عرفوني ما أقول ، فعرضوا عليه الشهادتين فأقرّ بهما ، وشهد عليه بذلك خواجا نصير الدين الطوسي وفخر الدين المنجم ، فلما بلغها ذلك أجابت ، فحضر القاضي

٥٦٠ – البداية والنهاية ١٣ : ٢٤٨ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٢٠ وتاريخ أبي الفدا ٤ : ٢ (حوادث سنة ٦٦٣) والحوادث الجامعة : ٣٥٣ وانظر القسم الأول من ج ٢ من جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمذاني ففيه تاريخ تفصيلي لهولاكو ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

١ مشيد جامع التواريخ : تولوي خان .

٢ ص : التقييد .

٣ اسمها ظفر خاتون في المصادر العربية (ولعل الكلمة مصحفة عن طقز ، إذ يجيء اسمها عند رشيد الدين : دوقوز خاتون) وهي لم تتنصر وإنما كانت تنتمي إلى قوم مسيحيين في الأصل .

فخر الدين الخلاطي وتوكل لها النصير الطوسي ، ولهولاكو الفخر المنجم ، وعقدوا العقد باسم ماما خاتون بنت الملك داوم إيراني على ثلاثين ألف دينار ؛ قال ابن البواب : وأنا كتبت الكتاب في ثوب أطلس أبيض .

وتوفي هولاكو بعلة الصرع وأخفوا موته وصبّروه وجعلوه في تابوت . وقال : كان ابنه أبغا غائباً فطلبوه المغل وملكوه ، وهلك هولاكو وله ستون سنة أو نحوها في سنة أربع وستين وستمائة ، وخلّف من الأولاد سبعة عشر ولداً سوى البنات ، وهم : أبغا وأشموط وتمنين [1] وتكسي [2] وأجاي وتستر [3] ومنكوتمر الذي التقى هو والملك المنصور قلاوون على حمص وانهزم جريحاً ؛ وباكودر وأرغون ونغاي [4] دمر والملك أحمد [5] . وقد جمع صاحب الديوان [6] كتاباً في أخبارهم وهو عندي في مجلد .

---

١ النجوم : وتمشين .
٢ النجوم : وتكشي .
٣ النجوم : وتستر .
٤ النجوم : وتغاي ، وهو الصواب .
٥ يلاحظ أنه لم يعد سبعة عشر اسماً ؛ وذكر رشيد الدين منهم أربعة عشر ولداً وهم : آبقا = أبغا ، جومقور ، يشموت = أشموط ، بيكين = بيشين (تصحفت : تمنين) ، طرغاي = أرغون (؟) توسين = تشين = تكسي (أو تكشي) ، أجاي = أجاي ، أحمد (وكان اسمه تاكودار) = أحمد بيسودار = باكودر ، قونقرتاي ، منكوتيمور = منكوتمر ، هولاجو ، سياوجي (شيبادجي) ، طغاي تيمور = تغاي دمر .
٦ يريد علاء الدين الجويني .

٥٦١
أبو حية النميري

الهيثم بن الربيع بن زرارة، أبو حية – بالحاء المهملة والياء المشددة – النميري؛ كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكان شاعراً فصيحاً من ساكني البصرة، وكان أهوج جباناً كذاباً، وقيل إنه كان يصرع، وكان له سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه وبين الخشب فَرْق.

حدث جارٌ[١] له قال[٢]: دخل إلى بيته كلب في بعض الليالي فظنَّه لصاً، فأشرف عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية، ووقف في وسط الدار وقال: أيها المغترّ بنا والمتجرىء علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك: خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سُمعته مشهورة، وضرباته مذكورة، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. والله إن أدع قيساً إليك لا تقمْ لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورجلاً، سبحان الله ما أكثرها! فبينما هو كذلك إذا بالكلب قد خرج فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حربا.

وقال يوماً: إني أخرج إلى الصحراء فأدعو بالغربان فتقع حولي فآخذ منها ما أشاء، فقيل له: يا أبا حية أفرأيت ان خرجنا[٣] إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا تصنع؟ فقال: أبعدها الله إذن.

---

٥٦١ – الشعر والشعراء: ٦٥٨ والأغاني ١٦: ٢٣٦ وطبقات ابن المعتز: ١٤٣ والسمط: ٢٤٤ والخزانة ٤: ٢٨٣؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة.

١ ص: جاراً.

٢ قد روى الجاحظ في الحيوان حكاية مشابهة لهذه، وبطلها هو عروة بن مرثد (انظر الحيوان ٢: ٢٣١).

٣ ص: اخرجنا.

وحدّث يوماً قال : عنّ لي ظبي فرميته فراغ عن سهمي ، فعارضه السهم ثم راغ فعارضه السهم ، ثم راغ فعارضه السهم ، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه .

وما أحلى قول ابن قلاقس :

عسكريّ جماله بطلٌ ليس يدفعُ
قام عن قوس حاجبيه بعينيه ينزع
أسهم كيفما انحرفن إلى القلب تتبع
هكذا كنت عن أبي حية قبلُ أسمع

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى :

وشادنٍ إن هبَّ عَرْفُ الصبا شممت منه نشره طيّهْ
أميلُ عنه خوفَ عشقي له وجفنه يُتبعني غيّه
كأنني قدّامه ظبيةٌ وطرفه سهمُ أبي حيّه

وفد أبو حية على المنصور وامتدحه بقصيد ، وهجا فيه[1] بني حسن ، فوصله بشيء دون أمله ، فاحتجن لعياله أكثره ، وصار إلى الحيرة فشرب عند خمارة ، وأعجبه الشرب وكره أن ينفد ما معه ، وأحب أن يدوم له ما هو فيه ، فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة ، وأعلمها أنه مدح الخليفة وأرغبها فشرهت ، وكان لأبي حية أير كعنق[2] الظليم ، فأبرزه لها فتدلهت ، وكانت كلما سقته خطت في الحائط خطاً ، فقال أبو حية :

إذا سقّيتني كوزاً بخطٍّ فخطي ما بدا لك في الجدارِ
فإن أعطيتني عيناً بعينٍ فهاتي العين وانتظري ضماري

١ ص : فيها .
٢ ص : كنعق

خرقت مقدماً من حيث يؤتى   خيالُ مكانِ ذاك من الازار
فصدَّت بعدما نظرت إليه   وقد ألمحتها عُنُقَ الحوار

وكانت وفاته بعد السبعين والمائة .

حرف الواو

٥٦٢

[والبة الأسدي]

والبة بن الحباب ، أبو أسامة الأسدي ؛ هو أستاذ أبي نواس ، وكان ظريفاً غزلاً وصافاً للغلمان المرد[١] والخمر .

قال المهدي لعمارة بن حمزة : من أرقّ الناس ؟ قال : والبة بن الحباب حيث يقول :

ولها ولا ذنب لها حبٌّ كأطراف الرماحِ
في القلب يقدحُ والحشا فالقلبُ مجروحُ النواحي

قال : صدقت والله ، : قال : يا أمير المؤمنين فما منعك من منادمته ؟ قال : قوله :

قلت لساقينا على خلوة ادنِ كذا رأسكَ من راسي
ونمْ على وجهك لي ساعةً إني امرؤ أنكح جلاّسي

أفتريد أن أكون من جلاسه على هذا الشرط ؟

قال الدعلجي غلام أبي نواس : أنشدت يوماً بين يدي أبي نواس قصيدته :

يا شقيقَ النفسِ من حَكَمِ نمتَ عن ليلي ولم أنمِ

وكان قد سكر فقال : ألا أخبرك بشيء على أن تكتمه ؟ قلت : نعم ، قال :

---

٥٦٢ – الزركشي : ٣٤١ وطبقات ابن المعتز : ٨٧ والأغاني ١٨ : ٤٣ وتاريخ بغداد ١٣ : ٥١٨ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة ؛ وهي هنا متابعة لما جاء في الأغاني .

١ ص والزركشي : والمرد .

أتدري من المغنيّ بِ «يا شقيق النفس من حكم» ؟ قلت : لا ، قال : أنا والله المغنيّ بذلك ، والشعر لوالبة بن الحباب ، وما علم بهذا غيرك .

وحكي عن والبة أنه كشف يوماً عن عجز أبي نواس وهو أمرد حسن الوجه مليح الجسم ، فلما رأى والبة بياض عجزه قبله ، فضرط أبو نواس ، فقال له والبة : لم فعلت هذا ويلك ؟ قال : كراهية أن يضيع قول القائل : «ما جزاء من قبل الاست إلا ضرطة» .

وعن ابن سهل الشاعر قال : كان والبة صديقي وكان ماجناً رقيق الدين فشربت انا وهو يوماً بغمّى[1] ، فانتبه من سكره وقال : اسمع ثم أنشد :

شربت وفاتك مثلي جموح بغمّى[1] بالكؤوس وبالبواطي[2]
يعاطيني الزجاجة أريحيّ رخيم الدلّ بورك من معاطي
أقول له على طرب أَلِطْني ولو بمؤاجرٍ عِلْجٍ نُباطي
فما خير الشراب بغير فسقٍ يتابع بالزناء وباللواط
جعلتُ الحج في غُمّى وَبُنّى وفي قطربّل أبداً رباطي
فقل للخمسِ آخرُ ملتقانا إذا ما كان ذاك على الصراط

يعني بالخمس : الصلوات . وتوفي في حدود المائتين .

٥٦٣
[أبو حليقة]

أبو الوحش بن أبي الخير بن داود بن أبي المنى ، الحكيم الرشيد أبو

---

١ ص : بعمى ، وغمى اسم موضع .
٢ ورد البيت برواية مختلفة في طبقات ابن المعتز ؛ وما هنا رواية الأغاني .
٥٦٣ – ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٢٣ .

حليقة ؛ سمّي « أبو حليقة » لحلقة كانت في أذنه . كان أوحد زمانه في الطب ، وكان له حظ من الأدب .

ولد بجعبر سنة احدى وتسعين وخمسمائة ، وتوفي سنة سبعين وستمائة ، وخرج من جعبر إلى الرها وربي بها ، وخدم الكامل وخدم الصالح وخدم الترك إلى دولة الظاهر ، وقرأ الطبَّ على عمه أبي سعيد بدمشق وعلى مهذب الدين الدخوار ، وله نوادر في الطب .

كان قد أحكم معرفة نبض الكامل حتى إنه أخرج يده يوماً اليه من خلف ستارة مع الدور[1] المرضى فقال : هذا نبض مولانا السلطان ، وهو بحمد الله صحيح ، فعجب منه .

ولما طال عليه عمل الدرياق الفاروق لتعذر أدويته عمل درياقاً مختصراً توجد أدويته في كل مكان ، وقصد بذلك التقرب إلى الله تعالى . وكان يخلص المفلوجين لوقته ، وينشيء في العصب زيادة في الحرارة الغريزية ويقوّيه ، ويذيب البلغم في وقته ، ويسكن القولنج في وقته .

وحصل للسلطان نزلة في أسنانه فآلمه ذلك وداواه الأسعد[2] لاشتغال الرشيد بعمل الدرياق ، فلم ينجع وزاد الألم ، فطلب الرشيد فقال له : تسوّك من الدرياق الذي عملته لك وترى العجب . فلما وصل إلى الباب خرجت ورقة السلطان فيها : يا حكيم استعملته وزال الألم لوقته ، وبعث له خلعاً وذهباً .

ومرَّ على أبواب القاهرة بمفلوج ملقًى على جنبه ، فأعطاه من درياقه شربة ، وطلع إلى القلعة وعاد ، فقام المفلوج يعدو في ركابه ويدعو له .

وألف للملك الصالح صلصاً يأكل به اليخني ، واقترح عليه أن يكون مقوياً للمعدة منبهاً للشهوة مليّناً للطبع . فركب من البقدونس جزءاً ومن الريحان

١ ابن أبي أصيبعة : الآدر ، وهي كناية عن النساء ، يقول « من ذلك أنه مرضت دار من بعض الآدر السلطانية » .

٢ يعني أسعد الدين عبد العزيز بن أبي الحسن (— ٦٣٥) وترجمته في ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٣٢ .

الترنجاني[1] جزءاً ومن قلوب الاترج المنقعة في الماء والملح جزءاً ، ثم يغسل بالماء الحلو من كل واحد نصف جزء ويدق في جرن الفقاعي كل واحد بمفرده ويخلط ويعصر عليه ماء الليمون والملح ويعمل في أواني ويختم بالزيت. فلما استعمله السلطان أثنى عليه ثناء كثيراً .

وشفى بدرياقه مَن به حصاة ففتّها من ساعته وأراق الماء .

ومن نوادره أن امرأة من الريف أتت إليه ومعها ولد أصفر ناحل ، فأخذ يده ليعرف نبضه وقال لغلامه : هات الفرجيّة ، فتغير نبض الصبي في يده ، فقال لأمه : هذا الصبي عاشق في واحدة اسمها فرجية ، فقالت أمه : اي والله يا مولاي ، وقد عجزت مما[2] أعذله . فعجب الحاضرون منه .

وله كتاب « المختار في ألف عقار » وله مقالة في ضرورة الموت وأن الإنسان تحلّله الحرارة التي في داخله وحرارة الهواء ، وقال متمثلاً :

[و] احداهما قاتلي فكيف إذا استجمعا[3]

ومقالة في حفظ الصحة ؛ ومقالة في أن الملاذ الروحانية ألذّ من الجسمانية ، رحمه الله تعالى .

---

١ ص : الترجان .

٢ ص : عما .

٣ ص : اجتمعا .

٥٦٤

ولادة بنت المستكفي

ولاّدة بنت محمد[١] ، هو المستكفي ابن عبد الرحمن ؛ كانت واحدة زمانها المشار إليها في آدابها ، حسنة المحاضرة ، مشكورة المذاكرة ، كتبت بالذهب على طرازها الأيمن :

أنا واللهِ أصلحُ للمعالي وأمشي مشيتي وأتيهُ تيها

وكتبت على الجانب الأيسر :

وأمكِنُ عاشقي من صحنِ خدّي وأُعطي قبلتي مَن يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف ، وفيها خلع ابن زيدون عذاره ، وله فيها القصائد والمقطّعات ، منها القصيدة النونية التي أولها :

بِنتْم وبِنّا فما ابتلّت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا

وكانت لها جارية سوداء بديعة الغناء ؛ ظهر لولاّدة من ابن زيدون ميل إلى السوداء فكتبت إليه :

لو كنتَ تنصف في الهوى ما بيننا لم تهو جاريتي ولم تتخيّرِ
وتركتَ غصناً مثمراً بجمالـه وجنحت للغصنِ الذي لم يُثمر[٢]

---

٥٦٤ – الزركشي : ٣٤١ قال : وذكرها ابن سعيد في كتابه المسمى بالملتقط من السلك من حلى العروش الأندلسية ، والذخيرة ١ : ٣٧٦ والمطرب : ٧ والصلة : ٦٥٧ وسرح العيون : ٢٢ والسيوطي : ١٠١ والنفح ٤ : ٢٠٥ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر .

٢ نقل الزركشي عن صاحب المسهب قوله في التعليق على هذا البيت : « انها أثارت معنى غريباً =

ولقد علمتَ بأنني بدرُ السما لكن ولعتَ لشقوتي بالمشتري

وكان مجلس ولادة بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً[1] لجياد النظم والنثر، يتهالك الكتاب والوزراء والشعراء على حلاوة عشرتها وسهولة حجابها.

مرّت يوماً بالوزير أبي عامر ابن عبدوس وهو جالس أمامَ بركة تتولد من مياه الأمطار، ويسيل إليها شيء من الأوساخ، فوقفتْ أمامه وقالت بيت أبي نواس في الخصيب والي مصر:

أنت الخصيبُ وهذه مصر فتدفّقا فكلاكما بحرُ

فتركته لا يحير جواباً ولا يهتدي صوابا.

وطال عمرها وعمر أبي عامر المذكور، حتى أربيا على الثمانين ولم يدعا المواصلة ولا المراسلة. وكانت أولاً تهوى الوزير ابن زيدون، ثم مالت عنه إلى الوزير أبي عامر ابن عبدوس، وكان يلقب بالفار، وفي ذلك يقول ابن زيدون[2]:

أكرم بولادةٍ علقاً لمعتلقٍ لو فرقت بين بيطار وعطارِ

قالوا أبو عامر أضحى يلمّ بها قلت: الفراشة قد تدنو من النار

أكلٌ شهيٌّ أصبنا من أطايبه بعضاً وبعضاً صفحنا عنه للفار

وقال فيها[3] أيضاً[4]:

= في البيت الثاني لأن عتبة كانت سوداء فلا تظهر منها وردة الخجل ولا زهر البياض فكأنها غصن لم يثمر».

١ ص: ملعب.

٢ الديوان: ١٩٦ وقد زيدت فيه اعتماداً على سرح العيون، وتمام المتون.

٣ ص: فيه.

٤ الديوان: ١٩٥، وليست من أصل الديوان.

قد علقنا سواك علقاً نفيسا　　وصرفنا إليه عنك[1] النفوسا
ولبسنا الجديدَ من خِلَعِ الحبّ　　ولم نألُ أن خلعنا اللبيسا
ليس منكِ الهوى ولا أنتِ منه　　اهبطي مصرَ أنتِ من قوم موسى

اشار ابن زيدون إلى قول أبي نواس[2] :

أتيتُ فؤادهـا أشكو إليـه　　فلم أخلص إليـه من الزحامِ
فيا من ليس يكفيها خليل　　ولا ألفا خليلٍ كلَّ عام
أظنّك من بقيةِ قومِ موسى　　فهم لا يصبرون على طعام

وكانت ولاّدة تلقب ابن زيدون بالمسدس ، وفيه تقول :

ولقبتَ المسدس وهو نعتٌ　　تفارقك الحياة ولا يفارقْ
فلوطيٌّ ومأبونٌ وزانٍ　　وديّوث وقرنان وسارق

وقالت فيه أيضاً :

إن ابن زيدون له فقحةٌ　　تعشق قضبانَ السراويلِ
لو أبصرت أيراً على نخلة　　صارت من الطير الأبابيل

وقالت ترميه بأنه مع فتاه عليّ على حالة :

إن ابن زيدون على جهله　　يعتبني ظلماً ولا ذنبَ لي
يلحظني شزراً إذا جئته　　كأنني جئت لأخصي علي

وقالت تهجو الأصبحي :

يا أصبحيّ اهنأ فكم نعمة　　جاءتْكَ من ذي العرش ربّ المننْ
قد نلتَ باست ابنك مـا لم ينـلْ　　بفرجِ بورانَ أبوهـا الحسن

وتوفيت ولاّدة بعد الخمسمائة ، رحمها الله تعالى .

---

١ ص : عنه .　　٢ ديوان أبي نواس ٢ : ٨٣ (تحقيق فاغنر) .

٥٦٥
أمير المؤمنين الوليد

الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين الأموي ؛ كان يلقب « النبطي » للحنه ؛ عاب[١] عليه أبوه لحنه وقال : كيف تعلو رؤوس المنابر ؟ فدخل إلى بيت وأخذ جماعة عنده يتعلم منهم العربية وطين عليه وعليهم الباب وقال : لا أخرج حتى أقيم لساني إعراباً ؛ ثم إنه خرج بعد ستة أشهر وأكثر ، فلما خطب زاد لحنه على ما كان ، فقال له أبوه : لقد أبلغت عذراً .

كان أبيض أفطس به أثر جدري ، وكان جميلاً طويلاً ، بويع له بدمشق يوم الخميس منتصف شوّال سنة ست وثمانين بعهدٍ من أبيه ، وتوفي يوم السبت لأربع عشرة[٢] ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وله تسع واربعون سنة ، وصلى عليه أخوه سليمان بدير مروان من دمشق ، وحمل إلى مقابر باب الصغير ودُفن بها . وفي أيامه هلك الحجّاج بن يوسف ، ويقال إن في أيامه نقلت الدواوين من الفارسية إلى العربية[٣] .

وكان يتبختر في مشيته . وكان يختن الأيتام ويرتب لهم المؤدّبين ، ورتّب للزّمنى والاضرّاء من يقودهم ويخدمهم لأنه أصابه رمد بعينيه فأقام مدة لا

---

٥٦٥ – ترجمته وأخباره في المصادر التاريخية كالطبري وابن الأثير وابن خلدون واليعقوبي والمسعودي والبلاذري والعيون والحدائق ، وانظر تاريخ الخميس ٢ : ٣١١ والفخري : ١١٥ والروحي : ٢٣ وتاريخ الخلفاء : ٢٤٢ وخلاصة الذهب المسبوك : ١ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة.

١ ص : أعاب .

٢ ص : لأربعة عشر .

٣ الأصح أنها نقلت إلى العربية أيام أبيه عبد الملك .

يبصر شيئاً فقال : إن أعادهما الله تعالى عليّ قمت بحقه فيهما ، فلما برىء رأى أن شكرَ هذه النعمة الإحسانُ إلى العميان ، فأمر أن لا يُترك أعمى في بلاد الإسلام يسأل بل يرتب له ما يكفيه .

ولما حضرته الوفاة قال : ما أبالي بفراق الحياة بعدما فتحت السند والأندلس ، وبنيت جامعَ دمشق . ويكفيه بنيانه جامع دمشق ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورَزْقُ الفقراء والعميان ، فإن له في ذلك شرفاً خالداً وذكراً باقياً .

وكان مطلاقاً لا يصبر على المرأة إلا القليل ويطلّقها ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنما النساء رياحين فإذا ذبلت باقة استأنفت أخرى . وحديثه مع وضّاح اليمن ومع زوجته أمّ البنين مذكورة في ترجمة وضّاح اليمن ، واسمه عبد الرحمن .

ولما مات أبوه عبد الملك ، تمثّلَ هشام بقول الشاعر [1] :

فما كان قيسٌ هلكُه هلكَ واحدٍ ولكنه بنيانُ قوم تهدّمـــــا

فقال له الوليد : اسكت ، فإنك تتكلم بلسان الشيطان ؛ هلاّ قلتَ كما قال أوس ابن حجر [2] :

إذا مقرم منّا ذرا حدّ نابه تخمّطَ فينا نابُ آخرَ مُقْــرَمِ

وعيّره خالد بن يزيد باللحن فقال : أنا ألحن في القول وأنت تلحن في الفعل .

---

١ هو عبدة بن الطبيب يرثي قيس بن عاصم ، انظر الحماسية رقم : ٢٦٣ في شرح المرزوقي .
٢ ديوانه : ١٢٢ .

٥٦٦

الوليد بن يزيد

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين ، لُقِّب البيطار وخليع بني مروان والفاتك والزنديق . وكان وسيماً جسيماً أبيض مشرباً بحمرة ، ربعة قد وخطه الشيب . ولد سنة تسعين وبويع له سنة خمس وعشرين هو مقيم بالرصافة ، وقتل بالبخراء[1] على أميال من تدمر ثامن وعشرين جمادى الآخرة[2] سنة ست وعشرين ومائة وله أربعون سنة وقيل إحدى وأربعون ، وكانت أيامه سنة وشهرين .

وكان أبوه عهد إليه بعد هشام . وكان قد جعل ولديه عثمان والحكم وليي عهده فحبسا ، ولم يزالا في الحبس إلى أن ولي مروان الجعدي فقتلهما .

وكان الوليد قد انتهك محارم الله تعالى ، فرماه الناس بالحجارة ، فدخل القصر وأغلقه ، فأحاطوا به وقالوا : لم ننقم عليك في أنفسنا شيئاً لكن ننقم عليك انتهاك ما حرّم الله تعالى وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله تعالى ، فقال : حسبكم قد أكثرتم ، ودخل الدار وأخذ المصحف وقال : يوم كيوم عثمان ، وفتح المصحف يقرأ ، فتسوّروا عليه ، وضربه عبد السلام اللخمي على رأسه ، وضربه آخر على وجهه فتلف ، وجرّوه

٥٦٦ — الأغاني ٧ : ٣ — ٨٢ والوزراء والكتاب : ٦٨ والخزانة ١ : ٣٢٨ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٢٠ وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ وتاريخ الخلفاء : ٢٧٢ والروحي : ٢٧ والفخري : ١٢١ وخلاصة الذهب المسبوك : ٤٤ وسائر المصادر التاريخية الكبرى ؛ وديوانه من جمع غابريلي (ط . بيروت ١٩٦٧) ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ ص : بالبحرا .

٢ ص : الآخر .

وحزّوا رأسه ، وأُتي يزيد الناقص بالرأس فسجد ، وكان قد جعل لمن يأتيه بالرأس مائة ألف درهم ، فنصبه على رمح بعد صلاة الجمعة ، فلما رآه أخوه سليمان قال : بُعداً له ، أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً ولقد راودني عن نفسي .

قال الشيخ شمس الدين : ولم يصحّ عنه كفر ، لكنه اشتغل بالخمر واللياطة ، فخرجوا عليه لذلك .

قال صاحب « الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار » : كان ربما صلى سكراناً .

وكان في أيام هشام ينتظر الخلافة يوماً فيوماً ، ففتح يوماً المصحف فطلع ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ (إبراهيم: ١٥) فجعل المصحف هدفاً للسهام وجعل يرمي نحو تلك الآية ويقول[١] :

تهدّد[٢] كل جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبّار عنيدُ
إذا ما جئتَ ربــك يوم حشرٍ ... فقل يا ربِّ[٣] مزّقني الوليد

واستقبل شهر الصوم في خلافته بالمجون والشرب ، فوعظ في ذلك فقال[٤] :

الا من مبلغُ الرحمنِ عني ... بأني تاركٌ شهرَ الصيامِ
فقل لله يمنعني شرابي ... وقلْ لله يمنعني طعامي

ولما بلغه أنَّ الناسَ يعيبون عليه تركَ الصلاة والصيام ، قال : ما للناس وعيبَ ما نحن فيه؟ لنا منهم الدعاء والطاعة ولهم منّا العدل والإحسان؛ ثم

١ ديوانه : ٣١ .
٢ الديوان : أتوعد .
٣ الديوان : فقل لله .
٤ لم ترد في الديوان .

قال : عجبت لمن يعلم أن الفرح لا يكون إلا بنقصان العقل ولا يجعل درجا هذه الأقداح ، وأباح المحارم فأصبح دمه وهو مباح .

ومن شعره[1] :

لا أسأل الله تغييراً لمـــــا صنعتْ نامت وقد أسهرت عَيْنَيَّ عَيْناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاهـــا

وقال صاحب الأغاني[2] : لما أتى نعي هشام إلى الوليد قال : والله لألتقيَنَّ هذه النعمة بسكرة قبل الظهر ، ثم قال :

طاب يومي ولَذّ شربُ السُّلافهْ إذ أتانا نعيُّ مَن بالرصافَـــهْ
وأتانا الوليد[3] ينعى هشاماً وأتانا بخـــاتم للخلافــه
فاصطبحنا من خمرِ عانةَ صرفاً ولهونا بقينةٍ[4] عزافه

ثم حلف لا يبرح من موضعه حتى يُغَنّى في هذا الشعر ، فغُنِّي له وشرب حتى سكر ، ثم دخل فبويع له . وسمع صياحاً فقال : ما هذا ؟ فقيل له : هذا من دار هشام تبكيه بناته ، فقال[5] :

إني سمعت بليلي[6] ورا المصلّى رَنّهْ
إذا بناتُ هشام يندبنَ والِـدَهُنّه
يندبن قرماً جليلاً[7] قد كان يعضدهُنّه

---

١ الديوان : ٢٠ .
٢ الأغاني ٧ : ١٧ .
٣ الأغاني : البريد ، وهو أصوب .
٤ ص : بنتية .
٥ الأغاني : ١٨ والديوان : ٧١ .
٦ الأغاني : بليل ، الديوان : خليلي .
٧ الديوان : شيخاً جليلا .

حرف الياء

٥٦٧

ياقوت المستعصمي

ياقوت بن عبد الله ، جمال الدين المستعصمي الكاتب ؛ كان أديباً عالماً فاضلاً شاعراً ، بلغ من الخطّ غاية ما بلغها ابن البواب . كان قد اشتراه الخليفة المستعصم صغيراً ، وربّي بدار الخلافة واعتنى بتعليمه الخطَّ صفي الدين عبد المؤمن ، ثم كتب على ابن حبيب ، وكتب عليه أبناء الأكابر ببغداد ، وحظي عند علاء الدين ابن الجويني صاحب الديوان ، وكتب عليه أولاده وأولاد أخيه .

وكان ينظم شعراً رقيقاً ، فمنه قوله :

يا خليلي والمنى كاذبــةٌ ... والليالي شأنها أن تسلبا
قم بنا ما قعدت حادثة ... نقضِ من حقّ الصبا ما وجبا
نعصِ مَن لام على دين الهوى ... هذه سنّة أيام الصِّبا

ومنه أيضاً :

جاء بوجهٍ مُخجل ... شمسَ النهارِ المشرقَهْ
في أذنه لؤلؤة ... كأنها والحلقَه
قداحة في وردة ... بالياسمين ملحقَه [1]

٥٦٧ – الزركشي : ٣٤٢ وابن خلكان ٦ : ١١٨ (هامش أوردته إحدى النسخ منقولا عن تاريخ الذهبي) والحوادث الجامعة : ٥٠٠ والنجوم الزاهرة ٨ : ١٨٧ والشذرات ٥: ٤٤٣ والبداية والنهاية ١٤ : ٦ والسلامي : ٢٣٣ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ الزركشي : ملصقة .

وقال :

صدَّقتمُ فيَّ الوشاةَ وقد مَضَى في حبّكم زمني وفي تكذيبها
وزعمتمُ أني مللتُ حديثكم مَن ذا يملُّ من الحياة وطيبِها

وقال :

رعى الله أياماً تقضَّت بقربكم قِصاراً وحيّاها الحيا وسقاها
فما قلتُ إيهٍ بعدها لمسامرٍ من الناس إلا قال قلبيَ آها

ومن شعر ياقوت :

عجبتُ لدهريَ إذ جاد لي بخط يفوق بأجزائـهِ
وأعوزني فيه من نقطةٍ تكون على الطاء من خائـهِ [1]

ومن شعر ياقوت :

وعدتْ أن تزورَ ليلاً فـألوتْ وأتت بالنهارِ تسحبُ ذيـــلا
قلت هلاّ صدقتِ في الوعد قالت هل توهمتَ أن ترى الشمس ليلا

وكانت وفاته في شهور سنة ثمان وتسعين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

٥٦٨

[أبو زكريا النواوي الحافظ]

يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين ، مفتي الأمة شيخ السلام

---

١ أي تصبح « حظ » بدلا من « خط » .

٥٦٨ – تذكرة الحفاظ : ١٤٧٠ وطبقات السبكي ٥ : ١٦٥ وتاريخ ابن الفرات ٧ : ١٠٨ والسلوك ١ : ٦٤٨ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٧٨ والدارس ١ : ٢٤ والأسنوي ٢ : ٤٧٦ =

محيي الدين أبو زكريا النواوي الحافظ الفقيه الشافعي الزاهد ، أحد الاعلام ؛ ولد في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى وتوفي رابع عشرين شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

قال الشيخ محيي الدين : زعم بعض أجدادي أن نسبه إلى حزام والد حكيم رضي الله عنه .

ولما كان له تسع عشرة[1] سنة ، قدم به والده إلى دمشق فسكن المدرسة الرواحية ، وبقي نحو سنتين لا يضع جنبه إلى الأرض . وكان قوته جراية المدرسة . وحفظ « التنبيه » في نحو أربعة أشهر ونصف ، وبقي قريب شهرين لما قرأ: يجب الغسل من إيلاج الحشفة في الفرج، وهو يعتقد أنه قرقرة البطن، ويستحمّ بالماء البارد كلما قرقر بطنه ؛ وحفظ ربع « المهذب » في باقي السنة ، وصحح وشرح على شيخه كمال الدين اسحاق بن أحمد المغربي . ثم حجّ هو ووالده ، وكانت وقفة الجمعة ، وأقاموا بالمدينة نحوا[2] من شهر ونصف . ولما رحل من نوى كانت الحمى أخذته فلم تفارقه إلى يوم عرفة . وكان يقرأ فيما بعد على المشايخ شرحاً وتصحيحاً : كلّ يوم اثني[3] عشر درساً ، درسين في « الوسيط » ودرساً[4] في « المهذّب » ودرساً في « الجمع بين الصحيحين » ودرساً في صحيح مسلم ودرساً في « اللمع » لابن جنّي ودرساً في « إصلاح المنطق » ودرساً في التصريف ودرساً في أصول الفقه ، تارةً في « اللمع » لأبي إسحاق وتارةً في « المنتخب » للإمام فخر الدين ، ودرساً في أسماء

= وعبر الذهبي ٥ : ٣١٢ والشذرات ٥ : ٣٥٤ وروضات الجنات: ٧٤٤؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : تسعة عشر .

٢ ص : نحو .

٣ ص : اثنا .

٤ ص : ودرس .

الرجال ودرساً في أصول الدين . وكان يعلق كلّ ما يتعلق بذلك من شرح مشكل ووضوح عبارة وضبط لغة .

وخطر له الاشتغال في علم الطب ، فاشترى « القانون » وعزم على الاشتغال فيه ؛ قال : فأظلم على قلبي ، وبقيت أياماً لا أقدر على الاشتغال بشيء . ففكرتُ في أمري ومن أين دخل عليّ الداخل ، فألهمني الله أن سببه اشتغالي بالطب ، فبعتُ « القانون » واستنار قلبي .

وسمع صحيح مسلم من الرضي ابن البرهان ، وسمع البخاري ومسند أحمد وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه وجامع الترمذي ومسند الشافعي وسنن الدارقطني وشرح السنّة وأشياء عديدة . وسمع من ابن عبد الدايم والزين خالد وشيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز والقاضي عماد الدين ابن الحرستاني وابن أبي اليسر ويحيي الصيرفي والصدر البكري والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر وطائفة سواهم . وأخذ علم الحديث عن جماعة من الحفاظ ، فقرأ كتاب « الكمال » لعبد الغني على أبي البقا خالد النابلسي وشرح مسلم ومعظم البخاري على المرادي . وأخذ الفقه عن القاضي أبي علي الفتح التفليسي [1] ، وتفقه على الإمام كمال الدين اسحاق المغربي والإمام شمس الدين عبد الرحمن ابن نوح وعز الدين عمر بن أسعد الإربلي . وأخذ عنه القاضي صدر الدين سليمان الجعبري خطيب داريّا والشيخ شهاب الدين ابن جعوان والشيخ علاء الدين ابن العطار وأمين الدين سالم والقاضي شهاب الدين الاربدي . وروى عنه ابن العطار والمزّي وابن أبي الفتح وجماعة .

وقد نفع الله المسلمين بتصانيفه واشتهرت وجلبت إلى الامصار ، فمنها « المنهاج » و « شرح مسلم » و « الاذكار » و « رياض الصالحين » و « الاربعين حديثاً » و « الارشاد في علوم الحديث » و « التقريب » و « التيسير »

---

١ ص : القفليسي .

و « المبهمات » و « تحرير ألفاظ التنبيه » و « العمدة في تصحيح التنبيه » و « الإيضاح في المناسك » و « الإيجاز » في المناسك – وله أربع مناسك أخر – و « التبيان في آداب حَمَلَة القرآن » و « الفتاوى » و « الروضة » و « المجموع في شرح المهذب » بلغ فيه إلى باب الربا في خمس مجلدات كبار . وشرح قطعة من البخاري وقطعة من « شرح الوسيط » إلى باب صلاة المسافر وقطعة كبيرة في « تهذيب الاسماء واللغات » وقطعة في « طبقات الفقهاء » .

قال علاء الدين ابن العطار : وله مسودات كثيرة ، ولقد أمرني مرة ببيع كراريس نحو ألف كراس بخطه وأمرني أن أقف على غسلها في الوراقة ، فلم أخالف أمره وفي قلبي منها حسرات . وأخباره في الزهد والورع والكرامات مشهورة .

وقد عمل له الشيخ علاء الدين ابن العطار سيرة [1] ذكر فيها من رثاه من شعراء عصره ، فمن جملتهم الشيخ مجد الدين ابن الظهير ، رحمه الله تعالى ، قال فيه :

عزَّ العزاء وعمّ الحادثُ الجللُ ... وخاب بالموتِ في تعميرك الأملُ
واستوحشتْ بعد ما كنتَ الأنيس لها ... وساءها فقدك الأسحار والأصُل
وكنت تتلو كتابَ الله معتبراً ... لا يعتريك على تكرارِه مَلَل
قد كنتَ للدين نوراً يُستضاءُ به ... مسدّداً فيه منك القول والعمل
وكنتَ في سُنّة المختار مجتهداً ... وأنتَ باليُمنِ والتوفيق مشتَمل
وكنت زيناً لأهل العلم مفتخراً ... على جديدِ كساهم ثوبك السمل
وكنتَ أسبَقَهم ظلاً اذا استعرت ... هواجرُ الجهلِ والاضلال ينتقل
كساك ربُّك أثواباً مُجَمَّلَةً ... يضيقُ عن حصرها التفصيل والجُمَل
اسلى كمالُكَ عن قومٍ مضوا بدلاً ... وعن كمالك لا مَسْلَى ولا بدل

---

[1] ذكر الذهبي أنها في ست كراريس .

فمثل فقدِكَ ترتاعُ القلوبُ لــه … وفقدُ مثلك جرحٌ ليس يندمل

زهدتَ في هذه الدنيا وزخرفها … عزماً وحزماً فمضروباً بك المثل

أعرضتَ عنها احتقاراً غير محتفلٍ … وأنت بالسعي في أُخراك محتفل

أسهرتَ في العلم عيناً لم تذقْ سِنَةً … الا وأنت بها في العلم مشتغل

يا لهفَ حفلٍ عظيم كنت بهجتَهُ … وحليه فَعَرَاهُ بعدك العَطَل

وطالبو العلم من دانٍ ومغتربٍ … نالوا بيمنك فيه فوق ما أملوا

حاروا لهيبةِ هاديهم وضاق بهم … لفرطِ حُزْنٍ عليه السهلُ والجبل

تُرَى دَرَى تُرْبُهُ من غيبوه بـــه … أو نعشُهُ مَنْ على أعواده حَمَلوا

يا محييَ الدين كم غادرتَ من كَبِدٍ … حَرَّى عليك وعينٍ دمعُها هطل

وكم مقامٍ كحدِّ السيفِ لا جَلَدٌ … يقوى على هوله فيه ولا جَدَل

امرتَ فيه بأمرِ الله منتضياً … سيفاً من العزم لم تُصْنَعْ له خِلَل

وكم تواضعتَ عن فضلٍ وعن شرفٍ … وهمةٍ هامةَ الجوزاء تنتعل

عالجتَ نفسكَ والأدواءُ شاملةٌ … حتى استقامتْ وحتى زالت العلل

بلغتَ بالتعب الفاني رضى ملكٍ … ثوابُهُ في جنانِ الخلد متَّصل

ضيفُ الكريم جديرٌ أن يضاف له … إلى الكرامة من ألطافه النزل

فَجَعْتَ بالأنسِ ليلاً كنتَ ساهره … لله والنومُ قد خيطت به المقل

وحال نورُ نهارٍ كنتَ صائمـــه … اذا الهجيرُ بنار الشمسِ مشتعل

لا زال مثواك مثوى كلِّ عارفة[1] … وروضُه النضرُ من سُحبِ الرضى خضل

إلى متى بغرورٍ نطمئنّ ولا الـ … ـملوكُ ردّ الردى عنهم ولا الرسل

ولا حمى من حِمامٍ جَحْفَلٌ لجبٌ … ولا حصونٌ منيعات ولا قُلَل

يا لاهياً لاهياً عن هول مصرعـــه … وضاحكَ السنِّ منه يضحك الأمل

لا تُخْلِ نفسَكَ من زادٍ فانك من … وقت الولادِ مع الانفاس مرتحل

وما بقاءُ مديمِ السيرِ يتبعـــه … إلى محلِّ بِلاهُ سائقٌ عجل

---

[1] ص : غارقة .

٥٦٩
ابن أبي طي

يحيى بن حميد بن ظافر بن النجار بن علي بن عبد الله الحلبي المعروف بابن أبي طي ؛ أحد من تعاطى الأدب والفقه على مذهب الامامية وأصولهم ، وصنف في أنواع من العلوم . قال ياقوت [1] : وقد جعل التصنيف حانوته، ومنه مكسبه وقوته ، وأكثر تصانيفه قطع فيها الطريق وأخاف السبيل ، يأخذ كتاباً قد أتعب العلماء فيه خواطرهم فيقدّم فيه أو يؤخر أو يزيد قليلاً أو يختصر ، ويخلق له اسماً غريباً وينتحله انتحالاً . وقد طوّل ياقوت ترجمته في « معجم الأدباء » .

ومولده بحلب سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وتوفي حدود الثلاثين والستمائة ، وذكر عنه ياقوت أن والده كان لا يعيش له ولد وأنه لما رزقه حملته جارية وصعدت به السطح ليلة الميلاد ، وكانت شديدة البرد ، فأخذه اضطرام وافحام وابيضت عيناه جميعاً ، ولازمه الرمد إلى أن احتلم فتجلت مما كان فيها من البياض . وكان والده نجاراً مقدّماً على كلّ نجار بحلب .

وقرأ يحيى القرآن على والده واشتغل بفقه الامامية على رشيد الدين المازندراني . ومن تصانيفه : كتاب « البستان في مجلس الغلمان » . كتاب « معادن الذهب في تاريخ حلب » . كتاب « ملح البرهان في تفسير القرآن » . كتاب « قبسة العجلان في تفسير القرآن » . كتاب « البيان في أسباب نزول القرآن » . كتاب « غريب القرآن » . « تفسير الفاتحة » . « المجالس الأربعين في مناقب الأئمة الطاهرين » .

---

٥٦٩ – لسان الميزان ٦ : ٢٦٣ واعلام النبلاء ٤ : ٣٧٨ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ لم ترد ترجمته في المطبوع من معجم الأدباء .

كتاب « خلاصة الخلاص في آداب الخواص » عشر مجلدات . كتاب « حوادث الزمان » على حروف المعجم ، خمس مجلدات . كتاب « تاريخ العلماء » مجلد . « شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل » مجلد . « شرح نهج البلاغة » ست مجلدات . « تحفة الطائفة الفقهائية في شرح كلماتهم اللغوية » . « التنبيهات في تعبير المنامات » . « التنبيهات على صنع النبات » . « الكشف والتبيين في محاسن التضمين » . « العروس في أدب السائس والمسوس » . « مودعة السفيه وموزعة النبيه » في المأخذ على راجح الحلّي وسرقاته . « التحقيق في أوصاف الرقيق » . « الروضات البهجات في محاسن القينات » . « اللباب في أسماء الأحباب » . « نسيم الأرواح في ما جاء في التفاح » . « الايجاز في الألغاز » . « أخبار شعراء الشيعة » . « الاقتصاد في الفرق بين الظاء والضاد » . كتاب « الأضداد » . كتاب « النكت الشاردة والنادرة والفائدة » . « المنتخب في شرح لامية العرب » . « تضوع اللطائم في شرح خطبة فاطمة الزهراء » . « شرح كلام أم سلمة لعائشة رضي الله عنهما » . « نهج البيان في عمل شهر رمضان » . « المشكاة في عويص مسائل النحاة » . « افراد قراءة أبي عمرو ابن العلاء » . « مختصر في اللغة » . « أفراد مسائل » . « الجمع بين زوائد الصحاح وزوائد المجمل » . « ذخر البشر في معرفة القضاء والقدر » . « كتاب في حكميّ كلام الأئمة الاثني[1] عشر » . « الحاوي في المعمول عليه من الفتاوي » . كتاب « سرّ السرائر » . « فقه أحكام النساء في الفقه » . « ذخر البشر في معرفة الأئمة الاثني[1] عشر » . « مجموع مسائل فقه وأصول » . « شرح غريب ألفاظ المقامات » . « شرح الحماسة » . « أخلاق الصوفية » . « عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر » . « كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين » . « ذيل التاريخ الكبير الذي سماه معادن الذهب » . « سلك النظام في تاريخ الشام » أربع مجلدات . « مختار تاريخ

---

١ ص : الاثنا .

المغرب » . كتاب « تاريخ مصر » . « تهذيب الاستيعاب لابن عبد البر » . « سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه » ثلاث مجلدات . « اشتقاق اسماء البلدان » . « نكت درة الغواص » . « أسماء رواة الشيعة ومصنفيها » . « سيرة ملوك حلب » . « كتاب التصحيف والأحاجي » .

ومن شعره رحمه الله :

يا أبا جعفر تجافَ قليلاً　　كم تسامي بمفخرٍ منحوسِ
أنت من معشرٍ كرام ولكنْ　　أنت فيهم قوائمُ الطاووس

وقال في مديح آل البيت رضي الله عنهم :

أنا في إسار غدائرٍ ونواظرٍ　　من كلّ أبيضَ ذي قوامٍ ناضرِ
ريان من مَرَح الصِّبا فكأنما　　رَويتْ معاطفه بغيثٍ باكر
خمريُّ ريقٍ لؤلؤيُّ لواحظٍ　　مسكيّ صدغ صارميّ محاجر
لله ليلتنا بكاظمةٍ وقــد　　سمحتْ بـه الأيامُ بعــد تهاجر
وقد اضطجعنا والنجومُ كأنها　　في الأفق لؤلؤُ ثغرهِ في ناظري
والبدرُ سارٍ في السماء كأنه　　من وجهه بادٍ بنور باهر
والشعريان كأنما أحداقها　　أحداقُ عاذلِ حبه المتكاسر
وسهيلٌ الوقّاد يخفقُ دائبــاً　　خفقانَ أحشائي عليــه وخاطري
والليلُ يرفلُ في فضولِ غلائلٍ　　رقّتْ كشوقي أو كدمعي القاطر
والريحُ ينشرُ عَرْفها بنسيمها　　نشري مديحَ أخي النبي الطاهر
خير الأنام ومن يــذلّ مهابــةً　　من بأسه قلبُ الهزبر الخادر
صنو النبيّ وصهره ووزيره　　وظهيره في كلّ يــومِ تشاجر

٥٧٠

ابن أبي حصينة رضي الدين

يحيى بن سالم القاضي ، رضي الدين ابن أبي حصينة ؛ من شعراء الديار المصرية ، كان أحدب وفيه يقول وجيه الدين ابن الذروي ، وهو في غاية التهكم بأحدب :

يا أخي كيف غيرتنا[١] الليالي   وأحالتْ ما بيننا بالمحالِ
حاشَ لله أن أصافيَ خلاً[٢]   فيراني في ودّه ذا اختلال
زعموا أنني نظمتُ هجاءً   معرباً[٣] فيك عن شنيع مقال
كذبوا إنما وصفت الذي حز   تَ من الفضل والنهى[٤] والكمال
لا تظنّنّ حدبةَ الظهر عيباً   هي في الحسنِ[٥] من صفات الهلال
وكذاك القسي محدودبات   وهي أنكى من الظبّا والعوالي
ودناني[٦] القضاةِ وهي كما تع   لم كانت موصوفةً بالجلال
وإذا ما علا السنامُ ففيه   لقروم الجمال أيّ جَمال

.. ..

٥٧٠ — الزركشي : ٣٤٣ وأورد العماد في الخريدة (قسم مصر) ١ : ١٨٨ ترجمة للوجيه الحسن علي بن يحيى ابن الذروي وذكر قصيدته التي يتهكم فيها بابن أبي حصينة وقال : « الذي أصله من المعرة » ثم ترجم (٢ : ١٠٧) لسالم بن مفرج بن أبي حصينة ، فهل يحيى هذا ابنه ؟ وقد ذكر رضي الدين هذا ابن ظافر في بدائع البدائه : ٢٨٢ وتصحف الاسم « حصينة » فأصبح « حفصة » وأورد له هنالك قصيدة عينية .

١ الخريدة : غيرتك .
٢ الخريدة : خليلا .
٣ الخريدة : أتيت بهجو معرب .
٤ الخريدة : النبل والسنا .
٥ الخريدة : للحسن .
٦ الدناني : جمع دنية وهي قلنسوة القاضي .

وأرى الانحناء في منسر البـــا   زي ولم يعدُ مخلب[1] الرئبال
كوّن الله حـــدبة فيك إن شئـ   ـت من الفضل أو من الافضال
فأتت ربوةً على طود حلـــم   وغدت موجةً لبحر نوال
مـــا رأتهـــا النساءُ إلا تمنت   لو غدت حليةً لكل الرجال
وأبـــو الغصن أنت لا شك فيـــه   وهو ربّ القوام والإعتدال
عُـــدْ إلى ودنـــا القديم ولا تصـ   ـغ لقيلٍ من الوشاة وقال
وتـــذكر لياليـــاً حين ولـــتْ   أودعت حسنها عقودَ لآلي
أترى بالدعاءِ يـــرجعُ شملي   أم دعائي مضيّعٌ وابتهالي
وإذا لم يكن من الهجر بـــدٌّ   فعسى أن تزورنا[2] في الخيال

ومن شعر ابن أبي حصينة :

تملّكَ قلبي غادرٌ غير عـــاذرِ   فوجدي لديه أولٌ مثلُ آخرِ
وجاء بقـــدٍّ عادلٍ فمنِ الـذي   رأى عـــادلاً أزرى على كلّ جائر
نصيريَ دمعي وهـــو أولُ خاذل   فمن منقذي من ساحرِ الطرفِ ساخر
فبتُّ أسيرَ القلبِ والـــدمعُ مطلـــقٌ   أردّد طرفي بين ساهٍ وساهر
يواصلني دمعي ونـــومي مهاجري   فمن واصلي ثبت النحول وهاجري
ويكثر لـــوم الجفن في نـــوم جفنه   ولا ذنبَ للمهجور بل للمهاجر[3]
ولـــو زارني طيفٌ قنعتُ بقـــربه   وإن كان من أهواه ليس بزائري
فيـــا عاذلي دعني فلو أن عـــاذلي   حوى بعضَ ما بي كان للوقت عاذري
رعى الله ليـــلاً زارني بـــدرُ تمّـــه   ولم يلفَ قبل اليوم في زيّ زائر
وخـــاف من الواشين أن يظفروا به   فأرخى عليه حلقـــة من ضفائر[4]

---

١ الخريدة : الكاسر يلفى ومخلب .
٢ الخريدة : تزورني .
٣ الزركشي : لا بل لهاجر .
٤ ص والزركشي : ظفائر .

وظنّ سواد الليل ستراً يجنّــه   وما الليل للبــدر المنيرِ بساتــر

وقال أيضاً :

أودعوا إذ ودّعوني الحرقــا   فنعيمُ العيشِ لي عــاد شقــا
بذلــوا الهجرَ وصانــوا وصلهم   فاصطباري قال لي أنْ لا بقا
أخذوا نومي وأعطوا مقلتي   عندما رقّوا عليها الأرقا
آه من ألحاظ قومٍ كلّمـا   فوقوا سهماً لقلبي رشقا
رمقوا جسمي فمــا أبقوا به   بعد هجرانهمُ لي رمقــا
وأبوا إلا انتقاماً في الهــوى   فقضى الحبّ على من عشقا
يا عذولاً لم تذقْ أفكــاره   من أليم الوجدِ لي ما ذوّقــا
قلْ لأحبابٍ نــأتْ دارهمُ   مات صبري فلكم طولُ البقا
أظلم الأفقُ علينــا فاطلعوا   بسماء الودّ منكم شفقَا
فالكرى فارقَ جفني بعدكم   بعدمــا قبلكمُ مــا افترقا

وقال أيضاً :

كفّ الملام فليس شأنُك شاني   إن الشجيَّ إلى الخليّ لشــاني
لــو كان يخلص بالملامة مغرمٌ   مــا سلّطتْ ميّ على غيــلان [1]
ولما عدتْ [2] أُسدَ الرجال وصيدها   عند اللقاءِ لواحظُ الغزلان
بانت [3] أُمامةُ والغرام مخيّمُ   عندي وبــان [4] لبينها سلواني
وإذا سطا جيشُ الغرام على امرىءٍ   نقل الذي في السرّ للإعــلان
أسكنتها قلبي فبان خرابه   والقلبُ يخــربه أذى السكــان

....

١ غيلان بن عقبة المري الشاعر المشهور بـ « ذي الرمة » .
٢ ص : غدت .
٣ ص : باتت .
٤ ص : وبات .

تسطو بجفنٍ كـل منبت شعرةٍ من هُدبه محسوبةٌ بسنان
وكأنمـا أجفانهـا ان حكّمت في القلب أجفانٌ لكل يماني
حسنت فهـلا أحسنت بوصالها والحسنُ منتسبٌ إلى الإحسان

وكانت وفاته بعد الثمانين والخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٥٧٠
ابن مجبر الاشبيلي

يحيى بن عبد الجليل بن مجبر[١]، أبو بكر الفهري المرسي ثم الاشبيلي، شاعر الأندلس في وقته ؛ توفي بمراكش ليلة عيد النحر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

أتراه يترك الغـزلا وعليه شبَّ واكتهـلا
كلفٌ بالغيد ما علقت[٢] نفسُهُ السلوانَ مذ عقلا
غير راضٍ عن سجيةِ مَنْ ذاق طعمَ الحبِّ ثم سلا
أيهـا اللوّام ويحكمُ إن لي عن لومكم شُغُلا
ثقلتْ عن لومكم أذنٌ لم يجـد فيهـا الهوى ثقلا
تسمعُ النجوى وإن خفيتْ وهي ليست تسمـعُ العذلا
نظرت عيني لشقوتهـا نظراتٍ وافقت أجـلا

٥٧٠ – زاد المسافر : ٩ وبغية الملتمس رقم : ٩٣ والنفح ٣ : ٢٣٧ وابن خلكان ٧ : ١٣ وشعره في النفح وشرح مقصورة حازم والبيان المغرب (ط. تطوان) والحلل الموشية والروض المعطار .

١ ص : مجير .
٢ ابن خلكان : عقلت .

غادةً لما مثلتُ لها | تركتني في الهوى مثلا
هي بزّتني الشباب فقد | صار في أجفانها كَحَلا
أبطل الحقّ الذي بيدي | سحرُ عينيها وما بطلا
أعرضتْ دلاًّ فإذ فطنت | بولوعي أعرضتْ خجلا
وبدا لي أنها وجلتْ | من هنات تبعثُ الوجلا
حسبت أني سأحزنها [1] | إذ رأتْ رأسي قد اشتعلا
يا سراةَ الحيِّ مثلكمُ | يتلافى الحادثَ [2] الجللا
قد نزلنا في جواركمُ | فشكرنا ذلك النزلا
ثم واجهنا ظباءكمُ | فلقينا الهولَ والوهلا
أضمنتم أمنَ جيرتكم | ثمْ ما أمّنتمُ السُّبُلا
وأردتم [3] غَصْبَ أنفسهم [4] | فبثثتم بينها المقلا
ليتنا خضنا السيوفَ ولم | نلقَ تلك الأعينَ النجلا
عارضتنا منكمُ فئةٌ | أحدثتْ في عهدنا دخلا
ثُعَليات جفونهمُ | وهمُ لم يعرفوا ثعلا
أشرعوا الأعطافَ ناعمةً | حين أشرعنا القنا الذبلا
واستفزّتنا عيونهمُ | فخلعنا البيضَ والأسلا
ورمتنا بالسهام فلم | نرَ إلا الحليَ والحللا
نُصروا بالحسُن فانتهبوا | كلَّ قلب بالهوى خذلا [5]
عطلتني الغيدُ من جلَدي | وأنا حلّيتها الغزلا [6]

١ ابن خلكان : سأحرقها .
٢ ص : الحادثات .
٣ ص : وأدرتم .
٤ ص : أنفسكم .
٥ ابن خلكان : جذلا .
٦ ص : العطلا .

حملتْ نفسي على فتنٍ سُمتُها صبراً فما احتملا
ثم قالت سوف نتركها سَلَبا للحب أو نفلا
قلت أمّا وهي قــد علقتْ بأميرِ المؤمنين فلا

٥٧١
أبو الحسين الجزار

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي ، الشيخ جمال الدين أبو الحسين الجزار الأديب المصري ؛ ولد سنة ثلاث وستمائة تقريباً ، وتوفي ثامن عشر شوال سنة تسع وسبعين وستمائة بالفالج ، وكان بديع المعاني جيد التورية عذب التركيب فصيح الألفاظ حلو النادرة ، صاحب مجون وزوايد ، يمدح الملوك والكبار ، وكان يتزيا بزيّ الكتّاب ، عاش مرتزقاً بالشعر ، وما هُجيَ أحدٌ[1] من شعراء زمانه ما هجي هو ولا ثلب كما ثلب ، وكان يسمى « تعاشير » ، وفيه يقول مجاهد الخياط[2] :

ما لتعاشيرَ غلا قيمةً عليّ قامتْ في مواعينهِ
فلا يلمني وليلمْ نفسَهُ إذ هو مذبوحٌ بسكينه
والله ما أغضبها فعله إلا لتقطيع مصارينه

---

٥٧١ – الزركشي : ٣٤٣ والبدر السافر : ٢٢٥ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٩٦ والشذرات ٥ : ٣٦٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٥ وحسن المحاضرة ١ : والمسالك ١٢ : ١٦٦ ؛ ولم يرد في المطبوعة إلا جزء يسير من هذه الترجمة .

١ ص : وما هجا أحداً .

٢ قد مرت ترجمة مجاهد (رقم : ٤٠٩) وانظر ترجمة له في المغرب (قسم مصر) ١ : ٢٩٣ (وسماه مجاهد طنناش الخياط) وفي المسالك ١٢ : ٢١٣ .

وكان قليل الهجاء متحملاً متودداً إلى الناس ، حسن التعريض ، واحتاج في آخر عمره إلى الاستجداء بغير شعر . وكان كثير التبذير لا تكاد خلته تستدّ أبداً ولا يغفل طلبه ولكن بأحسن الصور ، وكان مسرفاً على نفسه .

وله كتاب « فوائد الموائد » وعمل بعض الفضلاء عليه « علائم الولائم » . وجمع قطعة من شعره سماها « تقاطيف الجزار »[1] وهذه تسمية حسنة .

ولم يكن في عصره من يقاربه في جودة النظم غير السراج الوراق ، وهو كان فارس تلك الحلبة ومنه أخذوا وعلى نمطه نسجوا ومن مادته استمدوا . وبينه وبين شعراء عصره مجاراة ومباراة أذكر منها شيئاً .

وقيل إنه لما كان صغيراً نظم أبياتاً قلائل ، وكان أديب ذلك الزمان ابن أبي الإصبع ، فأخذه والده وتوجه به إليه وقال : يا سيدي ، قد عمل هذا الولد شعراً وأشتهي أن يعرضه عليك ، فقال : قل ، فلما أنشده قال له : أحسنت والله إنك عوام مليح . فراح هو ووالده . وبعد أيام عمل والده طعاماً وحمله إلى ابن أبي الإصبع فقال : لأي شيء فعلت هذا ؟ قال : لشكرك لولدي ، فقال : أنا ما شكرته ، قال : ألم تقل له أحسنت ، إنك عوام مليح ؟ فقال : ما أردت بذلك إلا أنه خرج من بحر ودخل في بحر ، فاستحيا هو ووالده . ثم لم يزل يتهذب حتى فاق أهل عصره وصار من فحول المتأخرين .

وقيل إنه اجتمع هو وأصحابه وأرادوا النزهة ، فأخرجوا من بينهم دراهم وأخذوا منها عشرة دراهم وجاءوا إلى جزار في باب زُوَيلة ، فوقفوا عليه وقالوا له: أتدري من هذا الواقف عليك؟ قال : لا ، قالوا : هذا الشيخ جمال الدين أبو الحسين الجزار أديب الديار المصرية وإمامها ، فباس الجزار السكين وقدّمها لأبي الحسين وقال : يا سيدي والله ما يدخل يقطع هذا اللحم

---

[1] المغرب : تقطيف الجزار ، وقال انه طرزه باسم الصاحب الكبير العالم كمال الدين بن أبي جرادة؛ وكذلك ورد اسم الكتاب عند الزركشي .

إلا أنت ، فلما دخل أبو الحسين شرع قطع لهم الرقبة والعرقوب والمراق والعظام والمطاميط ، وأصحابه ساكتون لا يكلمونه حتى فرغ ، وأخذوا اللحم وقالوا له : أما الرجل فإنه قد خلاه الذم وعداه اللوم لأنه مكنك من اللحم ، وأنت فعلت بنا هذا الفعل ؟ ! فقال : بالله اعذروني ، فإني لما رأيت نفسي وأنا خلف القرميّة والساطور وبيدي السكين جاءتني لأمة الجزارين ، وما قدرت أفعل غير ما رأيتم ؛ فضحكوا منه .

ومما هجي به رحمه الله تعالى :

ماذا أقول في فتىً نشء التيوسِ والبقرْ
فعالـــه ذميمـــةٌ وبيته بيتُ الزَّفَرَ

ومنه :

تعصَّبَ للأديب عليَّ قومٌ وما كانوا أولئك في حسابي
كلابٌ وهو جزّارٌ ولكن بـــه قطعتُ أذنـــابَ الكلاب

ومنه :

قل لوزير الملك لا تطّرحْ أمر امرىءٍ أعيا بك العتبُ
وازجر عن الجزار نفساً فقد تجني به ذنباً ولا ذنب
لا تأمَنْ ثلبَ الورى إن يكن قرَّبه من بابك الثلب
ولا تجالس طـرَفاً نازلاً قد طالما جالسه الكلب

وفيه يقول قطب الدين عمر الواعظ :

الشاعر الجزار مـــات فبئسَ مـا ضمَّ الترابُ
قـــد وافق العقلاء ربهم عليـــه فهم غضاب
ولبخله بالعظم مـــا حزنت لموته الكلاب

وقال فيه مجاهد الخياط :

مرَّ بنـــا ينصبُ أُحبولـــةً للرزقِ أو يدفنُ أفخاخا
وهو إذا سافر مـــع نحسه يحتاجُ فراشاً وطباخـــا
وواحدٌ أعمى إلى جـــانبي ما زال للتاريخ نسّاخا
يقول لي ويحـــك مَنْ ذا الفتى أراه صياحاً وصرّاخا
فقلت قالوا إنـــه شاعر يأكلها بالشعر أوساخا
هذا هـــو الجزار ، قال الذي قد كان قبل اليوم مرّاخـــا [1]
فقلت هذا في الصبا قال لي وهو بتلك [الحال] لو شاخا

وقال مجاهد أيضاً فيه بليقة :

قد كنت عند الناس بعين
يا ابو الحسين
وجبتـــين

قالوا غلامك يا حزين
ناكك على زعمي يقين
قلت المكين ؟

قالوا الأمين

فقلت قولوا لي الخبر
قال زبّ في شاعر عبر [2]
قلت البغا جاه في الكبر

قال مرتين

طفيت حماقه وامتليت

---

١ ص : صراخا .
٢ ص : غبر .

تمشي بمنور ما استحيت
عليك ظلام ولو مشيت

بالنيريـــن

ربيت صغير [1] في المجزرا
وفي الكبر جيت مسخرا
فما نقول إنك خرا

في الحالتين

على قذارُ ما احمقوا
وما أفشروا وما أنزقوا
ويلاه على من غرّقوا

بجســرتين

وفيه أشياء كثيرة من هذا النمط ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .
ولما مات رثاه السراج الورّاق :

أغايتنا لهـــذا يـــا فلانُ   تأمَّلْ ليس كالخبرِ العيـــانُ
أمانيُّ النفوسِ لها خداعٌ   وليس من المخوفِ لها أمـان
ومن بعد الحراك لها سكونٌ   وصمتٌ بعدما مزح اللسان
أيا مَن جدّ للآمال ركضاً   تأنَّ ففي يدِ الأجلِ العنـان
تروقك زهرةُ الدنيا ومنها   جنى ثمرَ الردى إنسٌ وجان
وتخدعُ لامساً [2] منها بلينٍ   أيؤمَنُ إذ يميسُ الأفعوان
بلغت أبا الحسين مدىً إليـــه   لمستبقٍ ومسبوقٍ رهان

---

١ ص : صغيرا .
٢ ص : لامس .

وكنت وطالما قد كنتَ أيضاً تقول عن الأولى سبقوك كانوا
أقولُ لمن نعاك ولا امتناعٌ لأحزاني عليك ولا امتنان
الا عزِّ القوافي[1] اليومَ عن من بكته البكرُ منها والعوان
لها إيطاءُ حزن بعد حزن وإكفاءُ لدمعٍ لا يُصان
وإقواءٌ برفعٍ فوق نعشٍ وخفضٍ في اللحود له مكان
وناح النحوُ بعدك ، والمعاني لها مع كلِّ نائحةٍ جَنان
فلا بدلٌ لخلٍّ عنك يرجَى ولا عطفٌ لمن غدروا وخانوا
ولو نزفت بحورُ الشعر دمعاً وكان على الخليل لها ضمان
لما وفَّته لا وأبيه حقاً ولو بسلوكها نُظِمَ الجمان
كفاها ذوقُهُ التقطيع فيما يجوّزه ويأباه الوزان
ولجّجَ سالكاً في كلّ بحرٍ غنائمه جواهره الحسان
فنالت منه فاصلة[2] الرزايا ودائرة الحمام ولا اعتنان
فيا أسفَ البديع على بديعٍ لكلٍّ فنونه منه افتنان
اذا التفتَ استطال على جريرٍ وأُخرسَ من فرزدقه اللسان
فلا تَقَسا به سحبانَ يوماً ولا قسّاً اذا ذُكرَ البيان
ولو هرمٌ رآه سلا زهيراً وكان لهُ عليه ثَمَّ شان
جمالَ الدين انت جميلُ ظنٍّ بربِّك جلَّ ديّاناً يُدان
وعفوُ الله اكثرُ من ذنوبٍ لنا وعلى الشفيع لنا الضمان

وكتب أبو الحسين إلى السراج الورّاق في يوم نوروز :

استعمل العفصَ بعد الدّبغِ مقلوباً[3] لتغتدي طالباً طوراً ومطلوبا

---

١ ص : القواف .
٢ ص : فاضلة .
٣ يريد الصفع .

واسكرْ من الراحِ[1] وافهمْ ما أشرتُ له   فليس يحتاجُ لا كاساً ولا كوبا
واحمل على القوم واحلم انهم حملوا   فأنت ما زلتَ غلاّباً ومغلوبا
لك الجوادانِ فاركبْ ما تشاءُ ودعْ   ما لا تشاءُ مع الغلمانِ مجنوبا
قد أدبتك نواريزٌ مفرقـــة   حتى لقد صرتَ لا تحتاج تأديبا
وطالما استصلح الجزارُ نحرك في   يومِ الأضاحي ولم يستصلح النيبا
أذكرتنا ازدشيراً[2] اذ ركبت واذ   اصبحتَ بالتاج تاجِ الخوص معصوبا
فاستوفِ غير ضجورٍ بالامارة ما   على جبينك [ما] قد كان مكتوبا
والقَ الايادي َ واقبل من هديتها[3]   ما كان من قوصَ أو إخميمَ مجلوبا
يا شاعراً لم يَفُتْهُ[4] اليوم راوية   يروي المجون اذا لم يروِ تشبيبا
لو أنه ادرك الشيخ الصريع فتى القصّار[5] لم يَرْوِ إلا عنك أسلوبـــا

فأجابه الورّاق :

قتلتَ يا شيخنا الأشياءَ تجريبا   بأكلك العفص بعد القلبِ تدريبا
وصار جلدك مدبوغاً به عجباً   وما طهرت ومن[6] يحصي الأعاجيبا
يا مستلذّاً بأكلِ الراح هاك يدي   وخلِّ من يستلذُّ الراح مشروبا
ويا صفيّاً بعينٍ عندنا أبداً   لولا تكونُ بعيني كنتَ محجوبا
ركبتَ أنثى ولم تعتدْ سوى ذكرٍ   ما لي أراك على المركوب مقلوبا
مخالفاً قد تبدّلتَ العنان بذيـّ   الٍ يظلّ فويق[7] الأرض مسحوبا

---

١ يعني الضرب بالراحات .
٢ ص : أزدشير .
٣ ص : هدتها .
٤ ص : تفته .
٥ يريد الشاعر صريع الدلاء .
٦ ص : من .
٧ ص : بذيالك ... فوق

وثـَمَّ ميمٌ وصاد إنْ قرأتـَهمما   قرأت « مصَّ » وكم فسَّرت مكتوبا
فاجعل لسانك في هذا وذا سبباً   والحشُّ يكفيك إن حاولتَ مطلوبا
واركب بغرّةِ توتٍ[1] ناشراً علمـاً   يأتي من الطائف النجديِّ مجلوبا[2]
فطالما رفعت ايدٍ[3] اليك بـه   حتّى نزلتَ عن المركوب مكروبا
أبا الحصين[4] محالٌ أن تروغَ وقد   صوّبتُ ثعلبَ رمحي اليوم تصويبا
ولستَ ذئباً فأخشى أن تخاتلني   لكنما أنت شيءٌ يشبه الذيبا

وكان الوراق يوماً يسرّح ذقنه ، فقال الجزار :

لا تعجبوا من لباسي فكلُّ أمريَ لَبْسُ
والله ما ثم مالٌ وإنما ثَمَّ تفسو

فأجابه الوراق :

صدقتَ ما ثم مال وإنما ثم نحسُ
وثم أخرى وأخرى فيها وعندك حدس

وكتب الجزار إلى الورّاق :

أيها الفاضلُ الذي قد حباه   ذهنـُهُ من علومه بكنوزِ
فقتَ أهلَ الآداب جداً وهزلاً   فتميـّزْ عنهم بذا التمييز
كم وكم من رسالة لك قد برَّ   زت فيها سبقاً على التبريزي
انا والله من رعاياك ما زلـ   ـتُ وأنت الاميرُ في النوروز

فأجابه الورّاق :

كم إلى كم يطيلُ مادحُ مثلي   بكنى قد خبأتها ورموزِ

---

١ توت : أول الشهور القبطية .
٢ يريد النعال ، لأن الطائف مشهورة بالأدم .
٣ ايد : أيدي .
٤ سير كنيته من « أبو الحسين » إلى « أبو الحصين » تشبيهاً له بالثعلب

مانحاً مثلها المطرّز هيها ت له مـا لديك من تطريز
ربَّ يومٍ ركبتَ فيه أميراً وتركت المخيطَ للمـدروز[1]
دخلت منك هيبةٌ لك في قلـ بي ولكن دخولها من طيزي

وقال أيضاً[2] :

قطعتُ شبيبتي وأضعتُ عمري وقد أتعبتُ في الهذيان فكري
وما لي أجرة فيه ولا لي اذا ما تبتُ[3] يوماً بعض أجرِ
قرأتُ النحو تبياناً وفهمـاً إلى أن كِعْتُ منه وضاق صدري
فما استنبطت منه سوى محالٍ يحال به على زيدٍ وعمرو
فكان النصبُ فيه عليَّ نصباً وكان الرفعُ فيه لغير قدري
وكان الخفضُ فيه جلَّ حظي وكان الجزمُ فيه لقطع ذكري
وفي علم العروضِ دخلتُ جهلاً وعمتُ لخفّتي في كل بحرِ
فأذكرني به التفصيل بيتاً تضمّنَ نصفُه الشيخَ المعرّي
مفاعلتن مفاعلتن[4] فعولن « حديثُ خرافةٍ يا أمَّ عمروِ »
وكم يومٍ ببيعِ اللحم عندي يعدّ من البوارِ بألفِ شهر
ولما أن غدا لا بيعَ فيـه مع الميزان أشبهَ يومَ حشرِ
ودكّاني جهنمُ اذ زبوني زبانيةٌ بهم تعذيبُ سرّي
وفيها زفرةٌ من غير لحمٍ وقد وضعت سلاسلها بنحري
وقد طال العذابُ عليَّ فيها لما قدّمتُ من نحسٍ ووزر
فان لام العذولُ أقولُ دعني أنا في ضيعةٍ في وسط عمري

---

١ ص : المدروز .
٢ المغرب : ٣١٤ وهي في مدح برهان الدين ابن الفقيه نصر .
٣ المغرب : مت .
٤ ص : مفاعيلن مفاعيلن .

منها في المديح :

وإن الشعرَ دون علاه قدراً	ولا سيّما اذا ما كان شعري
كلاماً[1] ما قرأت له صحاحاً	ولا نحواً على الشيخ ابن برّي
وعيشِكَ لستُ أدري ما طحاها	وقد أقررتُ أني لستُ أدري
وذا خبري ولو كشّفتَ عنّي	لصغّره بعظمِ الجهلِ خُبْري
كأني مثلُ بعضِ الناس لمّا	تعَلّمَ آيتين فصار يُقْري[2]

وقال أيضاً[3] :

ما زلتُ في الدنيا من الهمِّ	طولَ زماني وافرَ القَسْمِ
فالحمدُ لله الذي حكمـه	قد خرَّ[4] في أفق السماء نجمي
أصبحتُ لحاماً وفي البيت لا	أعرفُ ما رائحةُ اللحم
جهلتُهُ فقراً فكنتُ الذي	أضلَّهُ الله على علم

وقال ايضاً[5] :

حَسْبي حِرافاً بحرفتي حسبي	أصبحتُ فيها معذّبَ القلبِ
موسّخ الثوب والصحيفةِ من	طولِ اكتسابي ذنباً بلا ذنب[6]
خلا فؤادي ولي فمٌ وسخٌ	كأنني في جِزارتي كلبي

وقال أيضاً[7] :

---

١ المغرب : لأني .
٢ المغرب : مقري .
٣ المغرب : ٣١٥ .
٤ المغرب : حير .
٥ المغرب : ٣١٦ .
٦ المغرب : بلا كسب .
٧ المغرب : ٣٠٩ .

لي منَ الشمسِ خلعةٌ صفراءُ لا أبالي اذا أتاني الشتـــاءُ
ومن الزمهرير إن حدث الغيـم ُ ثيابي ، وطيلساني الهواء
بيتيَ الأرض والفضاء به سو رٌ مدارٌ وسقفُ بيتي السماء
لو تراني في الشمس والبردُ قد أنـسلَ جسمي لقلتَ إني هباء
شنَّعَ الناسُ أنني جـــاهليٌّ مانويّ وما لهم أهواء
أخذوني بظاهري[1] إذ رأوني عبدَ شمسٍ تسوؤني[2] الظلماء
آه واحسرتي لقد ذهب العمـر وحظّي تأسفٌ وعناء
كلما قلتُ في غدٍ أدركُ السو لَ أتاني غدٌ بما لا أشاء
لست ممن يخصّ يوماً بشكوا ه لأنَّ الأيامَ عندي سواء

وقال من أبيات[3] :

فاغنني عن سؤال كلّ لئيمٍ قد علا قدرُهُ وإن كان سِفْلَهْ
معشرٌ ما ظفرتُ منهم عقيب الـقصد عند السؤال إلا بخجله
ومتى غبتُ عنهمُ عتبوني ومتى جئتهمْ رأوا ذاك ثقله
انا فيهم عارٍ وماشٍ وغيري وهو دوني له ثيابٌ وبغله
ليَ نصفيّةٌ تَعُدُّ من العمـرِ سنيناً غسلتها ألفَ غسله
لا تسلني عن مشتراها ففيها منذ فصَّلتها نشاء بجمله
كلَّ يومٍ يحوطها العصرُ والـدقُّ مراراً وما تقرّ بعمله
فهي تعتلُّ كلما غسلوها ويزيلُ النشاء تلك العلّه
أين عيشي بها القديم وذاك الـرفق[4] فيها وخطرتي والشمله
حيثُ لا في أجنابها رقعة قـطّ ولا في أكمامها قطّ وصله

---

١ المغرب : بظاهر .
٢ المغرب : تسوءه .
٣ المغرب : ٣٠٤ .
٤ ص : الرنق ؛ المغرب : التيه .

قال لي الناس حين أطنبتُ فيها بسٌّ أكثرتَ خلّها وهي[1] بقله

وقال وقد بعث له بعض الرؤساء نصفيّة[2] :

اشكر مولانا ونصفيّتي تشكره اكثر من شكري
أراحها جدواه من كلٍّ ما تشكوه من دق ومن عصر[3]
كم مرةٍ كادتْ مع الماء اذ يغسلها غسّالها تجري
تموت في الماجور لولا النشا يبعثها في ساعة النشر
أراحها الدهر وطوبى لمن يريحه في آخر العمر

وقال وقد منعه البواب من دخوله على بعض الأمراء[4] :

أمولاي ما من طباعي الخروجُ ولكن تعلّمته من خمولي[5]
وصرتُ أرومُ لديك الغنى فيخرجني الضرب عند الدخول

وقال أيضاً[6] :

أدركوني فبي من البرد همٌّ ليس يُنْسَى وفي حشايَ التهابُ
ألبستني الاطماع وهماً فها جسميَ عارٍ ولي فرا وثياب
كلما ازرَقَّ لونُ جسمي من البرد تخيَّلتُ أنه سنجاب

وقال أيضاً :

اني لمن معشرٍ سفكُ الدماءِ لهم دأبٌ وسلْ عنهم إن رمت تصديقي
تزداد بالدم إشراقاً عراصهمُ فكلُّ أيامهم أيامُ تشريق

---

١ المغرب : فهي .
٢ المغرب : ٣١٠ .
٣ ص : عصري .
٤ المغرب : ٣١٨ .
٥ المغرب : بالخمول .
٦ المغرب : ٣١١ .

وقال أيضاً :

قلت لما سكب السا … قي على الارض الشرابا
غيرةً مني عليه … ليتني كنتُ ترابا

وقال :

ولم ألقَ في بيتي دثاراً أعــدّه … لبردٍ ولا شيءٌ يردُّ هجيرا
فأنفخُ شدقي إن أردتُ وسادةً … وأفرشُ ظلّي إن اردت حصيرا

وقال من أبيات :

يلينُ إلى أن يجرحَ الوهمُ خدّهُ … وتغرق في ماء النعيم غلائلُهْ
اذا ما بدا من شعره في ذوائب … رأيت غزالاً لم ترعه حبائله

وقال :

كذبت في نظم مديحي لكم … والكذبُ لا ينكر من شاعرِ
واحتجت أن اذكركم خيفة … بالخير للوارد والصادر
فأنتمُ ألجأتموني إلى … كذبيَ في الأولِ والآخر

وقال :

لئن قطع الغيث الطريق فبغلتي … وحاشاك قبقابي وجوختيَ الدارُ
وإن قيل لي لا تخشَ فهي عبورة [1] … خشيت على علمي بأنيَ جزار

وقال من أبيات [2] :

اسقنيهـا حتى أقومَ ولا أعـ … ـرفُ سكراً عمامتي من مداسي
فزتُ بالجهل مثلما فاز بالحلـ … ـم وفعلِ الصنائع البانياسي
وغدائي المسلوقُ في كلّ يومٍ … لا من اللحم بل من القلقاس

---

١ العبورة : الصغيرة من الغنم ، وفيه تورية .
٢ المغرب : ٣٤٣ وأورد منها البيت الأول .

وقال أيضاً :

أحبابَنا ما لليــلي بعد فرقتكم   كأنما هو مخلوق بلا سَحَرِ
أنفقتُ أيامَ عمري في محبتكم   وقد نأيتم فلا أنتم ولا عمري

وقال أيضاً :

وكم وكم قد دقّ أبوابــه   عليه في الليل نسيمُ الصَّبا
فقال مَنْ ؟ قال رسول الشتا   فقال : لا أهلاً ولا مرحبا

وقال من قصيدة :

وكم قابلت تركياً بمدحي   فكاد لما أحاولُ منه يختنقْ
ويلطمني إذا ما قلتُ : «ألطن»   ويرمقني إذا ما قلتُ « برمق »
وتسقط حرمتي أبدا لديه   فلو أني عطشتُ لقال « بشمق »

وقال أيضاً :

زمن الغضا في القلب بعدك لوعةٌ   تذكى بنار الشوقِ لا نار الغضا
ما كانت اللذات فيك ولا الهوى   الا كبرقٍ في الدجنة أومضا
واذا صبوتُ لدارسات رسومــه   قال المعيد لدرسها : هذا مضى

وقال يمدح فخر القضاة نصر الله ابن بصاقة من أبيات [1] :

وكم ليلةٍ قد بتُّها معسراً ولي   بزخرفِ آمالي كنوزٌ من اليسر
أقولُ لقلبي كلما اشتقت للغنى   اذا جاءَ نصر الله تبّتْ يد الفقر
وان جئته بالمدح يلقاك بالندى   فكم مرةٍ قد قابل النظم بالنثر
ويهتزّ للجدوى اذا ما مدحته   كما اهتز ـ حاشا وصفه ـ شارب الخمر

وكتب إلى رجل اصطنعه وهو يؤذيه من أبيات :

---

١ وردت الأبيات في ترجمة ابن بصاقة (رقم : ٥٤٥) .

طالما كنت قبلها تحفظ الخبْـ زَ ولكن بالبخل في الصندوقِ
ليت شعري ماذا تقول إذا [ما] رُمْـتَ شتمي ، قل لي بأي طريق
علم الله ما مضيت رسولاً قطّ من عند إبنتي لعشيق
لا ولا بِتُّ في مكانٍ طفيليـ ـاً كغيري في طاعة وفسوق
لا ولا جئتُ بالرجال إلى بيـ ـتي وكاسَرتُ عنهم في السوق

وقال أيضاً :

ما بال قوّادي وعِلْقي قد غلّقا أبوابَ رزقي
وتعاهدا وتعاقـــدا وتحالفا أيمانَ صدق
إنْ تتركاني تائبـاً من فاقتي عن كلِّ فسق
وتخلّيـاني مُثلـــةً للناسِ في غرب وشرق
قد صرتُ صوفياً لفقـ ـري منهما والجلدُ دلقي
وعمامتي رأسي وجـ ـمتي الثرى والكبرُ خلقي
فأنا النذيرُ لمن غـــدا متعرضاً يوماً لعشق
كم ليلةٍ ضيَّعتُ فيـ ـها حرمتي وأضعتُ ورقي
وصُفِعْتُ حين سكرتُ من كاسٍ بها المحبوبُ يسقي
واذا سكرتُ فانني مستهلك مالي وعتقي

وقال[1] :

يا مالك القلبِ رفقاً إنَّ نـارك في أضالعِ الصبِّ لا تبقي ولا تذرُ
فضحتَ غصن النقـا ليناً فراح إذا مـا ماس قدُّك بالأوراق يستتر
ما أنكر الطرف أن الشعر منك دجا وإنمـا غرَّه من وجهك القمــر
إني لأعجبُ من جفنٍ تديرُ بــه على نداماك[2] خمراً[3] وهو منكسر

---

١ المغرب : ٣٣٨ .
٢ المغرب : محبيك .
٣ ص : خمر .

وقال أيضاً :

لبستُ بيتي وقـد زررتُ أبوابي عليَّ حتى غسلت اليـوم أثوابي
وقد أزال الشتا مـا كان من حمقي دعني فمستوقد الحمـام أولى بي
أنام في الزبل كي يَدْفا به جسدي ما بين جمرٍ به ما بين أصحابي
أو فوق قـدر هريسٍ بتُّ أحرسها مع الكلابِ علي دكان غلاب
ما كنت أعرف ما ضَرْبُ المقارع أو قاسيت وقع الندى من فوق أجنابي
ومـا تراقصتِ الأعضاءُ في جسدي إلا وقـد صفقتْ بالبرد أنيـابي

وقال في زوجة أبيه وكانت طرشاء :

تزوج الشيخُ أبي شيخـةٌ ليس لهـا عقلٌ ولا ذهنُ
لو برزتْ صورتها في الدجى مـا جسرتْ تبصرها الجنُّ
كأنها في فرشها رمةٌ وشعرها من حولها قطن
وقائل قـل ليَ مـا سنُّها فقلت ما في فمِهـا سن

وقال فيها وقد مات أبوه :

أذابت كلى الشيخ تلك العجوزُ وأرْدَتْهُ أنفـاسُها المرديَهْ
وقد كان أوصى لها بالصداق فما في مصيبته تعزيه
لأنيَ ما خِلْتُ أن القتيل يُوصِي لقـاتله بالديه

وأهدى إلى الصاحب كمال الدين ابن العديم سجادة خضراء ، وكتب معها : المملوكة سجادة أبي الحسين الجزار :

أيها الصاحب الأجل كمال الـد ينِ لا زلْتَ ملجأً للغريبِ
كنْ مجيري لأنني قـد تغربـ تُ لكوني وقعتُ عند الأديب
أنا سجادةٌ سئمتُ من الط يِّ فَهَبْ لي نَشراً فنشرُك طيبي
طال شوقي إلى السجود وكم لي من شروقٍ في بيتـه وغروب

وإذا مـــا أتاه ضـــيفٌ أراني منه عند الصلاةِ وجهَ مريب
لم يرقـــه اخضرارُ لوني وهيها ت ، وما راعه اسودادُ الذنوب
فأقِل عثرتي ووفّر بإحسا نك من وجهك الكريم نصيبي
واجبرِ اليوم كسرَ قلبي فلا زلـ ـتَ مدى الدهر جابراً للقلـوب

إن حَسُنَ في الآراء العالية الصاحبيّة الكمالية أسعدها الله تعالى أن ينصب محرابي إلى القبلة بعد رفعه ، ويخفض عيشي بالتسبيح والتقديس بعد جزمه وقطعه ، ويجعلني مؤهلة بين يديه لصالح الأعمال ، ويؤمنني العثّ الذي يعتري الصوف لعدم الاستعمال ، فَعَلَ ، جارياً على عوائد اصطناعه ، سالكاً سبل أخلاقه وطباعه ، والسلام .

وقال أيضاً :

إذا كنتَ تعلم ما في الصدور وتعـلمُ خـائنةَ الأعينِ
وتعلمُ صحةَ فقري إليـــكَ فإنيَ عن شرح حـالي غَنِي
أُسيءُ فتحسنُ لي دائمـاً وهل للمسيء سوى المحسن
وحقك ماليَ من قـدرةٍ على كشفِ ضُرٍّ إذا مسّني
فـلا تلزمني بغـير الدعاء فـذلك ما ليس بالممكن

٥٧٢
أبو زكريا يحيى صاحب افريقية

يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاني ، الأمير أبو زكريا

٥٧٢ - الزركشي : ٣٤٥ وابن خلدون ٦ : ٢٨٠ وصبح الأعشى ٥ : ١٢٧ والتعريف بابن خلدون : ١١ والمؤنس : ١٣٢ وتاريخ الدولتين : ١٨ والفارسية : ١٠٧ وأزهار الرياض ٣ : ٢٠٨؛ وأكثر هذه الترجمة ثابت في المطبوعة إلا أن اضطراباً حدث هنالك ، فقد انقطعت=

صاحب إفريقية وتونس ؛ كان أبوه نائباً لآل عبد المؤمن على إفريقية ، فلما توفي والده تغلب على إفريقية وتونس وامتدت أيامه ، واشتغل عنه بنو عبد المؤمن بأنفسهم ؛ وتوفي سنة سبع وأربعين وستمائة ، وأصله من برابر مَصْمودة .

وكان يباشر الأمور بنفسه ولا يركن إلى أحد ، وكان كثيراً ما يتستر بالليل ويخرج الأموال ويقصد مواضع الفقراء والأيتام ، وعمّ جميع المستحقين بالعطاء ، وكان الفقراء يدعون له بكل مكان ؛ وفي كل يوم يجلس في مجلس مخصوص وتحضر الأمراء والجند والوافدون ، ولا يأنف أن يتكلم في جليل الأمور وحقيرها ، ثم يُطعم الناس ، فإذا حضر وزير الأموال انقلب إلى مكان آخر مع مَنْ يشرفه بالحضور من الفضلاء من فقيه وأديب ومنجم وطبيب ، فإذا فرغ من هؤلاء دخل إلى داره واستراح إلى أذان العصر ، فيخرج إلى موضع آخر غير الموضعين الأولين يتفقد فيه الأمور الخاصة بقصره ، فإذا أذن المغرب دخل إلى ما هنأه به الله من اللذات . ولم يقطع صلاة الجمعة في الجامع ولا يخل بها ، ويجلس يوم السبت في القبة العظمى وحوله أقاربه وشيوخ دولته على مراتبهم ، وتقرأ عليه المظالم بحضرة القاضي وغيره ، ويجزم الحكم ويفصله ، وله في ذلك أخبار ظريفة :

ورفع إليه طائفة من الشعراء قصائد فوقع عليها بما رآه ، وكان منهم شاعر يعرف بابن المحظية ، وكان في قصيدته خطأ فوقع : يعطى أن قصيدته كذا وكذا ، فاستحسن البلغاء هذا منه .

وكان مرة أصابه ألم في عينيه ، فدخل إليه خواصه وفيهم شخص يلقب بالخرا ، فقال له وقد كلمه : يا مولانا أبصرتني ؟ فقال : لا بل شممتك .

ومات بالرعاف وهو نازل بعسكره على بونة آخرِ مدن إفريقية ،

= الترجمة فجأة ص ٦٣٣ من الجزء الثاني وتتمتها ص ٦٠٦ حيث ورد الكلام خطأ تحت اسم «النصير الأدفوي» .

رحمه الله . ومن شعره في الجوز :

تفضلْ بطعمٍ له ملبسٌ صلابةَ وجهِ لئيمٍ حكَى
إذا بزّ عن جسمه ثوبه أتاك كما يمضغ المصْطكى

وقال يصف الرمح من قصيدة ، وهو معنى غريب :

وأسمرَ غرٍّ شيّبَ النقعُ رأسَهُ ألا إنما بعد القشيب مشيبُ
مددتُ به كفي إليهم كأنه رِشَاءٌ ومن قلبِ الكميِّ قليب

وقال [1] :

أمالكَتَيْ قلب الكئيب تعطّفا بساكنتَيْ ربع الضلوع ترحّما
على هائمٍ أعياهُ حملُ غرامِهِ وأعقبه فرطُ الغرام تألما
فلم يبقِ فيه البينُ إلا تنفساً ولم يبقِ فيه الشوقُ إلا توهّما

٥٧٣

رشيد الدين العطار

يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج بن أبي الفتوح ، الإمام الحافظ المحدث رشيد الدين أبوالحسن القرشي الأموي النابلسي المصري المالكي العطار ؛ ولد سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وتوفي سنة اثنتين وستين وستمائة .

روى الكثير وأفاد وانتخب ، وكان ثقة ثبتاً عارفاً بفنّ الحديث، مليح الخطّ حسن التخريج ، انتهت إليه رياسة الحديث بالديار المصريّة [2] ،

١ لم ترد في المطبوعة .

٥٧٣ – الزركشي : ٣٤٥ والبدر السافر : ٢٣١ ونيل الابتهاج : ٣٥٤ والشذرات ٥ : ٣١١ وذيل مرآة الزمان ٢ : ٣١٤ وعبر الذهبي ٥ : ٢٧١ ؛ ولم ترد في المطبوعة .

٢ بعد الحافظ زكي الدين المنذري .

ووقف جملة كتبه . روى عنه الدمياطي واليونيني وقاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وخلق كثير .

وقال السراج الوراق يرثيه :

دمعي على الشيخ الرشيد مُرْسلُ وحزنُ قلبي أبداً مسلسلُ
بكى دماً جفني القريحُ بعـــده لو بالجريح يُفْتَدى المعلَّــل
أين إمامٌ في الحديث مثله تضرب آباطاً إليه الإبل
ذاد عن السنّة كلَّ مفترٍ به جُلِيْ الداجي وحُلّ المشكل
وكان في علم الرجال أوحداً بحيث قال العلم : هذا الرجل
أتقنهم معرفةً بقول ذا مستعملٌ وقول ذاك مهمل
ومن سوى العطار يدري سرّهم والناسُ منهم حَطَبٌ ومندل
يا جامعَ ابنِ العاصِ قد أوحشت من جــارك واستوحش صفٌّ أول
عهدي بصدرٍ لك منـــه حالياً قد عاد وهو بعده معطّل
لله ما ضمَّ الترابُ من حجًى يطيشُ رضوى عنده ويذبل
ومن عفافٍ وتقى وكيف لا والعلم أسٌّ لهما والعمل
إن ضجيعيَّ لحده لَسُنّةُ الـ ـهادي الشفيع والكتابُ المـــنزل
لمثل ذا فليعملِ القومُ إذا راموا العلا لمثل ذا فليعملوا
سقاك يا يحيى حيـــا مرتجز تحدو قطاريْهِ صباً وشمأل

٥٧٤

أبو جعفر العلوي

يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي ، أبو جعفر العلوي

٥٧٤ – التكملة لوفيات النقلة ومرآة الزمان : ٥٨١ والبداية والنهاية ١٣ : ٧٤ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة

البصري ؛ كان يتولى النقابة على الطالبيين بها . كان أعرف أهل زمانه بأنساب العباسيين والقرشيين وأنساب العرب وأيامها وأشعارها ؛ قدم بغداد مرات وأقام بها طويلاً ، ومدح الإمام الناصر ، وقرأ الناس عليه شعره ومن كتب الأدب والأنساب .

وكان مليح المجالسة حسن الأخلاق متواضعاً شريف النفس ديّناً ، ولم يرو شيئاً من الحديث ، وكانت به زمانة لا يستطيع أن يقوم على رجليه . توفي ببغداد في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة[1] وستمائة ، ومولده سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بالبصرة ، ومن شعره :

آليتُ أنيّ لا أُطيعُ عذولي وإن اشتملتُ على جوًى وغليل
وأرى السلوَّ عن الحبيب وإن جفا وأطال في الأعراضِ غيرَ جميل
شرعُ الهوى دارستُ فيه عصابة أخذوا برأي كثيّر وجميل
يا برقُ حيّ على العقيق محلــةً حالت وعهدُ الشوقِ غير محيل
شقّتْ عليها المعصراتُ جيوبها وبكت بدمعٍ لا يجفّ همـول
وكأنما وجدت بها لمّا عفَتْ وجدي فأعولتِ الرعودُ عويلي
لم يبقَ منها غيرُ أشعثَ دارسٍ مثلي على طول الزمانِ نحيل
ورماد أعشار إذا شبّهتَهُ فلقد أصبتَ بإثمدٍ منخول
فوددت من ولهي بــه وصبابتي لو بتُّ منه بناظرٍ مكحول
لا عهدها عندي وإن بَعُدَ المدى عافٍ ولا شكري لهـا بقليـل
فكأنها نعمُ الخليفة أحمد الـ أسد المخوفِ العارضِ المأمول

وقال أيضاً :

تشرينُ أقبل جامعاً أزهاره في نَصْرِ شوّالٍ ليطلبَ ثارَهُ
من شهر نُسْكٍ لا يزال يميتنا جوعاً ويمنعنا التقى إفطاره

[1] ص : عشر .

أهدى لنا تشرين زهرَ رياضه كرماً وفتح وسطها أزهاره
وأباحنا ، والله يجعل عمره عمر الزمان ، شميمه وثماره
وسرى على أيلولَ وهو مصمّمٌ والجوُّ ملتهبٌ فأطفأ ناره
فصلٌ تشابه فجره وعشاؤه وحكت صدورُ نهاره أسحاره
وعلى السماء قَبَاءُ غيمٍ أدكن سرتِ الشمالُ فحللتْ أزراره
وتراه ينثر من ذيولِ قبائه درّاً[1] أطال على الرياض نثاره
فاستجلها حمراء من يد أبيضٍ بالمسك خطَّ له الشبابُ عذاره
ممن يرى دينَ المسيح مهفهفٌ كالغصن يشبه خصره زنّاره
فالراحُ أختُ الروح إن مزجتْ بها وقضى الكريمُ فقد قضى أوطاره

٥٧٥
الصرصري

يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام ، جمال الدين الشيخ العلامة الزاهد الضرير ، أبو زكريا الصرصري البغدادي الحنبلي اللغوي الأديب الناظم ، صاحب المدائح النبوية السائرة في الآفاق ، لا أعلم شاعراً أكثر من مدائح النبي صلى الله عليه وسلم أشعر منه ، وشعره طبقة عالية . وكان فصيحاً بليغاً ، شعره يدخل في ثمان مجلدات ، وكله جيد[2] ؛

١ ص : درراً .

٥٧٥ — الزركشي : ٣٤٥ والبدر السافر : ٢٣٥ وذيل ابن رجب ٢ : ٢٦٢ ونكت الهميان : ٣٠٨ والشذرات ٥ : ٢٨٥ وذيل مرآة الزمان ١ : ٢٥٧ — ٣٣٢ وعبر الذهبي ٥ : ٢٣٧ والبداية والنهاية ١٣ : ٢١١ والنجوم الزاهرة ٧ : ٦٦ ومرآة الجنان ٤ : ١٤٧ ؛ والصرصري نسبة إلى صرصر وهي قرية قريبة من بغداد ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ ص : جيدا .

وله قصائد التزم في كل حرف منها طاء ، وأخرى في كلّ كلمة منها ضاد ، وأخرى في كل كلمة زاي ، وأخرى في كل بيت حروف المعجم ، وهذا دليل القدرة والاطلاع والتمكن .

ولد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وتوفي شهيداً في واقعة بغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : حكى لنا شيخنا ابن الدباهي ، وكان خالَ أمّه ، قال : دخل عليه التتار وكان ضريراً فطعن بعكازه بطن واحد فقتله ثم قتل شهيداً .

فمن شعره يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أوجهك أم ضوءُ الصباح تبلّجا ... أم البدرُ في برج الكمال جلا الدجى
أم الشمس يوم الصحو في برج سَعدها ... وفرعُك أم ليل المحب إذا سجا
وبرقٌ سرى أم نورُ ثغرك باسماً ... ونشرك أم مسكٌ ذكيٌّ تأرجا
أتتك جنود الحسنِ طوعاً بأسرها ... فصرت مليكاً في الجمال متوّجا
فأضحت أبيّاتُ القلوب أسيرةً ... لديك فلم يملكن عنك معرَّجا
فطوبى لعبـدٍ أنت سيده لقـد ... سما بين أرباب البصائر والحجى
فهل تجلب الأحلامُ لي منك نظرةً ... فتكشفَ بعضَ الهمّ عني وتفرجا
فقد نـال مني منعُ طيفك مثلما ... شجاني من البينِ المطوّح ما شجا
حثثنا إليك العيسَ حتى تبوّأت ... لديك مقيلاً ناضراً[1] الروض مبهجا
فما كان أدنى قربنا من بعادنا ... وأقربَ أفراحَ الفؤاد من الشجى
فلله قلبي يوم زُمّتْ ركابنا ... وفارقتُ ظلاً من جنابك سجسجا
رجوتُ بقرب الدار أن أطفىء الأسى ... فما زاد وقدُ الشوق إلا تأججا
فهل للركابِ القود نحوك مرجعٌ ... يجبن بنا وعراً ويطوين مدرجا

---

[1] ص : ناظر .

يحثحثها الحادي العجولُ مهجراً   إليك ويطوي شقة البيد مدلجا
يخوضُ بها آلَ الضحى فكأنمـــا   يخوضُ بها البحرَ الخضمَّ ملجّجا
إذا ما تعالت في الهواجر في السرى   تخال نعاماً في السباسب هُدّجا
عليها رجالٌ تشتكي ألم الجوى   كما تشتكي في سيرها ألمَ الوجى
لهم حنّةٌ عند الصباحِ وحنّةٌ   إليك إذا ما الليلُ غيهبُهُ دجا
يؤمّون ربعاً أفيحَ الجوّ زاهراً   أضاءَ بوجه منك أزهرَ أبلجا
حمى بك عنا كلَّ مظلمةٍ محا   وكلّ رجا منه ثمالٌ لمن رجا
رحيب الذرى غض القطاف لمن جنى   إذا ما نحاه من جنى عائذاً[1] نجا
إذا لجأ[2] العافي إليــه مؤمّلاً   جلا ضرّ معترَ إلى بابه لجـــا
إليك رسولَ الله أهدي مدائحي   فتكسب من ريّاك نشراً مؤرجا
وتلبسها أوصافك الزهر حلة الـ   بهاء وروضاً من حلاك مدبجا
أسوتَ بما بيّنت داء قلوبنا   كما كنت تأسو قبلُ أوساً وخزرجا
وكنت نبياً قبل آدم مرتجّى   لتفتحَ باباً للهداية مرتجا
فجئت ورسم الرشد بالغيّ مُنهَجٌ   فأوضحت فيه للبريّةْ منهجـــا
وشيدت أعلامَ الرشادِ مجــدّداً   وكنت كميّاً في الجهاد مدججا
وثقّفت سهمَ الدينِ حتى أقمته   وقد كان ملويَّ المغامز أعوجا
فأصبح وجه الحقّ أبلجَ ظاهراً   بنورك والبطلانُ أزورَ مُخدْدَجا
وأدخلك الرحمن بالصدق مُدْخلاً   خرجنا به من دارة الشركِ مخرجا
فيا خيرَ من زَمّ النياقَ لحجـــةٍ   وألجم خيلاً للجهاد وأسرجا
ومن إن أحاط الكربُ بالناسِ كلهم   فعاذوا به ألفوه عنهم مفرّجا
وإن صلي النارَ العصاةُ غداً غـــدا   لأمته من هوّة النار مُخْرِجا
أجرني فقد أصبحتُ في زمنٍ له   عُرامٌ لأهلِ الحلم أصبح مزعجا

١ ص : عائذاً .
٢ الزركشي : إذا ما لجا .

وقد أبلت السبعون بُرْدَ شبيبتي فأضحى بتكرار الأهلّة مُنهجا
وعنديَ حاجات بها الله عالمٌ أبيتُ بها من كارث الهمّ محرّجا
ولست أرى خلاً معيناً أبثّهُ شجوني فما أزدادُ إلا توهجا
وما ليَ في يوميَّ غيرك مسعدٌ إذا القلبُ للخطب الفظيع[1] تلجلجا
لأنك عند الله أنجح شافـعٍ لدفع الملمّاتِ الشدائد ترتجى
عليك سلامُ الله ما أظلم الدجى. وما فَلَقُ الصبحِ المنير تبلجا
وعم به أصحابَكَ الزهرَ ما سرى إلى ربعك السامي مشوقٌ وأدلجا

وقال أيضاً يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ذكر العقيقَ فهاجه تذكارُهُ صبٌّ عن الأحباب شطَّ مزارُهُ
وهفتْ إلى سَلْعٍ نوازعُ قلبه فتضرَّمتْ بين الجوانح ناره
كلفٌ برامةَ ما تألّق بارقٌ من نحوها إلا بدا إضماره
يشتاقُ واديها ولولا حبُّها لم يصبه وادٍ زهت أزهاره
شغفاً بمن ملك الفؤاد بأسره وبودّه أن لا يفك إساره
لولا هواه لما ثنى أعطافه بانُ الحجازِ ورندُهُ وعراره
يا من ثوى بين الجوانح والحشا منّي وإن بعدت عليّ دياره
عطفاً على قلبٍ بحبك هائمٍ إن لم تصله تصدعت أعشاره
وارحم كئيباً فيك يقضي نحبه أسفاً عليك وما انقضت أوطاره
لا يستفيقُ من الغرام وكلّما حجبوك عنه تهتكت أستاره
ما اعتاض عن سَمُرِ الحمى ظلاً ولا طابت بغير حديثكم أسماره
هل عائدٌ زمنٌ تضوّع نشره أرجاً ورقت بالرضى أسحاره
في مربعٍ بقباب سلع مونق بالأنس تهتف بالمنى أطياره
فاق البسيطةَ عزّةً ومهابةً فسما وعزَّ من البرية جاره

---

١ ص : الفضيع .

يحمي النزيلَ وكيف لا يحمي وقد حفت بجاه المصطفى أقطاره
أضحى ثرى عَرَصاتِهِ إذ حلَّها يشفي من الداءِ العضال غباره
سبحانَ من جمع المحاسنَ كلَّها فيه فتمَّ بهاؤه وفخاره
جُبِلَتْ على التشريفِ طينتُهُ فما نشأتْ على غير العلى أطواره
وصفت خلائقُهُ وطهر صدره فزكا وطاب أديمه ونجاره
حملته آمنةُ الحصانُ فلم تجدْ ثقلاً إلى أن حان منه بداره
ورأت قصورَ الشام حين تَشعشعت أنواره وتباشرت حُضّاره
وضعته مختوناً وأهوى ساجداً وكساه حسناً باهراً مختاره
لا بالطويل ولا القصير وإنْ مشى بين الطوال سمتهمُ أنواره
وإذا تكلَّلَ بالجمانِ جبينُهُ عرقاً لأمرٍ عظّمت أسراره
فَلَرَيحُهُ أذكى وأطيبُ مخبراً من ريح مسكٍ فضَّهُ عطّاره
وإذا بدا في حُلّةٍ يمنيّةٍ قد زان دائرَ طوقها أزراره
فالشمسُ بعد الصحو مشرقةُ السنا والبدرُ في فلك الكمال مداره
متقلّداً بالسيف ليس مبالياً بمن التقى عزَّتْ به أنصاره
حُلَلُ السكينةِ والثبات لباسه والبرُّ والإخلاصُ فيه شعاره
وضميره التقوى وأوتي حكمة فازداد منها عقله ووقاره
والصدقُ منه والوفاءُ طبيعةٌ والعفو والصفحُ الجميلُ دثاره
وشريعة الإسلام ملته وبا لحق المبين إلى الورى إظهاره
ختم النبوةَ فهو دُرّةُ تاجِها وطرازُ حلتها الثمين عباره
أبقى بسنته طريقاً واضحاً رحباً سواء ليله ونهاره
فخرت به خير القبائل هاشم وحوى به المجدَ الأثيل نزاره
زهرت نجوم السعد في بدرٍ به وتبلجت يوم الرضى أقماره
وشموسه في فتح مكة أشرقت فانجاب عن وجه العلاء قتاره
سعدت به أولاده ونساؤه وصحابه وزكت به أصهاره

وسمت به غلمانُهُ وإماؤهُ وجوادهُ وبعيره وحمساره
وحوى الفخارَ سريرُه وفراشه وخيامــه وقبابــه وجداره
وتضوّعت أردانُ بردتــه بــه طيباً وطاب رداؤه وإزاره
شهد الكتابُ الموسويّ بفضله وتحققتــه وأيقنت أخباره
هو شاهدٌ متوكل ومبشّرٌ هو منذر متَيقّنٌ إنذاره
أضحى لأمّيين حرزاً مانعــاً وضعت به عن وقته آصاره
بالشام دولته ومكة ربة الا محرمات مولده وطيبة داره
عجباً لذي لبٍّ رآه وكيف لم ينبتَّ عنه لوقته زنّــاره
يا من جلا قترَ الضلال ومن إذا ما أمّه العافي انجلى إقتاره
يا من تساوى في المكارم والندى كلتا يديه : يمينه ويساره
أنت المليُّ بكشف ضرٍّ مخلّف ذي عُسْرةٍ بندى يديك يساره
جعل الثناء على علاك شعارَه فحلَتْ به وتعطّرَتْ أشعاره
يرجو النجاة بفضل جاهك في غدٍ في موقف يخشى التّوى أبراره

وقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً :

بين العقيقِ وبين سلعٍ مَرْبَعُ للقلب فيه وللنوظرِ مرتعُ
عَطِرُ الثرى أرِجٌ كأنّ لطيمةً من مسك دارينٍ به تتضوّع
بدر السعادةِ كاملٌ بسمائه وببرجه شمسُ الحقائقِ تطلع
حلو الجنى عذبُ المواردِ عنده من كلِّ شربٍ معنويّ منبع
يا منزلاً فيه لأرباب الهوى مرأى يروق من الجمال ومسمع
ما بال وردك ماؤهُ يشفي الصدى وأنا المحبُّ وغلتي لا تنقع
لي فيك عهد هوىً قديم ليس للا عذالِ في الاقلاع عنه مطمع
لك أن تزيد على المدى يا جنتي عزاً ولي أني أذلُّ واخضع
لولا اذّكارك لم يهزّ معاطفي برقٌ على شُعَب الأبارقِ يلمع

ولما أرقت[1] وهاجَ شوقي في الضحى ورقاءُ في فَنَن الأراكةِ تسجع
وكذاك لولا سرُّ قصدك لم أكن ألتاعُ إن ذكر الغوير ولعلع
ويعرّض الحادي بجرعاء الحمى والسفح من وادي الأراك فأجزع
كلفي ببانات العقيق وإنما وجه اشتياقي بالحجاز مبرقع
عجباً لجسمٍ بالعراق مخلّفٍ وفؤاده مغرًى بطيبةَ مولع
ولكيف لا تَجِفُ الأضالع نحوها شوقاً وتُذْرَف في هواها الأدمع
وبها رسولُ الله خير مؤمَّلٍ تخدي الركابُ إلى حماه وتوضع
أزكى البريّة عنصراً وأعزّهم بيتاً وأولى بالفخار وأجمع
وأمدّ كفّاً بالندى وأتمهمْ حلماً وأصدق في المقال وأسرع
وأشدهم بأساً إذا التظت الوغى والسمهرية بالأسنّة تشرع
جُمِعَتْ له غُرُّ المناقب فهي كالـ عقد النظيم لديه لا تتوزع
هو صفوةُ الرحمن وهو حبيبه وله المقاماتُ التي لا تدفع
حلاّه من أنواره وكساه من أسنى المواهب حلةً لا تنزع
وجلاه في ملكوته وأباحه ما كان يطلبه سواه فيمنع
يا خيرَ مَنْ برأ المهيمنُ وارتضى لبلاغ حجّته التي لا تقطع
أشكو إليك وأنت تعلم فتنةً كادت لها الصمُّ الصِّلابُ تصَدَّع
فبمن أعزَّكَ واصطفاكَ فأجزلَ الـ نعمى عليك فحوضُ فضلك مترع
سلْ جبرَ أُمتك الكسيرةِ إنّه لم يبقَ في قوس التجلّد منزع
محقت طغاةُ التركِ أطرافَ القرى فالمالُ نهبٌ والمنازل بلقع
واشفع إلى الرحمن في غفران ما هذي عقوبته فأنت مشفع

وقال من قصيدة :

والمستهام عن المودة لم يحُلْ حاشا لذكراه من النسيانِ
لو قيل ما تهوى لقال مبادراً أهوى زيارتكم على أجفاني

---
[1] ص : رقت .

ويهزه طَرَبٌ إذا ذُكر الحمى | هزَّ الشمول شمائل النشوان
تالله إن سمح الزمانُ بقربكم | وحللتُ منكم بالمحلِّ الداني
لأقبلنّ لأجلكم ذاك الثرى | وأعفّر الخدين بالصوّان
يا خيرَ من وَخَدَتْ إليه نجيبةٌ | من كلِّ مرمًى نازح الأحضان
يطوي إليك بها السباسب ساهمٌ | بيد السمائم منهج الدرسان
يهفو إذا ذكر العقيق فؤادُهُ | ويبيت من سلع على أشجان
شوقاً إلى عرَصــات حضرتك التي | نسمتْ بنشرك أطيب النسمان
فيها لحزنٍ سلوةٌ ولخائفٍ | أمنٌ وللطلابِ نيلُ أماني
أشكو إليك تخلفي عن رفقةٍ | كانوا على الطاعات من أعواني
رحلوا وصدّتني الموانعُ عنــهمُ | فنكرتُ قلبي بعدهم وزماني
أصبحتُ في وقت كثير هرجه | متدارك الآفات والافتان
يمسي الفتى فيه يرومُ زيادةً | تُرضى فيصبح وهو في نقصان
فبمن كسا عطفيك أحسنَ حُلّةٍ | ليست على ملكٍ ولا إنسان
سَلْ فيّ ربّك أن يوفّقَ باطني | لرضاه في سرّي وفي إعلاني
قل ربِّ صلْ يحيى بن يوسف الـ | مقطوع عنك أُضَيْعِفَ العبدان
فلأنت أكرمُ شافعٍ علقتْ به | لمروّع يومَ النجاةِ يدان

وقال أيضاً :

أقِلْ عثراتي واعفُ يا حسنَ العفو | عن العمد من مسطورِ ذنبي والهفوِ
وصفِّ من الأكدارِ قلبيَ واهدني | من البرِّ والتقوى إلى المورد الصفو
فكم ليَ من سوءِ اجترّاحٍ نسيته | وأحصاه محروسُ الحفاظ من السّهو
شقيتُ به أيامَ أمرحُ في الصبا | وأسحبُ أذيالَ البطالة والزهو
فيا ملكاً زان السماءَ بأنجم | على الفلك الأعلى طفت أحسن الطفو
وسخّر ما بين السماء وأرضه | سحائب يخفو برقها أحسن الخفو

وأبقى على شمس النهار ضياءها وخصَّ بنقصٍ آيةَ الليل بالمحو
ولما دحا الأرضَ اقتداراً وحكمة على الماء أرسى الشمَّ في أثرِ الدحو
وأحيا بفضلٍ ميّتَ الأرض بالحيا وزيّنها من بعد ذلك بالصحو
أغثني بتوفيقٍ ينوّر باطني وينحو إلى الخيرات بي أحسن النحو
فإني مقرٌّ أنـك الله ربنـا تعاليتَ عن شرْكِ الطغاة أولي العدو
برأتَ جميعَ الكائنات بقدرة على غير أمثال تضاهى ولا حذو
تميت وتحيي والمقاديرُ كلّها بأمرك في مرِّ الصروف وفي الحلو
وأعددت جنّات النعيم لأهلها لترحمهم والنارَ أعددت للسطو
وأرسلتَ بالحقّ المبين محمداً أجلَّ الورى من حاضرين ومن بدو
وشرّفت فضلاً آله وصحابه فبعداً لقلبٍ من محبّتهم خلو
فلا تخْزني يـومَ الحسابِ ونجّني بفضلك من نارٍ تلظّى بلا خبو

وقال أيضاً :

يومٌ أراك به فلستُ أصومه فالعيدُ[1] عندي ثابتٌ تحريمهُ
ودجىً أماطَ لنا ثيابَ ظلامه بصباحِ وصلٍ منك كيف أقومه
لكنْ أرى فضلاً عليَّ معيّناً نظري إليك مع الزمانِ أُديمه
حتى أروّي من جمالك غلّتي وتزولَ أثقالُ الهوى وهمومه
فبنور وجهك ينجلي عني صدا قلبي ويحيا باللقاء رميمه
من لي بوصلك إنَّ وصْلكَ جنّتي ودوامَ هجرك للفؤادِ جحيمه
عالجتُ فيك من الغرام أمرّه وصبرتُ حتى قيل : ليس يرومه
وكتمتُ حتى غال حبُّك مهجتي واشتدَّ شيئاً في الهوى مكتومه
وسترتُ حتى نمّ دمعي بالهوى وأبرُّ دمعِ العاشقين نَمومه
فاعطفْ على قلبٍ ملكتَ زمامه أنت الشقاء له وأنت نعيمه

[1] ص : يوماً . . . فالعيد .

لولاك لم يُطِلِ العقيقُ تلفتي ولمّا شجاني بالغُوَيرِ نسيمه
ولربَّ خِلٍ قال لي وبدا له ما ليس يَجهَلُ في الهوى معلومه
ما لي أراكَ إلى الأبارقِ طامحاً أبداً سنا برقٍ فأنت تشيمه
وأرى شمائلك اعتراها نشوةٌ أسبَاك من نَفَسِ العرار شميمه
فأجبته إني لصبٌ شيقٌ بخفيٍّ وجدٍ والغرامُ غريمه
وَلَهٌ قديمٌ لا دواء لدائه وأرى الهوى يعيي الرجالَ قديمه
ومبكّرٍ يطوي جلابيبَ الفلا عجلاً[1] غدا لا يستقرُّ رسيمه
يهوي به في كلّ خرقٍ مهمهٍ فكأنه في جانبيه ظليمه[2]
يمسي ومعتلّ النسيم مدامه والنجمُ في أفق السماء نديمه
ناديتُهُ إن رمتَ نوراً مشرقاً تهديك إن حار الدليلُ نجومه
ومقيلَ أمنٍ واسعاً رحباً فَلُذْ بجناب من نفتِ الضلالَ علومه
ماحي الضلال الشاهدُ المتوكل الـ ضحاك أسنا من تغثّ كلومه
كنزُ الفضائل منزل التقوى الذي هو في المعاد إمامه وزعيمه
جُمعت له غُرَرُ النهى وتجدَّدت بهداهُ للدينِ الحنيفِ رسومه
وثوى بتربة أرضِهِ لما ثوى فيها الفخارُ خصوصه وعمومه
بابُ الهدى حصنُ النجاة محمدٌ طابت مناسبه وطاب أديمه
يا من لآدمَ بان سابقُ فضله وسما به في الحشرِ إبراهيمه
يا مَنْ له الحوضُ الرَّويْ وشفاعةٌ ينجو بها دَنِسُ الإهاب أثيمه
وصلتك من ربِّ السماء صلاته وأتاك منه على المدى تسليمه
من يستجيرُ بفضل جاهك لائذاً فمن الذي في العالمين يضيمه
فأجِرْ مروعاً من خطوب كيدها يعيا به في ذا الزمان حليمه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

---

١ ص : نجلا (دون اعجام للنون) .
٢ ص : طليمه .

لي بين سلعٍ والعقيق عهودُ يبلى الزمانُ وذكرهنّ جديدُ
أيامَ أرفلُ في جلابيب الصبا وعليّ من خِلَعِ الوصال برود
في مربعٍ رحبِ الجوانب للرضا والروحُ فيه طائراً غرّيد
حرمٌ به روضُ المعاني ناضرٌ[1] لذوي القلوب وظلّه ممدود
كلّ الليالي للمحبِّ بجوِّه ليلُ التمام وكلُّ يومٍ عيد
إنّ امرءاً يمسي ويصبح عاكفاً بجنابه العطرِ الثرى لسعيد
لولاه لم يعذبْ بخرق مسامعي ذكرُ العُذَيبِ ولم ترقه زَرُود
تدنيه بالآمال أحلامُ الكرى مني وإنّ مزاره لبعيد
وأظلُّ بالأشواقِ أطوي نحوه ما ليس تقطعه الركابُ القود
واهاً لأوقاتٍ صَفَتْ فكأنها في جيدِ أيام الزمان عقود
سلفتْ لنا بينَ القباب فهل لها كزماننا[2] الماضي عليَّ معيد
شوقي إلى من حلّها شوقٌ إذا نقص الودادُ على البعاد يزيد
إن متُّ من شَغَفي بها وصبابتي فقتيلُ أسيافِ الغرام شهيد
كيف اللقاءُ ودون من أحببته وعرُ الحجازِ ومن تهامةَ بيد
سقياً لربعٍ نازحٍ دانٍ حوى شرفاً على الآباد ليس يبيد
أقمار أفلاكِ الكمالِ منيرةٌ بسمائه ونجومهنّ سعود
برُباه روضُ المجدِ ليس مصوحاً[3] لمن اغتدى للمكرماتِ يرود
غيثُ المواهب والندى يهمي على أفنانِ غضٍّ نباتهِ ويجود
جُمِعَتْ له بمحمّدٍ غُرَرُ النهى وبه استقرّ النصرُ والتأييد
طودُ الفضائلِ فيه رأسٌ راسخُ الـ أركان والشمُّ الرعانُ تميد
فيه الجلالةُ والمهابةُ والهدى والبرُّ والتقوى وفيه الجود

١ ص : ناضرا .
٢ ص : لزماننا .
٣ ص : مصوح .

وعليه ألويةُ السنا معقودة حتى يلوحَ لواؤهُ المعقود
وحياض سنته هنيٌّ وِرْدُها حتى يهيّا حَوْضُهُ المورود
نعم الرسولُ بنوره الشرك انجلى عنا وصحَّ لنا به التوحيد
هو شاهدٌ متوكلٌ ولوصفه بين الكرام أولي النهى مشهود
يا خيرَ مَنْ وخد العذافرُ نحوه وسعتْ إليه من الفجاج وفود
يا من به أضحتْ قبائلُ هاشمٍ لأُسودِ أبطالِ الرجال تسود
لا زلتَ مخصوصاً بكلّ تحية منا عليها للقبول شهود
يأتي بها مَلَكٌ كريمٌ مُبْلِغٌ ما لا يطيق لـه البلاغَ بريد

وقال أيضاً :

رعى الله بالبطحاءِ أيامنا التي بدت كوميض البرق ثم تولّتِ
وحيّا قباباً بين سَلْعٍ إلى قُبَـا لعزّتها يحلو خضوعي وذلّتي
نعمتُ بها لكنْ كأحلامِ نائمٍ كأن لم تزرها العيسُ حتى استقلت
فلا ما مضى فيها من العيشِ عائدٌ ولا النفسُ عنها بالبعادِ تسلّت
فهل لي إلى تلك المعاهـدِ عودةٌ ولو دونها بيضُ الصوارم سُلّت
فألثم إجلالاً ثراهـا وأجتـلي شموسيَ في أرجائها وأهلّتي [1]
سقى الله ذاتَ الظلّ من دارة الحمى حياً نَهلتْ منه ثراه وعلّت
وسحّت على أعلامِ سلع مُرِنّةً غمائمُ بالنوءِ الرويّ استهلت
فتلك لعمر الله دارُ أحبّتي وسكانها نحو الرشاد أدلّتي
ألا ليت شعري هل أزورُ قبابَها فتحمد فيها العيسُ شدي ورحلتي
وأنشدُ في أكنافها متعرّضـاً لِمَنْ نَظْمُ مدحي فيه تاجي وحليتي
ألا يا رسولَ الله أنت وسيلتي إلى الله إن ضاقت بما رمتُ حيلتي
وأنت إذا ما حرتُ نوري وحجّتي وأنت إلى التقوى إمامي وقِبْلَتي

[1] ص : وأهلة .

وأنت نبيي باتباعك أهتدي ومِلّتُكَ الزهراءُ ديني وملّتي
وأنت نصيري في خطوبٍ تتابعت عليٌّ وذخري عند فقري وَعَيْلتي
وأنت الذي أرجوه يوم نشورنا يروّي الصدى مني وينقعُ غلّتي
فلا تخلني من حُسْنِ عطفك واسأل الـ مهيمنَ ربَّ العرشِ في سدّ خلتي
وكنْ ليَ في ذا اليوم ثُمّتَ في غدٍ شفيعاً إلى الرحمن في محو زلّتي
لئن[1] نوّر الرحمن قلبي بذكره غنيتُ بذاك النورِ عن نور مقلتي

وقال رحمه الله تعالى :

خطّ الربيعُ بأقلامِ التباشيرِ رسالةً كُتِبَتْ بالنَّوْرِ والنُّورِ
حيّا البقاعَ الحيا فاهتزَّ هامِدُها لمّا أتتها يدُ البشرى بمنشور
وانشقّتِ الأرضُ عن مكنون ما خبأت كأنما بَاكرتها نفخةُ الصور
وزيّنت بحليّ النبتِ وادرعت ملابسَ الفخر من وشي الأزاهير
والطلُّ في عبقريّ الروض منتشرٌ كلؤلؤٍ من عقودِ الغيدِ منثور
والبانُ قد ماس من نفح الصّبا طرباً كأن أغصانَهُ أعطافُ مخمور
والورقُ تهتفُ في الأوراقِ شاكرةً إحسانَ مبتدىء بالفضل مشكور
وقد فهمنا لهذا الفصل ترجمةً ان المهيمنَ يحيي كلَّ مقبور
يا طيب فصل الربيع المونق العطر الـ أرجاء لو كان لا يُدْهى بتغيير
يبيتُ فينا قليلاً ثم يتركنــا كزورةِ الطيفِ وافتْ ربعَ مهجور
أو عيشنا بالحمى في حسن رونقه ووشكِ بينٍ على الأحباب مقدور
هل الركابُ إلى البطحاء عائدةٌ يحثّها كلُّ رحبِ الباع شمّير
تمسي وتصبح في البيداء هاجرةً طيبَ الكرى عند إسحار وتبكير
حتى تحلَّ على علاتها بحمًى داني الظلال بِرَوْحِ الأمنِ معمور
فتجتلي البشرَ من ذات الستور به وتجتني تمر[2] حجرٍ غير محجور

---

[1] ص والزركشي : لأن .
[2] ص : ثمر .

هناك لا حجر في تقبيلنـــا حجراً ... يربي على المسك في لونٍ وتعطير

منها :

يا سيدي يا رسولَ الله يا أمـــلي ... في موبقاتِ تصاريف المقادير
جمعتَ ما في الكرام الزُّهرِ مفترقٌ ... وزدتَ فضلاً عظيماً غير محصور
فأنت سيدُ أهلِ الفضل أجمعَ في ... أصلٍ وفرع وتقديم وتأخير
بلغتَ من شرف المعراج مرتبةً ... توفّرَ القربُ فيها أيَّ توفير
ويومَ حشرِ الورى أنت الشفيعُ به ... تنجي من النار نفسَ الهالك البور
والفضلُ بعدك لم يدركه ذو طلبٍ ... في صحبك النّجُبِ الشوسِ المغاوير

وقال أيضاً :

شواهد قلب الصبّ لا تقبل الرشا ... فكيف قبولُ النصحِ من كاشحٍ وشى
أيأمر خلوٌ بالتصبّرِ مغرمـــاً ... وآنِسُ ربعِ الحبّ أصبح موحشا
أما في الهوى العذريّ عذرٌ لِشَيِّقٍ ... إذا لاح برقٌ من تهامة أجهشا
ويهتزّ من وجدٍ إذا نَفَسُ الصبّا ... سُحَيراً بأعطاف الخزامى[1] تحرشا
متى يردُ الماءَ النميرَ محلأً ... فينقعَ من ورد الصفا غُلّةَ الحشا
وينهلَ من ماءٍ بطيبةَ حائمٌ ... يروّي فؤاداً نحوها متعطشا
سقى حَرَمَيْ أرضِ الحجاز حياً روى ... ليحيَ ميتَ الحرّتين وينعشا
أتى ونباتُ الأرضِ بالجدب خاملٌ ... فدرّ له كاسُ الغمائمِ[2] فانتشا
فأضحتْ أزاهيرُ الرياضِ كأنها ... مطارفُ وشيٍ زانها صنع من وشى
إذا هينمت فيها النسيم تظنّها ... تحبّر في الغدران خطّاً مرقّشا
فثمّ لعمرُ الله أشرفُ دارةٍ ... إلى نارها طَرْفٌ لمستوقدٍ عشا
إذا أمّها ركبٌ وددتُ بأنني ... جعلتُ له خدي على الأرض مَفْرشا

١ ص : الخزاما .
٢ ص : الغمام .

أعظّمُ أخفافاً كرائمَ ترتمي   إلى الفاتحِ الختّام أكرمِ من مشى
محمدٍ المبعوثِ بالحقّ والـذي   لموسى وعيسى في الكتابين أدهشا
وحازَ من الرهبان سلمانُ وَصْفَهُ   فطاف عليه في البلاد وفتّشا
وفاز بما أبدى بحيرا وخـاب من   بظلمٍ على كتمان أوصافه ارتشى
فبورك حملاً واستوى الخير مرضعاً   وباء بأنواعِ الكرامةِ مُذ نَشا
ولاحت أماراتُ النبوةِ عنده   لذي نظرٍ ما شاب أوصافَه العشا
تبشبشَ وجهُ الأرضِ مذ حلّها كما   بطلعته وجهُ السماء تبشبشا
حباه بما يعلو من الوصفِ ربّهُ   وعلّمه من أشرفِ العلم ما يشا
وجاء بحقّ مستبينٍ نفى به   زخارفَ إفكٍ كان في الناس قد فشا
وجاهد حتّى شاد بالسيف رافعاً   من الدين ما أوهى الضلالَ وشوّشا
حوى الحسن والإحسان والحلمَ والتُّقى   فلم يكُ صخّاباً[1] ولا متفحّشا
ولا عابساً فظّاً غليظاً فلم يلم   حبوشاً على زفنٍ ولا عاب أنجشا[2]
حييٌّ جوادٌ زاهد متوكّل   فما اعتدَّ فضلاً من غداءٍ إلى عشا
شجاعٌ إذا ما الحربُ مدّتْ رواقها   وأسبلَ فيها النقعُ ليلاً فأغطشا
جلا كربها حتّى تبيّن أنـسه   لدى البأس منهم كان أقوى وأبطشا
له القمرُ انشقَّ امتثالاً لأمره   وَحَيّتْهُ جهراً ظبيةٌ فارقت رشا
شفاعتُهُ للناسِ عن طول حبسهم   كما من لظىً ينجي بها من تمحّشا[3]
وفي الحشر يسقي الناس من حوضه الروي   إذا كان كربُ الحشرِ للناس معطشا
واني لأرجوه إذا اغتالني الردى   وبُوّئْتُ في البيداء قبراً مُنَبّشا
وفي الموقف الصعب الشديد الذي به   تخال الجبالَ الصمَّ عهناً مُنَفّشا

١ ص : سخابا .
٢ الزفن : الرقص ، وقد شهد الرسول الحبش يزفنون فلم ينههم ؛ وأنجشة كان حادياً للإبل يتغنى بحدائه ، وهو الذي قال له الرسول : « رفقاً بالقوارير » في حجة الوداع .
٣ تمحش : تحرق .

يعطّر شعري ذكرُهُ فكأنمــا لشعريَ بالكافور والمسك قد حشا

وقال أيضاً وهي من المجانسات الأواخر :

سقى الله أرضَ الحمى وابلاً إذا حلّ في جوّها أمرعا
فثمَّ لنا بين أكنافِــــهِ حبيبٌ أأهملنا أم رعى
وحيّا بساحةِ وادي العقيق جناباً خصيبَ الربى أوسعا
نعمنا به زمناً لم نُبَلْ بمن همَّ كيداً بنا أو سعى
فلله سرٌّ بــــه مــــودَعٌ كساه الجلالةَ من أودعا
هناك المآربُ مقَضيّـــةٌ لمن رامها صامتاً أو دعا
فهل لي إلى ربعه عودةٌ أجوبُ الفلا أجرعاً أجرعا
فأجرعَ من مائه نهلــــةً رواءً ومن ليَ أن أجرعا
مواطنُ تجبر قلبَ الكسير وترفعُ ذا خفيةٍ أوضعا
فطوبى لمن نصّ في قصدها الركائب أو نحوها أوضعا

وقال أيضاً :

فيا ربّ قد عودتَ وجهي صيانةً وأهلي غنىً والقلبَ منك تعفّفا
فزدني وأهلي من صنيعك نعمةً تدومُ وصُنّي واكفِ يا خيرمن كفى
وصلني ولا تقطعْ بلطفٍ ورحمةٍ فلستُ أبالي إن وَصَلْتَ بمن جفا

وقال رحمه الله تعالى يذكر سيرة نفسه :

سلكتُ طريقَ الفقر ظناً بأنني أُضاهي جُنَيداً أو أناسبُ معروفا
وكنت أديباً قبل ذلك شاعراً أروقُ الورى نظماً ونثراً وتأليفا
فهمتُ أعاريضَ الخليلِ بن أحمدٍ وبرّزْتُ في نحوي قياساً وتصريفا
وباحثتُ في الفقه الأئمة برهــةً وأتقنتُ في القرآن همزاً وتخفيفا
وطارحتُ في علم الحساب فنلته وبيّنتُ في الألفاظ همزاً وتصحيفا
فصرتُ نديماً لا تُمَلُّ مجالسي حبيباً إلى أعيان عصري مألوفا

إلى أن ألمّتْ بي من الفضلِ نفحةٌ فأصبحتُ عن كلّ الشواغل مصروفا
وفارقتُ إخوانَ الصفا متجنبــاً وثَقّفْتُ نفسي في الرياضة تثقيفا
ودمتُ على حسنِ العبادةَ عاكفاً وأصبح حسنُ الظنّ حوليَ معكوفا
فأورثني عزاً لدى الناسِ عفتي فصرتُ بأفواه المحبّةِ مرشوفا
فلما أبتْ إلا النكاحَ خواطري تجشمتُ أمراً غادر الدمعَ مذروفا
ولم أرَ بداً من معاشرة الورى فعاشرتُ قوماً لا يغيثون ملهوفا
فأبغضني من كان منهم يحبني وأوسعني لوماً شديداً وتعنيفا
وأعرض عن ودّي حميمٌ وصاحب وأرجف فيَّ[1] الحاسدون الأراجيفاً
كأنّيَ قد أظهرتُ للناس بدعة وأحدثت للدين الحنيفيِّ تحريفا
على أنني لم أُبدِ للناسِ صفحتي وما زلتُ في ثوب الصيانة ملفوفا
فما صحَّ لي فقرٌ وما صحَّ لي غنىً بل ازددت في علم التقلّب تعريفا
وعدتُ أجيل الفكر فيمن أعده يكون به ما بي من الضيم[2] مكشوفا
فلم أر لي كالصالحين وسيلةً ألذّ الورى عَرفاً وأطيب معروفا
رجالٌ إذا ما طبّق الأرضَ حادثٌ رموه بصدقِ العزم فانجاب مكسوفا
أتتهم عليّاتُ الأمورِ مطيعةً وأضحى بهم قلبُ المكارم مشغوفا
هم القومُ لا يشقى الجليسُ لديهمُ ولم يعدموا العافين بشراً وتضييفا
هم العروةُ الوثقى وهم أنجمُ الهدى بهم يحفظ الله المهامهَ والسيفا
أعزّاءُ محروسُ الجناب فناؤهم تخطّف من ناواهم الذلُّ تخطيفا
إذا ظهروا للدهرِ أورقَ عودُهُ وأصبح مجنيَّ المحاسن مقطوفا
وإن هجروا المأنوسَ أصبح مقفراً وإن نزلوا بالقفر تحسبُهُ ريفا
إذا وُجدوا في الوقتِ كانوا طرازَهُ وقد طَرَّزوا من قبل ذاك التصانيفا
صفاتهمُ أسنى من الشمس في الضحى وأحسنُ من دَرّ المراسيل مصفوفا

---

١ ص : بي في .
٢ ص : الظيم .

وقال رحمه الله تعالى يعاتب نفسه :

يا قسوةَ القلب مالي حيلةٌ فيك ملكتِ قلبي فأضحى شرَّ مملوكِ
حجبتِ عني إفادات الخشوع فلا يشفيكِ ذكرٌ ولا وعظ يداويك
وما تماديك من كسب الذنوبِ ولـ كنّ الذنوب أراها من تماديك
لكن تماديك من كسبٍ نشأتِ به طعام سوء على ضعفي يقوّيك
وأنت يا نفسُ مأوى كلّ معضلةٍ وكلّ داءٍ بقلبي من عواديك
أنت الطليعةُ للشيطان في جسدي فليس يدخل إلا من نواحيك
لـــا فسحتِ بتوفير الحظوظ له أضحى مع الدم يجري في مجاريك
واليتـهِ بقبولِ الزُّورِ منكِ فلن يوالي اللهَ إلا من يعاديك
ما زلتِ في أسره تهوين موثقةً حتى تلفتِ فأعياني تلافيك
يا نفسُ توبي إلى الرحمن مخلصةً ثم استقيمي على عزم ينجّيك
واستدركي فارط الأوقات واجتهدي عساك بالصدقِ أن تمحي مساويك
واسعي إلى البرّ والتقوى مسارِعةً فربما شُكرت يوماً مساعيك
حبُّ التكاثـــرِ في الدنيا وزينتها هي التي عن طلابِ الخيرِ تلهيك
لا تكثري الحرصَ في تطلابها فلكم دم لها بسيوف الحرصِ مسفوك
بل اقنعي بكفافِ الرزقِ راضيةً فكلُّ ما جاز ما يكفيك يطغيك
ثم اذكري غصص الموت الفظيع يهَـُنْ عليك أكدارُ دنيا لا تصافيك
وظلمة القبرِ لا تنسيْ ووحشتَهُ عند انفرادك عن خلّ يوازيك
والصالحاتِ ليوم الفاقةِ ادّخري في موقفٍ ليس فيه من يواسيك
وأحسني الظنَّ بالرحمن مخلصةً فحسنُ ظنك بالرحمن يكفيك

وقال رحمه الله تعالى وقد عاتبه بعض إخوانه على انقطاعه عن زيارته :

سكونيَ في بيتي لقلبيَ راحةٌ وسترٌ من الله العظيم لحالي
أكفُّ عن الإخوانِ شرةَ عثرتي وأسلمُ من قيلٍ وكثرة قال

وأحيا عزيزاً لا أُرى متعرّضاً ورزقيَ يأتيني بغـير سؤال
وإن أنا زرتُ الناسَ فالناسُ فيهم نصيحٌ ومذّاقٌ وآخر قالي
وان انا أكثرت المقام فربما رمانيَ اخوان الصفا بملال
وقلبيَ كالمرآةِ إن صنتـه انجـلى وإلا فبالأنفاسِ محوُ صقالي

وقال رحمه الله تعالى :

أنا المذنفُ الجاني وجهليَ أجاني إليكم فألفاني مكباً[1] على الفاني
فهل يا عظيمَ الشانِ لي منك عطفةٌ فتصلح لي شاني وإن رَغِـمَ الشاني

وقال أيضاً :

ما بين بعدك والتداني يا مُنْيتي يفنى زماني
أحيا بقربك تارةً ويميتني بُعْدُ المغاني
ما دام لي منك النعيـ مُ ولا الضنا مني بفاني
أطمعتني حتّى إذا ملك الهوى طوعاً عناني
أبديت لي منك القلى أنّى وقد غلقت[2] رهاني
بجمالِ طلعتك التي أنوارها تحيي جناني
ومجالِ أمواه الحيا ةِ على جبينك كالجمان
وبلؤلؤ الثغر الذي يفترٌّ عن برقٍ يماني
أنعـمْ عليّ بنظرةٍ فيها الشفاءُ لما أعاني
ما لي بأثقال الهوى إن غبتَ عن عيني يدان

وقال رحمه الله وهي من المجانسات الأواخر :

أئمةَ أهلِ الحبّ ما القولُ في فتىً يرى حكمَ مَنْ يهواه من حكمه أولى
ويرضى بما يقضيه سراً وجهرةً فهل واجبٌ في شرعكم هجره أو لا

١ ص : مكب .
٢ ص : بلقت .

في مَنْ عن المحبوب ليس بصابرٍ   نهاراً فهل يقوى على بعده حولا
فهل شافعٌ بالوصل منه فلا قوًى   لقلبي بطول الصدّ منه ولا حولا
أعبرُ عن أنوارِ طلعةِ وجهه   ببرقٍ سرى من نحوِ كاظمةِ ليلا
وأكني بهندٍ عن هواه ولم أشمْ   وميضاً ولا أحببتُ هنداً ولا ليلى

وقال رحمه الله تعالى :

ذهب الشبابُ وخانني جَلَدي   وتمشتِ الأسقامُ في جسدي
ورمتنيَ الستونَ من عُمُري   فأصابَ رشقُ سهامها كبدي
أودى الحمامُ بمن أحبّ من الـ   ـغرّ الحسانِ ففُتَّ في عضدي
وبقيتُ مسلوبَ القرين بلا   عَدَدٍ أُسَرُّ به ولا عُدد
لله ما وارى الثرى وحوى   من والدٍ برٍّ ومن ولد
ومن ابن أمّ مشفقٍ حَدِبٍ   وخليلِ صدقٍ غيرِ ذي فنــد
كم عاينتْ عيناي من رجلٍ   عَلَمٍ لمرتفدٍ ومرتشد
شمسٌ إذا مــا المشكلاتُ دَجَتْ   غيثٌ ووجــهُ العامِ غير نــدي
كانوا الهداةَ لأهلِ وقتهمُ   سلكوا بهم في أوضح الجدد
وَمَضَوْا وقد خُلِّفْتُ بعــدهمُ   فرداً أعالجُ لوعةَ الكمد
يا ربّ فاختم لي بخاتمة الـ   ـحسنى وخذْ في شدّتي بيدي

وقال في بحر الذوبيت :

يا سامريّي الدجى بذات السَّمُرِ   هل عندكما لناشدٍ من خَــبرِ
كم يسألُ بالحمى ومن يخبره   عن سرّ هوًى يخفى على ذي نظر

من علّم ذا الحمام شدوَ الشجنِ   من هزَّ من الغرام عطفَ الغُصُنِ
من أيّ صبابةٍ حنينُ البُدُن   ما ذلك إلا لهوى مستتر

يا طالبَ بُرْءِ الدَّنِفِ المشتاقِ   هل عندك للديغ من دُرْياقِ

تا لله لقد أعجز رَقيَ الراقي مَنْ يسحرُ لبّهُ نسيمُ السحرِ

لله فتى مزّقَ ثوب السلوى ثم ادّرع الصبرَ لحملِ البلوى
ما أظهر من شدةِ وجدٍ شكوى قد باع لذاذةَ الكرى بالسهر

ما هزّ البرقُ سيفَه أو ضحكا إلا وتذكر الحمى ثم بكى
يقفو أثر الغرام أنّى سلكـــا إما المأمولُ أو ذهابُ العُمُر

قد لجج في بحرِ الهوى واقتحما واختار على الصحة فيه السقما
يرضى بقضاءِ الحبِّ فيما حكما إن جار عليه الحب أو لم يَجُرِ

يا أعظمَ منيّتي وأقصى أملي يا أشهرَ أدوائي وأخفى عللي
فيك اتسع الخرقُ وضاقت حيلي فاجبرْ بالوصلِ ما وهى من عُمُري

لا فزت مع الجمع بوادي جَمْعِ بالقصدِ وخانني وفيٌّ الدمع
إن لذَّ سوى حديثكـــم في سمعي أو راقَ جمالُ غيركم في بَصَري

قد كفَّ هواكمُ لساني ويدي كم أخضع للعدا وأنتم عددي
أنتم أصلُ القرحِ الذي في كبدي والبرءُ بأيديكم[١] وكشفُ الضرر[٢]

أنتم لغزي في كلّ [ما] أكنيه أنتم سرّ في باطني أُخفيه
أنتم معنى المعنى الذي أُبديه أنتم قصدي أشرتُ أو لم أُشِر

لم آتِ إلى الموسم كي أذكركم كالغائب ، بل أردت أن أنظركم
ما أصنع بالحجِّ إذا لم أركمْ أنتم حجي وأنتمُ مُعْتَمَري

ما قصدي في منًى وفي دوحتها إلا أرجٌ يفوحُ في ساحتها
تالله لقد شممتُ من نفحتها من نشركمُ ريًّا نسيمٍ عطر

---

١ ص : بأيدكم .
٢ ص : الضير .

لولا معنًى يلوح بين الخيَم ما عجتُ ولا وقفتُ عند العلم
لولا أنتم وحبكم في القدم ما سرتُ على الهول للثم الحجر

أخفيتُ إشاراتي عن العذّالِ بالرَّنْدِ وبانةِ الحمى والضال
لما قامتْ شواهدُ الأحوال أخفيتُ عباراتي عن المعتبر

دقّ المعنى فحار لبُّ الفهمِ في متّضحٍ عن الورى منعجم
كم قصَّر عنه من بعيد الهمم لا يُدْرَكُ[1] بالحسّ ووهم الفكر

٥٧٦
ابن أبي خالد الكاتب الاشبيلي

يزيد بن عبد الله بن أبي خالد اللخمي الإشبيلي ؛ قال ابن الأبار في « تحفة القادم » : هو صدرٌ من نبهاء إشبيلية وأدبائها ، وممن له قدر في منجبيها ونجبائها ، وإلى سلفه[2] ينسب المعقل المعروف بحجر أبي خالد ، وتوفي بها سنة اثنتي عشرة[3] وستمائة ، رحمه الله . وأورد له في فتح المهدية[4] :

كم غادر الشعراءُ من متردّم ذخرت عظائمه لخير معظم
تبعاً لمذخور الفتوح فإنها جاءت له بخوارق[5] لم تعلم
من كلّ سامية المنال إذا انتمت رفعت إلى اليرموك صوتَ المنتمي

---

١ ص : تدرك .
٥٧٦ – التحفة : ١٢٠ والزركشي: ٣٤٨ ونفح الطيب ٤ : ٤٥٥ ولم ترد الترجمة في المطبوعة.
٢ ص : سفله .
٣ ص : اثني عشر .
٤ كان فتح المهدية سنة ٦٠٢ .
٥ ص : بخوارى .

وتوسطت في النهروانِ بنسبةٍ كرمت ففازت بالمحلّ الأكرم

وأورد له أيضاً قوله :

ويا للجواري المنشآتِ وحسنها طوائرَ بين الماءِ والجوّ عوّما
إذا انتشرت في الجوّ أجنحةٌ لها رأيت به روضاً ونوراً مكمما
وإن لم تهجه الريحُ جاء مصافحاً فمدّت[1] له كفاً خضيباً ومعصما
مجاذفُ كالحيّاتِ مَدّتْ رؤوسها على وَجل في الماء كي ترويَ الظما
كما أسرعتْ عـدّاً أناملُ حاسبٍ بقبضٍ وبسطٍ يسبقُ العينَ والفما
هي الهدبُ في أجفان أكحلَ أوطفٍ فهل صبغت من عندم أو بكت دما

قال ابن الأبار : أجاد ما أراد في هذا الوصف وإن نظر إلى قول أبي عبد الله ابن الحداد يصف أصطول المعتصم بن صمادح :

هام صرفُ الردى بهام الأعادي أن سَمَتْ نحوهم لها أجيادُ
وتراءت بشركها[2] لعيونٍ دأبها ملء جانبيها سهاد
ذات هدبٍ من المجاذيف حاكَ هدبَ باك لدمعه إسعاد
حممٌ فوقها من البيض نارٌ كلُّ من أُرسلتْ عليه رماد
ومن الخطّ في يدي كلّ ذمر[3] ألف خطها على البحر صاد

قال : وما أحسن قول شيخنا أبي الحسن ابن حريق في هذا المعنى من قصيدة :

وكأنما سكن الأراقمُ جوفها من عهد نوح خشيةَ الطوفانِ
فإذا رأين الماءَ يطفحُ نضنضت من كل خرْتٍ حيةٌ بلسان

---

١ ص : فمرت

٢ التحفة والنفح : بشرعها .

٣ ص : دمر ؛ والتصويب عن التحفة .

قال : ولم يسبقهم إلى الإحسان وإن سبقهم بالزمان علي بن محمد الإيادي التونسي في قوله :

شرعوا جوانبها مجاذفَ أتعبت[1] شأوَ الرياح لها ولما تتعبِ
تنضاعُ[2] من كثبٍ كما نفر[3] القطا طوراً وتجتمع اجتماعَ الربرب
والبحرُ يجمع بينها فكأنّه ليلٌ يقرّبُ عقرباً من عقرب

ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع :

ولها جناحٌ يستعار يُطيرها[4] طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حَدَبَ[5] العباب مطاره في كل لجّ زاخرٍ معلولب
يتنزل الملاح منه ذؤابةً لو رام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراقة مُقعَدٍ للسمع إلا أنه لم يُشهَبِ[6]

وقال أبو عمر[7] القسطلي[8] :

وحال الموج بين بني سبيل يطير بهم إلى الغولِ[9] ابن ماءِ
أغرُّ له جناحٌ من صباحٍ يرفرفُ فوق جنحٍ من سماء

أخذه ابن خفاجة فقال[10] :

---

١ ص : أتبعت ، والتصويب عن التحفة .
٢ ص والتحفة : تنصاع .
٣ ص : نقر .
٤ ص : بطيرها ؛ والتصويب عن التحفة .
٥ ص : جذب .
٦ ص : يسهب .
٧ ص : عمرو .
٨ أبو عمر القسطلي هو ابن دراج ، انظر ديوانه : ٣٢٣ والنفح ٤ : ٥٨ .
٩ ص : القول .
١٠ ديوان ابن خفاجة : ١٣٨ والنفح ٤ : ٥٨ .

وجاريةٍ ركبتُ بها ظلاماً يطير من الصباح بها جناحُ

قال ابن الأبار : وقد عملت انا في ذلك :

يا حبذا منْ بنات الماء سابحة تطفو لما شبَّ أهلُ النارِ تطفئه

تطيرها الريح غرباناً بأجنحة الـ حمائم البيضِ للأشراك ترزؤه

من كلّ أدهم لا يلفى به جربٌ فما لراكبه بالقارِ يهنؤه

يدعى غراباً وللفتخاء سرعته وهو ابن ماءٍ وللشاهينِ جؤجؤه

٥٧٧

[يزيد بن عبد الملك]

يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي الدمشقي ؛ ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وله سبع [1] وثلاثون سنة ، وتوفي بأرض البلقاء ، وقيل بعمّان ، لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وله إحدى وأربعون سنة ، وكانت أيامه أربع سنين وشهراً .

وكان طويلاً جسيماً مدور الوجه ، لم يشب ، وكان شديد الكبر عاجزاً ، وهو صاحب حبابة وسلامة ، وهما جاريتان [2] شغف بهما ، وماتت حبابة

---

٥٧٧ – الوزراء والكتاب : ٥٦ وتاريخ الخميس ٢ : ٣١٨ ومرآة الجنان ١ : ٢٢٤ والنجوم الزاهرة ١ : ٢٥٥ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٥ وتاريخ الخلفاء : ٢٦٨ والروحي : ٢٥ والفخري : ١١٨ والطبري واليعقوبي والمسعودي والبلاذري والأغاني والعيون والحدائق؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ ص : سبعة .

٢ ص : جاريتين .

فمات بعدها بيسير أسفاً عليها ، ولما ماتت تركها أياماً لم يدفنها ، وعوتب في ذلك فدفنها ، وقيل إنه دفنها ثم نبشها بعد الدفن ؛ وكان يسمى يزيد الماجن .
ولما تولى الخلافة أقبل على الشرب والانهماك ، وكان يضع حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ثم يشرب إلى أن يسكر وتغنيانه فيطرب ويشق ما عليه ويقول : أطير ، أطير ؟! فيقولان : إلى من تترك الخلافة ؟ فيقول : إليكما .

ولما ولي الخلافة قالت له زوجته : هل بقي لك أمل بعد الخلافة ؟ قال : نعم ، أن تحصل في ملكي حبابة ، وفيها يقول :

أبلغ حبابة سقّى ربعها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكمُ وطرُ
إن سار صحبيَ لم أملك تذكركم أو عرّسوا بي فأنت الهم والفكر

فسكتت عنه ، وأنفذت تاجراً اشتراها بمال عظيم وأحضرتها له خلف ستارة وأمرتها بالغناء ، فلما سمعها اهتز وطرب وقال : هذا غناء أجد له في قلبي وقعاً فما الخبر ؟ فكشفت الستر وقالت : هذه حبابة وهذا غناؤها فدونك وإياها ، فغلبت على قلبه من ذلك ، ولم ينتفع به في الخلافة .

وقال في بعض أيام خلواته : الناس يقولون إنه[1] لم يصف لأحد يوم كامل ، وأنا أريد أن اكذبهم في ذلك ، ثم أقبل على لذاته وأمر أن يحجب عن سمعه وبصره كل ما يكره ، فبينما هو في صفو عيشه إذ تناولت حبابة حبة رمانة فشرقت بها فماتت ، فاختلّ عقله ، وتركها ثلاثة أيام لم يدفنها ثم دفنها ثم نبشها من قبرها ، وتحدث الناس في خلعه من الخلافة ، ولم يعش بعدها إلا خمسة عشر يوماً . وفيها يقول رحمهما الله تعالى وعفا عنهما :

فإن تسلُ عنك النفسُ أو تدعِ الهوى فباليأس تسلو عنكِ لا بالتجلّدِ[2]

---

١ ص : إن .
٢ البيت لكثير عزة ، ديوانه : ٤٣٥ .

٥٧٨

ابن صقلاب

يزيد بن محمد بن صقلاب ، أبو بكر الكاتب من أهل المرية ؛ قال ابن الأبار : كان غزلاً صاحب إبداع في قوله وأسجاع ، مع سراوة وسخاوة ، وكانت وفاته سنة تسع عشرة[1] وستمائة . وأورد له :

من الناس من يبقى[2] من اللؤم عرضُهُ ... وإن زانه ثوبٌ عليه جديدُ
ومنهم جواد النفس لو سيل نفسه ... لكان بها طلقَ الجبين يجود
فذاك الذي تبقى مآثر مجده ... وآثارها في العالمين شهود
فإن عاش فالآمال خالدةٌ به ... وإن مات فالأمداح فيه خلـــود

وقال أيضاً :

أما ورياضٍ من ضميرك ما درت ... غزارة بحرٍ لا ولا بنتَ راقمِ
ولا رقمت كفُّ الغمامةِ بُرْدَهَا ... وقد خلعت فيها جلودَ أراقم
فللخاطر السيّال فيها سحابة ... وللقلم الجاري بها كفّ راقم
لقد أنعمتني إذ تنسمتُ عرفها ... على رمقٍ لا يستلين[3] لناقم
وإن جاد يوماً بالرضى فهو مازجٌ ... على إثره شهد الرضى بالعلاقم
مسحتَ بها حرَّ الجوى عن جوانح ... حوت ضعفَ ما تحويه حرَّةُ واقم

٥٧٨ — الزركشي : ٣٤٨ والبدر السافر : ٢٣٦ وتحفة القادم : ١٢٧ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ ص : عشر .

٢ يبقى : لم يرد منها معجماً سوى القاف .

٣ ص : يستليق .

وقال أيضاً :

أنا صبّ وابن صبّ بالعوالي والمعالي
وبناني[1] وجناني بهما قد المعالي
فهما إن فسح الله مدى العمر معا لي

٥٧٩
الراضي ابن عباد

يزيد بن محمد بن عباد[2] ، الراضي ابن المعتمد بن عباد ؛ كان قد ولاه أبوه المعتمد الجزيرة الخضراء ومعقل رندة إلى أن غلبه الملثمون على الجزيرة ثم حصروه برندة فلم يقدروا عليها لحصانتها ، إلى أن حصل أبوه في أسرهم ، فحملوه على أن خاطبه[3] بالنزول إليهم اتباعاً لرضاه ، فنزل برأي أبيه وأخذ منهم عهداً وموثقاً ، فلما نزل إليهم ذبحوه .

وكان ناظماً ناثراً ، كتب إليه ابن عمار لما كان في حبس أبيه يسأله الشفاعة عند أبيه فأجاب : «ألانَ الله لك[4] قلباً صيّره غليظاً عليك ، وعطف عليك من غالبت فيه قوة الله وحوله بقوتك وحولك ، فجاذبته رداء ملكه ، وجهدت جهدك في نثر سلكه ؛ تعلم أن سيدي ومولاي المعتمد

---

١ ص : وبناتي .

٥٧٩ – الزركشي : ٣٤٨ وقلائد العقيان : ٣١ (وعنه نفح الطيب ٤ : ٢٤٩) والحلة السيراء ٢ : ٧٠ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ ص : عبد .

٣ ص : خاطبوه .

٤ كتبت هذه الكلمة في الهامش ولم يبق منها سوى الكاف .

ـ أيد الله سلطانه ـ إذا أصرم في شيء فلا يعارض :

ومن يسدّ طريقَ العارض الهطِل

وطلبتَ مني الشفاعة إليه فيك ، وأنا عنده دون أن أشفع ، وذنبك عنده فوق أن يشفع فيه ، وبعد : فمن بره الذي أوجب الله عليّ أن لا أوالي له عدواً ، ولا أعادي له وليّا :

ولا تبغِ من فرعٍ زكيّ مخالفـاً   لأصلٍ فإنّ الأصلَ يتبعه الفرعُ
أغض جفوني عنك ما غضّ جفنه   وإن كنت أطويها فينشرها الدمع
وأمنع صدري أن يلم بفكرة   وفيه لما تشكوه من ألم لذع

ومع هذا : فإني أبلغ النفس عذرها في استلطافه لك :

ومبلغُ نفسٍ عـُذْرَها مثل منجح

ومن شعره :

مرّوا بنا أُصُلا من غير ميعاد   فأوقدوا نار قلبي أيّ إيقادِ
لا غرو أن زاد في شوقي مرورهمُ   فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

وقال يخاطب أباه وقد نوّه بغيره من إخوته :

حنانَيْك إن يكن جرمي قبيحاً   فإن الصفحَ عن جرمي جميلُ
وإن عثرتْ بنـا قدمٌ سفاهاً   فإني من عثاري مستقيل
ألست بفرعك الزاكي ، وماذا   يرجي الفرعُ خانته الأصول

ووصل أبوه إلى لورقة لمحاربة العدوّ، وجهز إليه عسكراً وأمر ابنه الراضي أن يتقدم عليه ، فاعتذر وأظهر المرض ، فتقدم عليه المعتمد بنفسه ولاقى العدو فكانت الدائرة على المعتمد ، فحجب عنه وجه رضاه ، وكتب إليه بشعر منه :

المُلكُ في طيِّ الدفاتر فتخلَّ عن قود العساكرْ
طف بالسرير مسلّماً وارجع لتوديع المنابر
وازحف إلى جيش المعا رفِ[1] تقهرِ الحبر المناظر[2]
واضربْ بسكين الدوا ةِ مكان ماضي الحدّ باتر
واقعدْ فإنك طاعمٌ كاسٍ وقل هل من مفاخر

فأجابه الراضي بشعر منه :

مولاي قد أصبحتُ كافر بجميعِ ما تحوي الدفاترْ
وفللتُ سكين الدوا ةِ وظلتُ للأقلام كاسر
وعلمتُ أن الملك ما بين الأسنّةِ والبواتر
هبني أسأتُ كما ذكر تَ أما لهذا العتب آخر
هب زلّتي لبنوّتي واغفر فإن الله غافر

فقربه وصفح عنه .

٥٨٠

يزيد بن معاوية

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، أمير المؤمنين أبو خالد ؛ ولد سنة خمس أو سنة ست وعشرين

١ ص : المعازف .

٢ القلائد : المقامر .

٥٨٠ — البدء والتاريخ ٦ : ٦ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٠٠ والوزراء والكتاب (صفحات متفرقة) والطبري واليعقوبي والمسعودي وابن الأثير . . . الخ ، وانظر أيضاً الفخري : ١٠٥ والروحي ١٩ وتاريخ الخلفاء : ٢٢٤ .

للهجرة ، بويع له بدمشق في شهر رجب سنة ستين للهجرة ، وتوفي بدمشق لأربع عشرة[1] ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكان مدة ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر واثنين وعشرين يوماً ، وصلى عليه ابنه معاوية ، وسنّه ثماني وثلاثون[2] سنة .

وكان ضخماً آدم[3] سميناً مجدوراً ، وله ديوان لا يصح عنه منه إلا القليل ، وقد جمع ديوانه[4] الصاحب جمال الدين علي بن يوسف القفطي وأضاف إليه كل من اسمه يزيد .

وقال الشيخ شمس الدين الذهبي : لما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل ، وقتل الحسين رضي الله عنه واخوته ، واكثر من شرب الخمر وارتكب أشياء منكرة أبغضه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله تعالى في عمره .

سئل الكيا الهراسي[5] عن يزيد بن معاوية فقال إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في زمن عمر بن الخطاب ؛ وأما قول السلف ففيه قولان : تلويح وتصريح ، ولنا قول واحد : التصريح دون التلويح[6] ، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالشطرنج والنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر ؟ !

قيل إن معاوية في بعض الليالي أنهي إليه أن يزيد ولده يشرب، فأتى إليه ليوقع به فوجده يقول :

ألا إن أهنا العيش ما سمحت به صروف الليالي والحوادث نوّمُ

....

١ ص : عشر .

٢ ص : ثمانية وثلاثين .

٣ ص : آدما .

٤ ص : ديوان .

٥ تجد هذه الفتوى وفتوى الغزالي عند ابن خلكان ٣ : ٢٨٧ وما بعدها، وقد أوجز المؤلف في النقل.

٦ ص : التلويح دون التصريح .

فقال معاوية : والله لا كنت عليه في هذه الليلة من الحوادث ، ثم رجع من حيث أتى .

رجعنا إلى الأصل :

وكتب الكيا فصلاً طويلاً ثم قلب الورقة وكتب : [لو] مددت ببياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل ، وكتب فلان ابن فلان .

وقد أفتى الغزالي رحمه الله تعالى بخلاف ذلك ، فإنه سئل عمن صرّح بلعن يزيد : هل يحكم بفسقه ؟ فأجاب : لا يجوز لعن المسلم أصلاً ، ومن لعن مسلماً فهو الملعون ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم ليس بلعّان » ، وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم ، وقد ورد النهي عن ذلك ، وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ويزيد صحّ إسلامه ، وما صحّ قتله الحسين رضي الله عنه ولا أمْرُهُ ولا رضاه بذلك ، ومهما لم يصح ذلك منه لا يجوز أن يظن ذلك به ، فإن إساءة الظن بالمسلم حرام . وقد قال الله تعالى ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعضَ الظنّ إثم ﴾ (الحجرات : ١٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء . ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين أو رضي به فينبغي أن يعلم غاية حمقه[١] ، فإن من كان في عصره من الأكابر والوزراء والسلاطين لو أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله أو رضي به أو كرهه لم يقدر على ذلك ، وان كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشاهده ، فكيف لو كان في بلد بعيد وزمن بعيد وقد انقضى ، فكيف نعلم ذلك في ما انقضى عليه قريب من أربعمائة سنة في مكان بعيد ؟ وقد تطرق التعصّب في الواقعة فكثُرت فيها الأحاديث . فهذا أمر لا تعرف حقيقته أصلاً ، وإذا لم تعرف وجب إحسان الظن بكلّ

---

١ ابن خلكان : يعلم به غاية حماقة .

مسلم ، ومع هذا فلو ثبت على مسلم أنّه قتل مسلماً فمذهب أهل الحق أنّه ليس بكافر ، والقتل ليس بكفر بل هو معصية ، فإذا مات القاتل ربما مات بعد التوبة ، والكافر لو تاب من كفره لم تجز لعنته، فكيف بمن تاب عن قتل ؟ وكيف نعرف أن قاتل الحسين رضي الله عنه مات قبل التوبة ، ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ (الشورى : ٢٥) فإذن لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين ، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله عز وجل ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً بالإجماع ، بل لو لم يلعن ابليس طول عمره لا يقال له في القيامة : لم لم تلعن ابليس ، ويقال للاعن : لم لعنت ؟ ومن أين عرفت أنه ملعون مطرود ؟ والملعون هو المبعود من الله عز وجل ، وذلك عيب ولا يعرف إلا في من مات كافراً ، فإن ذلك علم بالشرع ، وأما الترّحم عليه فهو جائز ، بل هو مستحبّ ، بل هو داخل في قولنا كلّ صلاة : اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، فإنه كان مؤمناً ، والله أعلم ، كتبه الغزالي .

وحكى ابن القفطي أن يزيد كان له قرد يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ، ويقول : هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك منه ، وكان يحمله على أتان ، فحمله يوماً وجعل يقول :

تمسَّكْ أبا قيس بفضل عنانها ... فليس عليها إن هلكت ضمانُ
فقد سبقت خيلَ الجماعة كلّها ... وخيلَ أمير المؤمنين أتان

وجاء أبا قيس في ذلك اليوم ريح فمال ميتاً والأتان ، فحزن عليه وأمر بدفنه بعد أن كفنه ، وأمر أهل الشام أن يعزوه فيه وأنشأ يقول :

لم يبق قرم[1] كريم ذو محافظة ... إلا أتانا يعزّي في أبي قيس
شيخ العشيرة أمضاها وأحملها ... له المساعي مع القربوس والديس

[1] س : قرماً .

لا يبعد الله قبراً أنت ساكنُه	فيه الجمالُ وفيه لحيةُ التيس

ومن شعره :

شربتُ على الجوزاء كأساً رويّةً	وأخرى إذا الشعرى العبور استهلّتِ
معتقة كانت قريش تعافها	فلما استحلّوا دم عثمان حلت

ومنه :

أقول لصحب ضمتِ الكاسُ شملهم	وداعي صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيبٍ من نعيم ولذّةٍ	فكلٌّ وإن طال المدى يتصرَّم
ولا تتركوا يومَ السرور إلى غدٍ	فربّ غدٍ يأتي بما ليس يعلم
ألا إن أهنا العيش ما سمحت به	صروفُ الليالي والحوادثُ نوّم
لقد كادت الدنيا تقولُ لأهلها	خذوا لذةً ، لو أنها تتكلم
وسيارةٍ ضلوا[1] عن القصد بعدما	تداركهم جنحٌ من الليل مظلم
أناخوا على قومٍ ونحن عصابةٌ	وفينا فتىً من سكره يترنم
أضاءت لهم منّا على البعد قهوةٌ	كأن سناها ضوءُ نارٍ تضرَّم
إذا ما حسوناها أناخوا مطيَّهم	وإن مزجت حثوا الركاب ويمموا

وقال أيضاً :

ولقد طعنتُ الليلَ في أعجازه	بالكاس بين غطارفٍ كالأنجمِ
يتمايلون على النعيم كأنهم	قضبٌ من الهنديّ لم تتثلّم
ولقد شربناها بخاتَم ربها	بكراً وليس البكر مثلَ الأيّم
ولها سكونٌ في الإناء ودونه	شغبٌ يطوّح بالكميّ المعلم

وقال أيضاً :

ولي ولها إذا الكاسات دارت	رقى سحرٍ يحلُّ عرى الهمومِ

---
١ ص : ظلوا .

محادثة ألذّ من الأماني وبثّ جوًى أرق من النسيم

وقال أيضاً :

وساق أتاني والثريا كأنها قلائصُ قد أعنقن خلف فنيقِ
وناولني كأساً كأن بنانه مخلقةٌ من نورها بخلوق
وقال اغتنم من دهرنا غفلاتِه فعقدُ ودادِ الدهرِ غيرُ وثيق
وإنيَ من لذاتِ دهري لقانعٌ بحلو حديث أم بمرّ عتيق
هما ما هما لم يبق شيء سواهما حديث صديق أم عتيق رحيق
إذا شجها الساقي حسبت حبابها نجوماً[1] تبدت في سماء عقيق

ويقال إنه لما أتي برأس الحسين رضي الله عنه صاح بنات معاوية وعيالهم وسمعهم يزيد فذرفت عيناه وقال :

يا صيحةً تحمدُ من صوائح ما أهونَ الموتَ على النوائح

ثم قال : إذا قضى الله أمراً كان مفعولا ، كنا نرضى من أهل العراق بدون قتل الحسين . وعرض عليه في من عرض علي بن الحسين رضي الله عنهما فأراد قتله والأمنَ من غائلته ثم كفّ وارعوى وقال :

هممت بنفسي همةً لو فعلتها لكان قليلاً بعدها ما ألومها
ولكنني من عصبة أموية إذا هي زلّتْ أدركتها حلومها

ولما تحقق معاوية أن يزيد يشرب الخمر عزّ عليه ذلك وأنكر عليه وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر ، وإنك تقدر على بلوغ لذتك في ستر ؛ فتماسك عن الشرب ثم دعته نفسه لما اعتاده ، فجلس على شرابه ، فلما استخفه الخمر وداخله الطرب قال يشير إلى أبيه :

---

١ ص : نجوم .

أمن شربةٍ من ماءِ كرمٍ شربتُها غضبتَ عليَّ ؟ ! الآن طاب ليَ السكرُ
سأشربُ فاغضب لا رضيتَ ، كلاهما حبيب إلى قلبي : عقوقك والخمر

٥٨١
يزيد بن الوليد أمير المؤمنين

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ؛ لقّب الناقص لأنه نقص الناس من أعطائهم ، وقيل لقرب مدته ، وقيل غير ذلك . ويقال له : « المعتزليّ » و « الضال » . وكان أسمر حسن الوجه نحيف الجسم معتدل القدّ أعرج ، وقال المدائني [1] : ناقص الوركين ، ولذلك قيل له الناقص .

ولد في الكعبة سنة إحدى وتسعين للهجرة في حياة جده عبد الملك ، وبويع له بدمشق يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة [2] سنة ست وعشرين ومائة ، وله خمس وثلاثون سنة ، وكانت خلافته خمسة أشهر ويومين ، وتوفي في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، ونبشه مروان بن محمد وصلبه .

وكان أبلغ بني أمية ، بلغه عن مروان بن محمد أمر فكتب إليه : « أما بعد فإني رأيتك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت » ، فقال له مروان : أنا على لقاء العساكر أقوى مني على لقاء هؤلاء الكلمات ؛ ثم أذعن ودخل فيما دخل فيه الجماعة .

٥٨١ – أخباره في المصادر التاريخية كالطبري واليعقوبي والمسعودي وابن الأثير وابن خلدون . . . الخ ؛ وانظر البداية والنهاية ١٠ : ١١ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٢١ والنجوم الزاهرة ١ : ١٢٦ وتاريخ الاسلام للذهبي ٥ : ١٨٨ والوزراء والكتاب : ٦٩ وتاريخ الخلفاء : ٢٧٥ وخلاصة الذهب المسبوك : ٤٥ والروحي : ٢٧ والفخري : ١٢٢ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ ص : المدني .

٢ ص : الآخر .

ويزيد هذا هو أول من خرج بالسلاح في العيد ؛ يقال إنه مات بالطاعون ودفن بين باب الجابية والباب الصغير ، وصلى عليه أخوه ابراهيم ، رحمه الله تعالى .

٥٨٢
يعقوب النيسابوري

يعقوب بن أحمد بن محمد النيسابوري اللغوي الأديب الكردي ؛ توفي في شهر رمضان سنة أربع وسبعين وأربعمائة . قرأ الأصول على الحاكم أبي سعد ابن دوست ، وصحب الأمير أبا الفضل الميكالي ، ورأى العميد القهستاني ، وقرأ الحديث الكثير على المشايخ ، ونسخ الكتب بخطه الحسن ، وكان متواضعاً يخالط الأدباء وله نظم ونثر وتصانيف وفرائد ونكت وطرف .

وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وقال : إن له من الكتب كتاب « البلاغة » وكتاب « جونة الندّ » ، وأورد له من الشعر :

كم من كتابٍ قد تصفحتُهُ ... وقلت في ذهنيَ صححتُهُ
ثم إذا طالعته ثانياً ... رأيت تصحيفاً فأصلحته

ومن شعره :

حلاوة أيام الوصال شهيّةٌ ... ولكن ليالي الهجر أمررن طعمها
ولي كبدٌ حرّى ونفس عليلة ... كليم تولى كلمها البيضُ كالمها

وقال :

---

٥٨٢ — الزركشي : ٣٥٠ وبغية الوعاة : ٤١٨ (نقلا عن السياق لعبد الغافر) والبلغة : ٢٨٦ ودمية القصر : ١٩٠ (نشر الطباخ) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

وقالوا لي : أبو حسنٍ كريمُ فقلت الميم هاءٌ في العباره
وما بجلاله أرجوه لكن رأيت الكلب يرمى بالحجاره

وقال :

يرى الناس منه كالمسيح ابن مريم وفي ثوبه التمساح أو هو أغدرُ
أغركمُ منه تقلص ثوبه وذلك حَبٌّ دونه الفخُّ فاحذروا

٥٨٣
الخازن الشافعي

يعقوب بن سليمان بن داود ، أبو يوسف الخازن الإسفراييني ؛ سافر [إلى] العراق والشام وسكن بغداد ، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ، وكان خازن الكتب بالنظامية ، وهو فقيه فاضل حسن المعرفة بالأصول على مذهب الأشعري ، وله معرفة بالأدب ، وكان يكتب خطاً جيداً ، وصنف كتاب « المستظهري » في الإمامة وشرائط الخلافة والسير العادلة ، وكتاب « سير الخلفاء » و « محاسن الآداب » و « بدائع الأخبار وروائع الأشعار » وتوفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

إن الذي قسم المعيشة بيننا قد خصني بالسعي في الآفاقِ
متشتتاً لا أستقرُّ ببلـدة في كلِّ يوم أبتلى بفراق

ومنه :

....

٥٨٣ — الزركشي : ٣٥٠ وطبقات السبكي ٥ : ٣٥٩ والأسنوي ١ : ٩٦ وذكره السمعاني في الذيل ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

ألمَّ بنا وهناً فقال سلام خيالٌ لسلمى والرفاقُ نيامُ
ألمَّ وفي أجفانِ عيني وصارمي غراران نومٌ غالب وحسام
أجيراننا بالخيف سقّاكم الحيا مراضعَ درٍّ ما لهنّ فطام
ظعنتم فسلمتم إلى الوجد مهجتي كأن قلوب الظاعنين[1] سِلام

٥٨٤

أبو البشر البندنيجي

اليمان بن أبي اليمان ، أبو البشر البندنيجي ؛ أصله من الأعاجم من الدهاقين ، ولد أكمه لا يرى الدنيا في سنة مائتين ، وتوفي سنة أربع وثمانين ومائتين : نشأ بالبندنيجين[2] وحفظ هناك أدباً كثيراً وأشعاراً كثيرة ، قال : حفظت في مجلس واحد مائة وخمسين بيتاً من الشعر بغريبه . وخرج إلى بغداد وسرّ من رأى ولقي العلماء ، وقرأ على محمد بن زياد الأعرابي وسمع منه ، ولقي أبا نصر صاحب الأصمعي وهو ابن أخته .

وكان لأبي بشر ضياع كثيرة وبساتين خلفها أبوه فباعها وأنفقها في طلب العلم ، ولقي يعقوب ابن السكيت والزيادي والرياشي وقرأ عليهما من حفظه كتباً كثيرة .

ومن تصانيفه كتاب « معاني الشعر » . كتاب « العروض » . ومن شعره :

أنا اليمان بن أبي اليمان أشعر من أبصرت في العميانِ

. . . . . .

١ ص : الضاعنين .

٥٨٤ – الزركشي : ٣٥٠ ونكت الهميان : ٣١٢ وبغية الوعاة : ٤٢٠ ومعجم الادباء ٢٠ : ٥٦ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ البندنيجين : بلدة في طرف النهروان من ناحية الجبل كانت تعد من أعمال بغداد (ياقوت) .

إن تلقني تلقَ عظيم الشان تلاقني أفصحَ من سحبان
في العلم والحكمة والبيان

ومرَّ يوماً بباب الطاق فسمع صوت قمرية من حانوت خباز فبكى بكاء شديداً وقال لقائده : مل بي إليه ، فأقامه عليه فقال : يا خباز ، أتبيع هذه ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : بعشرة دراهم ، ففتح منديله فعدَّ له الدراهم ثم أخذ الحمامة فأطلقها وأنشأ يقول :

ناحت مطوقةٌ بباب الطاقِ فجرت سوابقُ دمعيَ المُهَراقِ
حنّتْ إلى أرضِ الحجاز بحرقةٍ تسبي فؤاد الهائم المشتاق
تعس الفراق وجذّ حبل وتينه وسقاه من سم الأساود ساقي
يا ويحه ما باله قمريـــة لم تدرِ ما بغدادُ في الآفاق
كانت تفرخ في الأراك وربما كانت تفرّخ في فروع الساق
فأتى الفراقُ بها العراقَ فأصبحت بعد الأراك تنوح في الأسواق
إني سمعت حنينها فابتعتها وعلى الحمامة جدت بالإطلاق
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي من فكَّ أسرك أن يفك وثاقي

ومن شعره :

فديوان الضِّياع بفتح ضادٍ وديوانُ الخراجِ بغير جيمِ
إذا وليَ ابنُ عباسٍ وموسى فما أمرُ الإمامِ بمستقيم

٥٨٥
الحافظ اليغموري

يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد ، الحافظ جمال الدين اليغموري أبو المحاسن الأسدي الدمشقي ؛ ولد في حدود الستمائة ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، سمع الكثير بدمشق والموصل ومصر والإسكندرية ، وعني بالحديث وتعب وحصل وكتب الكثير من الحديث والأدب ، وكان له فهم ومعرفة وإتقان ومشاركة في الآداب والتواريخ ، وله مجاميع حسنة . وتوفي عند شهاب الدين ابن يغمور ، وكان يصحب والده .

كتب شهاب الدين ابن الخيمي إلى الحافظ اليغموري ، وكانا أرمدين :

أبثُّكَ يا خليلي أنّ عيني غَدَتْ رمداءَ تجري مثل عَيْنِ
حديثٌ أنت تعرفه يقيناً لأنك قد رمدت وأنت عيني

فأجاب الحافظ :

كفاك الله ما تشكو وحيّا محاسنَ مقلتيك بكلّ زينِ
فاني من شفائك ذو يقين لأنك قد شفيت وأنت عيني

ومن شعر الحافظ :

رجع الودُّ على رغم الأعادي وأتى الوصل على وفق المرادِ

٥٨٥ — الزركشي : ٣٥١ والبدر السافر : ٢٣٧ وقال فيه : « صحب الأمير ابن يغمور ولازمه فقيل له اليغموري ، وينعت بالحافظ ، سمع الكثير من أحمد بن سلمان بن الأصفر ومسمار بن العويس وجماعة » ووفاته على التحديد بالمحلة ليلة الاربعاء حادي عشرين شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٧ ؛ وانظر النجوم الزاهرة ٧ : ٢٤٧ وذكر أنه يعرف بـ « ابن الطحان » وهو تكريتي الجد موصلي الأب دمشقي المولد محلي الوفاة ؛ وانظر أيضاً ابن خلكان ٦ : ٢٥٠ ومقدمة نور القبس ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

ما على الأيام ذمّ بعدهـــا كفّر القربُ إساءات البعاد

وقال :

أنا مرآةٌ فان أبصرتـــمُ حَسَناً أنتم بها ذاك الحسنْ

أو تروا ما ليس يرضيكم فقد صدئت أنْ لم تروها من زمن

٥٨٦
علم الدين القناوي

يوسف بن أحمد بن إبراهيم ، علم الدين الخطيب القناوي الشافعي الأديب ؛ كان من الرؤساء الأعيان الكرماء الأجواد الأذكياء ، وكانت له معرفة جيدة بحلّ الألغاز ونظم منها أشياء كثيرة ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، رحمه الله .

وله لغز في « لابس »[1] ، البيت الثاني منه :

يبينُ إن صُحِّفَ مع قولِ لا وهو إذا صحفته « لايبين »

وله لغز في مغني :

ما اسم إذا عكسته يطربُ إن سمعتــه

يُنْعِمُ بالوصل متى صحّف ما عكستــه

وله لغز في زغل :

وما لغزٌ إذا فتشت شعري تراه مسطّراً فيه مسمّى

٥٨٦ ــ الزركشي : ٣٥١ والدرر الكامنة ٥ : ٢٢١ والطالع السعيد : ٧١٥ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ ص : لانس .

وإن تعكسه كان من التحري إذا حققته في البير يرمي
وفاعله إذا نمّوا عليـــه فيخشى أن تزل يداه حتما

٥٨٧
الحافظ ابن بكار

يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن بن مفرج بن بكار ، الحافظ المفيد الإمام السيد شرف الدين النابلسي الأصل الدمشقي الشافعي ؛ ولد سنة ثلاث وستمائة ، وتوفي سنة إحدى وسبعين وستمائة . سمع من ابن البن وغيره ، ورحل وعني [١] بهذا الشان ، ونسخ بنفسه وبالأجرة ، وخطه طريقة مشهورة حلوة ، وخرج لنفسه « الموافقات » في خمسة أجزاء ، وحدث بدمشق والإسكندرية والقاهرة ؛ روى عنه الدمياطي وابن الخبّاز [٢] وابن العطار والكندي ، وكان ثقة حافظاً متقناً جيد المذاكرة جيد النظم حسن الديانة ذا عقل ووقار ، ولي مشيخة دار الحديث النورية بدمشق .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

بحقّ خضوعي في الهوى وتملقي وفيضِ دموعي والضنا وتقلّقي
وشدةِ وجدي والغرام ولوعتي وفرطِ هيامي فيكمُ وتمزّقي

---

٥٨٧ — الزركشي : ٣٥١ وعبر الذهبي ٥ : ٢٩٧ وتذكرة الحفاظ : ١٤٦٢ والشذرات ٥ : ٣٣٥ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٣٩ والدارس ١ : ١١٠ ومرآة الجنان ٤ : ١٧٢ والسلامي : ٢٣٥ ؛ وقد ورد اسمه في أكثر المصادر « يوسف بن الحسن » وفي ص والزركشي يوسف بن الحسين ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : وعين .

٢ ص : الجنار .

بعزكمُ يا سادتي بتذلّلي بعظم حنيني نحوكم وتشوقي
بوقفتنا يوم اجتمعنا برامةٍ على يمنة الوادي ، بعهدي بموثقي
أجيروا فؤادي من جفاكم وأسعفوا بقربٍ ولا تصغوا لزورٍ منمّق
أتاكم به الواشي وما خلت أنه غداة سعى بي عندكم بمصدّق
تعلقكم قلبي قديماً من الصبا وما حالَ عن ذاك الهوى والتعلق
وها هو يرجو أن يراكم لعلّه يبثكمُ ماذا لقي حين نلتقي

وقال :

سلوا عذبات الرندِ أو نسمة الصَّبا إلى غيركم هل مال قلبيَ أو صبا
فعندهما أخبارُ كلِّ متيمٍ محبّ لكم ما حال من زمن الصبا
يحنّ إليكم كلما لاح بارقٌ ويشتاقكم يا ساكني ذلك الخبا
ويرتاح نحو المنحنى وطويلعٍ ويهفو إلى تلك المعالم والربى

وقال أيضاً :

رأى البرق نجدياً فجنّ بمن يهوى ولاحتْ له نارٌ فحنّ إلى حُزْوى
وهبّتْ له من جانب الغور نفحةٌ أتته بريّا ساكني السفح من رضوى
محبٌّ لهم مغرًى بهم كلفٌ جوٍ إلى اللوم فيهم ما أصاخ ولا ألوى
يناجي نسيمَ الصبح عند هبوبه بأخبارِ ذاك الحيّ يا طيبَها نجوى
ويشكو إليه ما يلاقي من الهوى كذا كلُّ صبٍّ يستريحُ إلى الشكوى
فيا راحةَ الروح التي شغفت بهم ويا منتهى المطلوب والغايةَ القصوى
رويتم حديث الصدّ عال مسلسل[1] فلمْ ذا أحاديثُ التواصل لا تروى
مرابعُ ذكراكم بقلبي أواهلٌ ومغنى التسلي عن محبتكم أقوى
أرى كلّ خلقٍ يدعيكم وينتمي إليكم ولكن من تصحّ له الدعوى
سلامٌ على أهلِ الغرام جميعهم وخفف عنهم ما يلاقوا من البلوى[2]

---

١ الزركشي : مسلسلا . ٢ الصواب : ما يلاقون من بلوى .

عذابُ الهوى مستَعذبٌ عند أهله   وغلتهم فيه مدى الدهر لا تروى
سكارى وما دارت على القوم خمرةٌ   سوى أن خمر الحبّ طرّحهم نشوى

وقال أيضاً :

أُهيلَ الحمى والنازلين برامةٍ   ومن حلّ تلك الدارَ بالأجرع الفردِ
أحنّ إليكم كلَّ حينٍ ولحظـةٍ   وتطلبكم عيني وإن كنتمُ عندي
وفي القلبِ ما فيه من الشوق والجوى   سلامٌ على نجد ومن حلَّ في نجد
وأذكركم والدارُ قد نزحت بنا   فأسْبِلُ دمعي كالجمانِ على خدي
فيا أهلَ ذيّاك الحمى وحياتكم   يمينَ وفيٍّ لا يحول عن العهد
هوايَ الهوى المعهودُ ليس بزائلٍ   وان بعدتداري، ووجدي بكم وجدي
مقيمٌ على رعي العهودِ وحفظها   فيا ليت علمي كيف حالكمُ بعدي
تُرى بعد هذا البعد يُرْجَى لقاؤنا   ويجمعنا ظلٌّ لدى البان والرند
وأشرح ما قاسيته ولقيتـــه   فيا نيلَ آمالي بذاك ويا سعدي

وقال أيضاً :

شفيعي إليكم ذلّتي وخضوعي   وفرطُ غرامي فيكمُ وولوعي
وشدةُ أشواقي إليكم وحرقتي   عليكم وأنفاسي وفيضُ دموعي
جنابكمُ لي موطنٌ وحماكمُ   ملاذٌ وأنتم مفزعي ونزوعي
تقضّى زماني في هواكم فلا أرى   سواكم إليه موئلي ورجوعي

وقال أيضاً :

سلامٌ عليكم شطّتِ الدار بيننا   على أنّ ذكراكم قريبٌ إلى قلبي
إذا العينُ لم تلقاكم [وتراكم] [1]   ففكريَ يلقاكم على البعد والقرب

---

[1] بياض في ص ، وأكملته من الزركشي .

٥٨٨

جمال الدين الشاعر

يوسف بن سليمان بن أبي الحسين[١] بن إبراهيم ، الفقيه الأديب الشاعر الخطيب الصوفي الشافعي ، جمال الدين ؛ سألته عن مولده فقال لي : سنة ثلاث وتسعين وستمائة بنابلس ، ونشأ بدمشق وقرأ بها الأدب على الشيخ تاج الدين اليمني والنحو على الشيخ نجم الدين القحفازي وغيره . وحجَّ سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ثم حج في سنة سبع وأربعين وسبعمائة عقيب موت ولده سليمان ، فانه حصل له عليه وجد عظيم وألم كثير فما رأى لنفسه دواء غير الحج .

وهو شاعر مجيد في المقاطيع يجيد نظمها ومعناها ، وله بديهة مطاوعة وارتجال مسرع ، لذيذ المفاكهة جميل الودّ حسن الملقى ؛ توفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعمائة [ولم] ينقطع[٢] غير يومٍ واحدٍ .

أنشدني لنفسه :

أسرَ الفؤادَ ودمعَ عيني أطلقا ... والوجدُ جدده وصبريَ مزّقا

حلوُ الشمائلِ ما أمرَّ صدودَهُ ... متنعمٌ قد لذَّ لي فيه الشقا

كملت محاسنُهُ فلو أهدى السنا ... للبدر عند كماله ما أشرقا

يا عاذلي أقْصِرْ وتبْ عما مضى ... ما أنت في عَذْلِ المحبِّ موفقا

يا فاتر الأجفانِ أحرقتَ الحشا ... مني فمتٌّ صبابةً وتشوقا

يمضي الزمانُ وما أزورُ دياركم ... من خشيةِ الرقباءِ عند الملتقى

٥٨٨ — الزركشي : ٣٥٢ والدرر الكامنة ٥ : ٢٢٩ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ الزركشي والدرر : الحسن .

٢ ينقطع : كتبت في الحاشية ، وما قبلها مطموس .

وأريد أسبحُ في الدموع عليكمُ فأخافُ من ضعف القوى أن أغرقا
أما غرامي في هواك فانــــه حيٌّ ولكنْ في السلوّ لك البقا

وله رحمه الله تعالى موشح :

زائرٌ بالخيـــالْ زائلٌ عن قربي
باهرٌ بالجمـــالْ ناهرٌ بالعجب

أيّ غصنٍ نضيرْ نزهـــةٌ للنظر
لحظ عيني خفير منه ورد الخفر
يا له من غرير في هواه غرر

ساحرٌ بالدلال ساحر بالصبّ
فائقٌ في الكمال لائـــق بالحب

بشذا المسكِ فاحْ ثغرُ هذا الغزالْ
باسمٌ عن أقاح أو فريد اللآل
ردّ نور الصباح كظلام الليـــال

ريقه حين جال في لماه العذب
صرتُ بين الزلال والهوى في كرب

ذو قوامٍ رطيبْ منه تجنى الحرق
رام ظلم القضيب فاشتكى بالورق
فتثنّى الحبيب ورنـــا بالحدق

سلّ بيضَ النصال من سواد الهدبِ
والعوالي أمال بالقوام الرطب

لو رأته القسوسْ حَسِبَتْهُ المسيحْ

وهو يحيى النفوسْ بالكلام الفصيح
ما تبين الشموس عند هذا المليح
خلِّ عنك الغزالْ يرتعي في الكُثْبِ
ثم قلْ للهلال يحتجبْ بالغرب
ثغره في بريقْ إذ جلاه بـريق
كلّ حرٍّ رقيق للـماهُ الرقيق
خـــده والشقيق ذا لهذا شقيق
قد بدا فيه خالْ كسوادِ القلب
إذ غدا في اشتعال فوقَ نار الحب
ما لصبٍّ صبا في هواه نصيب
منه قبل الصبا قد علاني المشيب
يا نسيم الصَّبا جُزْ بأرض الحبيب
واجتهد أن تنال منه طيبَ القرب
ثم عُدْ بالنوال من هدايا حِبّي
جائرٌ قد ظهر عدله في القوام
في الوجود اشتهر مثل بدر التمام
فيه يحلو السهر ويمرّ المنـــام
صدّ تيهاً وقال وهو يبغي حربي
لحظ عيني نبال[1] قلت آه وا قلبي

وقال في صفة فرس أدهم :

وأدهمِ اللونِ فاتَ البرقَ وانتظره فغارت الريحُ حتى غيبتْ أثرَهْ

---

[1] ص : ينال ، والتصويب عن الزركشي .

فواضعٌ رِجْلَهُ حيث انتهت يدُهُ ... وواضعٌ يده أنّى رمى بصره
سهمٌ تراه يحاكي السهمَ منطلقاً ... وما له غرضٌ مستوقف خبره
إذا توقّلَ قطبُ الدين صهوته ... أبصرتَ ليلاً بهيماً حاملاً قمره

وقال أيضاً :

قد مضتْ ليلةُ الوصالِ بحال ... قصرت عن محصّل الأزمانِ
أخبرتنا أن الزمانَ جميعـــاً ... قد تقضى في ليلة الهجران

وقال :

يعيبون من أهوى بكسرةِ جفْنه ... وعندي بهذا[1] العيب قد تم حُسْنُه
فقلت وما قصدي سوى سيف لحظه ... إذا دام فتكُ السيفِ يكسر جفنه

وقال في دولاب الصاحب شمس الدين :

ودولابٍ يحنّ بجسٍّ عـــودٍ ... على وترٍ يساسُ بغير حسٍّ
فلما أن بدت منه نجومٌ ... حكى فلكاً يدورُ بسعد شمس

وقال أيضاً في زهر الخشخاش :

ونوّار خشخاش بكرنا نزورُهُ ... وقد دهش الرائي بحسنِ صنوفِـهِ
تغنى به الشحرورُ من فَرطِ شجوه ... فنقّطَ بالياقوتِ ملءَ دفوفه

وقال :

كأن السحابَ الغرَّ لما تجمعتْ ... وقد فرقت عنها الهموم بجمعها
نياقٌ ووجه الأرض قعبٌ وثلجها ... حليبٌ ومرُّ الريح حالب ضرعها

وقال :

كأنّ ضوءَ البدر لما بدا ... ونوره بين غضونِ[2] الغصونْ

[1] ص : هذا .
[2] ص : غصون .

وجهُ حبيبٍ زار عشّاقَهُ فاعترضتْ من دونه الكاشحون

فقال زين الدين الصفدي رحمه الله تعالى :

نظرتُ في الشهبِ وقد أحدقتْ بالبدر منها في الدياجي عيونْ
والروضُ يستحلي سنا نوره فتحسدُ الأرض عليه الغصون
وكلما صانته أوراقهـــا نازعها الريحُ فلاحَ المصون
فقلت حتى البدرُ لم يُخْلِهِ ريبُ الليالي في السما من عيون

ونظم الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى :

كأنّما الأغصانُ لما انثنت أمامَ بدر التمّ في غيهبِهْ
بنتُ مليحٍ خلفَ شباكها تفرَّجتْ منه على موكبه

ونظم أيضاً :

وكأنما الأغصانُ يثنيها الصَّبا والبدرُ من خللٍ يلوحُ ويحجبُ
حسناءُ قد عامتْ وأرخت شعرها في لجة والموج فيها يلعب

وكتب الشيخ صلاح الدين الصفدي إلى جمال الدين المذكور ملغزاً في مكوك الحائك :

أيا مَنْ فاق في الآداب حتى أقرَّ بفضله الجمُّ الغفيرُ
وأحرزَ في المنى قصباتِ سبقٍ فدونَ محلّه الفلكُ الأثير
وأطلع في سماء النظم زهراً يلوحُ فَمَنْ زهيرٌ أو جرير
قطعتَ أولي النهى والفضل بحثاً فمالك في مناظرةٍ نظير
إذا أعربتَ في الإعراب وجهاً فكم ثلجتْ بما تبدي صدور
وإن قيل المعمىّ والمورّى فذهنك ناقدٌ فيه بصير
وها أنا قد دعوتك للتحاجي لأنك في الحجا طَبٌّ خبير
فما ساعٍ يُرَى في غير أرضٍ ولا هو في السما مما يطير

تراه مردّداً ما بين طردٍ وعكسٍ قصّرتْ عنه الطيور
وَيُلْطَمُ كلما وافى مداه وَيُسْحَبُ وهو مغلولٌ أسير
وَتُنْزَعُ كلَّ آونةٍ حشاه ويلقى وهو للبلوى صبور
ويرشفُ بعد ذلك منه ثغرٌ ولا عذبٌ هناك ولا نمير
إذا ما سار أثر في خطاه طرائقَ دونها الروضُ النضير
يجرّ إذا سعى ذنباً طويلاً ويفتر حين يعلوه قصور
وَيُسمَعُ منه عند الجري صوتٌ له في صدره منه خرير
قليلُ المكثِ كم قد بات تطوى له من شقةٍ لمّا يسير
ويفترشُ الحريرَ ويرتديه غطاءً وهو مع هذا فقير
وتظهر في جوانبه نجومٌ وفي أحشائه فلكٌ يدور
فأوضحْ ما ذكرتُ فغير خافٍ على مجموع فضلك ما أشير
ودمْ في نعمةٍ وسعود جدٍّ وعزّ ما سقى روضاً[1] غدير

فكتب جمال الدين الجواب :

أوجهك لاح أم قمرٌ منير وذكرك فاح أم نَفَحَ العبيرُ
طلعت طلوع شمس الصحو صبحاً على فرسٍ حكى فلكاً يسير
ويا لله روضٌ ضمنَ طرسٍ زهيرٌ في جوانبه جرير
رميتَ به إليّ فقلتُ هذا شعاعُ الشمس مأخذه عسير
أراني رمزه الوضاح حسناً ينبهني على أني حقير
وأني ملحق بأقل صنفٍ إذا ما حقق الجمّ الغفير
فمذ صَحّفتهُ فكري مكوكٌ ومذ نشّرْته باعي قصير
هو المأسور بالماسور لكن له في أسره مرحٌ كثير
نشيط أيّدٌ ويعادُ طوعاً بخيطٍ متْنُهُ واهٍ طرير

---

[1] س : روض .

يُراع لأن مهجته يَرَاعٌ له في الجوفِ من خوف صفير
يحور إلى يمين من شمالٍ وما يعيا بذا لكن يخور
غدا يسعى بأربعةٍ سراعٍ وليس لمشيه بهمُ نظير
يخالفُ بين رجليه فيجري وترفعه يداه فيستطير
له نولٌ يسيرُ لكلٍّ حيٍّ وميتٍ منه إحسان كثير
إذا أسدى إليه الخيرَ مُسْدٍ جزاه عليه وهو بذا قدير
كذاك صفاتك الحسنى ولكن بدأت تطوّلاً وبنا قصور
فغفراً ثم ستراً ثم قصراً فأين الثمدُ والبحر الغزير

توفي جمال الدين المذكور رحمه الله تعالى [. . .] [1] .

٥٨٩

مهمندار العرب

يوسف بن سيف الدولة بن زمّاخ — بالزاي والميم المشدّدة والخاء المعجمة بعد الألف — الحمداني المهمندار ؛ شيخ متجند، قال الشيخ أثير الدين: أنشدني بدر الدين المهمندار المذكور لنفسه :

وليلةٍ مثل عين الظبي وهي معي قطعتها آمناً من يقظةِ الرقبا
أردفته فوق دهم الليل مختفياً والصبحُ يُركضُ خلفي خيله الشهبا
حتى دهاني وعينُ الشمسِ فاترة وقد جذبتُ بذيل الليل ما انجذبا

---

١ كذا وردت هذه العبارة غير تامة ، وقد ذكر تاريخ وفاته في أول الترجمة .

٥٨٩ — الزركشي : ٣٥٤ والبدر السافر : ٢٤٧ (يوسف بن أبي المعالي بن زماج بن حمدان التغلبي المصري المنعوت بالبدر ؛ وعد من تصانيفه : كتاب في الأنساب . كتاب في البديع سماه « الآيات البينات ») والدرر الكامنة ٥ : ٢٣١ وقال إنه مات على رأس القرن .

ما هي بأولِ عاداتِ الصباح معي ليلُ الشبابِ بصبح الشيبِ كم هربا

وقال : أنشدني لنفسه :

فلا تعجبْ لحسنِ المدح مني صفاتُكَ أظهرتْ حكم البوادي
وقد تبدي لك المرآة شخصاً ويُسمعك الصدا ما قد تنادي

وقال : أنشدني لنفسه :

ما شيمةُ العربِ العرباءِ شيمتكم ولا بهذا عرفن الخرّد الغيدُ
كانت سليمى ولبنى والرباب إذا أزمعن هجراً أتتهنّ الأناشيد
ودار بينهما فحوى معاتبةٍ أرقّ مما أراقته العناقيد
وآفةُ الصبِّ مثلي أن يبثّ جوى لمن يحبّ ولا يثنى له جيد

وقال لما خاض الملك الظاهر الفرات يمدحه ويصف الوقعة[1] :

لو عاينت عيناك يوم نزالنا والخيل تطفح في العجاج الأكدرِ
وسنا الأسنة والضياء من الظبا كشفا لأعيننا قتام العثير
وقد اطلخمّ الأمر واحتدم الوغى ووهى الجبان وساء ظنّ المجترى
لرأيت سداً من حديد ما يرى فوق الفرات وفوقه نار تري
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبى ومن الفوارس أبحراً في أبحر
طفرت وقد منع الفوارس مدّها تجري ولولا خيلنا لم تطفر
حتى سبقنا أسهماً طاشت لنا منهم إلينا بالخيول الضمّر
لم يفتحوا للرمي منهم أعيناً حتى كحلن بكلّ لدن أسمر
فتسابقوا هرباً ولكن ردّهم دون الهزيمة رمح كلّ غضنفر
ملأوا الفضاء فعن قليل لم ندع فوق البسيطة منهمُ من مخبر
سدت علينا طرقنا قتلاهمُ حتى جنحنا للمكان الأوعر

---

١ قد مرت طائفة من هذه الأبيات قبلا في ترجمة الظاهر بيبرس ١ : ٢٣٩ .

ما كان أجرى خيلنا في إثرهم لو أنها برءوسهم لم تعثر
من كل أشهب خاض في بحر الدما حتى بدا لعيوننا كالأشقر
كم قد فلقنا صخرة من صرخة ولكم ملأنا محجراً من محجر
وجرت دماؤهم على وجه الثرى حتى جرت منها مجاري الأنهر
والظاهر السلطان في آثارهم يذري الرؤوس بكل عضبٍ أبتر
ذهب العجاجُ مع النجيع بصقله فكأنه في غمده لم يشهر
إن شئت تمدحه فقف بازائــه مثلي غداة الروع وانظم وانثر

وكتب إليه ناصر الدين ابن النقيب :

أيوسف بدر الدين والحسن كله ليوسف يعزى إذ إلى البدر ينسبُ
أتيتَ أخيراً غير أنك أول تعدّ من الآحاد شعراً وتحسب
وأحسن ما في شعرك الحر أنه به ليس يستجدى ولا يتكسب

توفي المذكور بعد الثمانين والستمائة ، رحمه الله تعالى .

٥٩٠

محيي الدين ابن الجوزي

يوسف بن عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ؛ هو الصاحب العلامة محيي الدين ابن الإمام جمال الدين ابن الجوزي الواعظ البغدادي الحنبلي أستاذ دار أمير المؤمنين المستعصم بالله ؛ ولد سنة ثمانين وخمسمائة ، وتوفي مقتولا

٥٩٠ – الزركشي : ٣٥٤ وذيل ابن رجب ٢ : ٢٥٨ والشذرات ٥ : ٢٨٦ وعبر الذهبي ٥ : ٢٣٧ وذيل مرآة الزمان ١ : ٣٣٢ والنجوم الزاهرة ٧ : ٦٦ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٠٣ والدارس ٢ : ٦٢ وابن خلكان ٦ : ٢٤٧ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

سنة ست وخمسين وستمائة .

تفقه وسمع الكثير ، وكان إماماً كبيراً وصدراً معظماً ، عارفاً بالمذهب كثير المحفوظ حسن المشاركة في العلوم، مليح الوعظ حلو العبارة ، ذا سمت ووقار وجلالة وحرمة وافرة، درس وأفتى وصنف ، ورسل به إلى الملوك، ورأى من العز والإكرام والاحترام من الملوك شيئاً كثيراً ، وكان محبباً إلى الناس ، ولي الأستاذدارية بضع عشرة[1] سنة .

قال الدمياطي : أجازني جميع مصنفات أبيه ، وأجازني بجائزة جليلة من الذهب .

قال الشيخ شمس الدين : ضربت عنقه بمخيم التتار هو وأولاده تاج الدين عبد الكريم وجمال الدين المحب وشرف الدين عبد الله في شهر صفر سنة ست وخمسين .

وكان محتسب بغداد ومدرس المستنصرية للحنابلة ، وكان إذا سافر استناب ولده في التدريس والحسبة ؛ توفي والده وله سبع عشرة[2] سنة . فأذن له بالجلوس للوعظ على قاعدة والده ، وخلع عليه الخليفة القميص والعمامة ، وجعل على رأسه طرحة ، وحضر يوم الجمعة في حلقة والده بجامع القصر وعنده الفقهاء للمناظرة ، ونودي له في الجامع بالجلوس ، فحضره الخلائق وتكلم فأجاد ، ثم أذن له في الجلوس بباب بدر الشريف[3] في بكرة كلّ يوم ثلاثاء ، فبقي على ذلك مدة .

ولما أقام عسكر الشام في أيام الناصر ابن العزيز على تل العجول قبالة عسكر مصر وتجاوزت مدة إقامتهم السنة ، وأشاعوا الناس أن الباذرائي رسول الخليفة واصل يصلح بين الفريقين فأبطأ وكثرت الأقاويل في ذلك ، فقال شهاب الدين غازي ابن اياز المعروف بابن المعمار أحد الأجناد المقاردة ،

---

١ ص : بضعة عشر .

٢ ص : عشر . ٣ الشريف : كذا في ص .

وكان حاجب ابن يغمور :

يذكرنا زمانُ الزهد ذكرى زمانِ اللهو في تلِّ العجولِ
ونطلبُ مسلماً يروي حديثاً صحيحاً من أحاديث الرسول

واختلفت الأقاويل أن محيي الدين ابن الجوزي يصل رسولاً من الخليفة وأبطأ حضوره فقال صلاح الدين الاربلي :

قالوا الرسول أتى وقالوا إنه ما رام يوماً عن دمشق نزوحا
ذهب الزمان وما ظفرت بمسلم يروي الحديثَ عن الرسول صحيحا

٥٩١
الشيخ جمال الدين المزي

يوسف بن الزكي عبد الرحمن[١] بن يوسف بن عبد الملك بن أبي الزهر ، الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ العصر ، ومحدث الشام ومصر ، جمال الدين أبو الحجاج القضاعي الكلبي المزي ، الحلبي المولد ، خاتمة الحفّاظ ، نافذ[٢] الأسانيد والألفاظ . مولده بظاهر حلب في عاشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة ، وطلب الحديث في أول سنة خمس وسبعين وهلم جرا وإلى آخر وقت ، لا يفتر ولا يقصر من الطلب والاجتهاد والرواية . توفي في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، ودفن بمقابر الصوفية .

٥٩١ — الزركشي : ٣٥٤ والدرر الكامنة ٥ : ٢٣٣ والنجوم الزاهرة ١٠ : ٧٦ وفهرس الفهارس ١ : ١٠٧ وتذكرة الحفاظ : ١٤٩٨ والشذرات ٦ : ١٣٦ والرد الوافر : ١٢٨ والبداية والنهاية ١٤ : ١٩١ وطبقات السبكي ٦ : ٢٥١ وذيل العبر : ٢٢٩ والدارس ١ : ٣٥ والأسنوي ٢ : ٤٦٤ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : الزكي بن عبد الرحمن .
٢ كذا في ص .

سمع أصحاب ابن طبرزد والكندي وابن الحرستاني وحنبل ، وسمع الكتب الأمهات الستة والمعجم الكبير وتاريخ الخطيب والنسب لابن الزبير و « السيرة » و « الموطأ » من طرق ، والزهد والمستخرج على مسلم و « الحلية » و « السنن » للبيهقي و « دلائل النبوة » وأشياء يطول ذكرها . ومن الأجزاء ألوفاً ، ومشيخته نحو الألف .

حفظ القرآن الكريم وعني باللغة وبرع فيها وأتقن النحو والتصريف . ولما ولي دار الحديث الأشرفية تمذهب للشافعي وأشهد عليه بذلك . وكان فيه حياء وسكينة وحلم واحتمال وقناعة واطراح تكلف وترك التجمل والتودد والانجماع عن الناس وقلة الكلام إلا أنّه يُسأل فيجيب ويجيد ، وكلما طالت مجالسة الطالب له ظهر له فضله . وكان لا يتكثّر بفضائله ، كثير السكوت لا يغتاب أحداً . وكان معتدل القامة مشرباً بحمرة قوي التركيب مُتّع بحواسه وذهنه . وكان قنوعاً غير متأنق في ملبس أو مأكل ، يصعد إلى الصالحية وغيرها ماشياً وهو في عشر التسعين . وكان يستحم بالماء البارد في الشتاء . وكان قد امتحن بالمطالب [1] وتتبعها فيعثّر به من الشياطين جماعة فيأكلون ما معه ، ولا يزال في فقر لأجل ذلك .

وأما معرفة الرجال فإليه تُشد الرحال ، فإنه [2] كان الغاية وحامل الراية . ولما ولي دار الحديث قال الشيخ تقي الدين : لم يلِ [3] هذه المدرسة من حين بنائها وإلى الآن أحق منه بشرط الواقف ، وقد وليها جماعة كبار مثل ابن الصلاح ومحيي الدين النواوي وابن الزبيدي ، لأن الواقف قال : فإن اجتمع مَن فيه الرواية ومن فيه الدراية قُدّم مَن فيه الدراية ؛ قال الشيخ شمس الدين : لم أر أحفظ منه ، ولم ير [4] هو مثل نفسه . قال الشيخ شمس الدين :

---

١ المطالب : الأموال الدفينة من كنوز أو ركاز .
٢ ص : فانه .
٣ ص : يلي .
٤ ص : يرى .

لم يسألني ابن دقيق العيد إلا عنه .

وكان قد اغترّ في شبيبته وصحب عفيف الدين التلمساني ، فلما تبين له مذهبه هجره وتبرأ منه .

صنف كتاب « تهذيب الكمال » في أربعة عشر مجلداً ، كشف به الكتب القديمة في هذا الشأن ، وسارت به الركبان ، واشتهر في حياته ، وألف كتاب « أطراف الكتب الستّة » في تسعة أسفار .

قال الشيخ شمس الدين : قرأت بخط الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس : ووجدت بدمشق الحافظ المقدم ، والإمام الذي فاق من تأخر وتقدم ، أبا الحجاج المزي : بحر هذا العلم الزاخر ، القائل من رآه : كم ترك الأوائل للأواخر ، أحفظ الناس للتراجم ، وأعلمهم بالرواة من أعارب وأعاجم ، لا يخصّ بمعرفته مصراً دون مصر ، ولا ينفرد علمه بأهل عصر دون عصر ، معتمداً آثار السلف الصالح ، مجتهداً فيما نيط به في حفظ السنّة من المصالح ، معرضاً عن الدنيا وأشباهها ، مقبلاً على طريقته التي أربى بها على أربابها ، لا يبالي ما ناله من الأزْل [1] ، ولا يخلط جده بشيء من الهزل ، وكان بما يضعه بصيراً ، وبتحقيق ما يأتيه جديرا ، وهو في اللغة إمام ، وله بالقريض إلمام . وكنت أحرص على فوائده لأحرز منها [ما] أحرز ، وأستفيد من حديثه الذي إن طال لم يملل وإن أوجز وددت أنه لم يوجز ، رحمه الله تعالى .

---

[1] الأزل : الضيق والشدة .

٥٩٢

سبط ابن الجوزي

يوسف بن قزغلي — بالقاف والزاي والغين المعجمة واللام — الإمام المؤرخ الواعظ شمس الدين ، أبو المظفر التّركي البغدادي سبط الشيخ الإمام جمال الدين ، نزيل دمشق . ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وخمسين وستمائة .

سمع من جده ، وسمع بالموصل ودمشق من جماعة ، وكان إماماً فقيهاً واعظاً وحيداً في الوعظ ، علاّمة في التاريخ والسير ، وافر الحرمة ، محبباً إلى الناس ، حلو الوعظ ؛ قدم دمشق وهو ابن نيف وعشرين سنة ونفق على أهلها ، وأقبل عليه أولاد الملك العادل ، وصنّف في الوعظ والتاريخ .

وكان والده قزغلي من مماليك الوزير عون الدين ابن هبيرة ، وهو صاحب « مرآة الزمان » ؛ قال الشيخ شمس الدين : وقد اختصره قطب الدين اليونيني وذيّل عليه إلى وقتنا هذا . ولما مات حضر جنازته السلطان ومن دونه . ودرّس بالشبليّة[1] مدة وبالمدرسة البدرية[2] . وقرأ الأدب على أبي البقاء ، والفقه على الحصيري ، ولبس الخرقة من عبد الوهاب ابن سكينة . وكان حنبلياً فانتقل وصار حنفياً لأجل الدنيا ، وصنّف في مناقب أبي حنيفة جزءاً .

---

٥٩٢ — السلامي : ٢٣٦ والجواهر المضية ٢ : ٢٣٠ وذيل مرآة الزمان ١ : ٣٩ والبداية والنهاية ١٣ : ١٩٤ وميزان الاعتدال ٤ : ٤٧١ والدارس ١ : ٤٧٨ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٩ والشذرات ٥ : ٢٦٦ وعبر الذهبي ٥ : ٢٢٠ ومرآة الجنان ٤ : ١٣٦ وابن خلكان ٣ : ١٤٢ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ المدرسة الشبلية : كانت بسفح جبل قاسيون ، بناها شبل الدولة الحسامي سنة ٦٢٦ (الدارس ١ : ٥٣٠) .

٢ كانت قبالة الشبلية ، بناها الأمير بدر الدين المعروف بلالا سنة ٦٣٨ (الدارس ١ : ٤٧٧) .

وله « معادن الابريز في التفسير » تسعة وعشرون[1] مجلداً ، و « شرح الجامع الكبير » في مجلدين .

٥٩٣

ابن طملوس المغربي

يوسف بن محمد بن طملوس ، من أهل جزيرة شقر من عمل بلنسية . كان أحد علمائها الأماثل ، وآخر المتحققين بعلوم الأوائل . توفي سنة عشرين وستمائة ، وأورد له ابن الأبار من شعره :

بسمتْ به الأيام بعد عبوسها ... وتهللتْ بشراً عيون الناسِ
وتمهدتْ أرجاؤهم لما رسا ... ما بينها جبلُ الملوكِ الراسي
هيهات أين الصبحُ من لألائه ... أيقاسُ نورُ الشمسِ بالنبراس
ملكٌ أبتْ هماته وهباته ... من أن تجارى في الندى والباس

وقال أيضاً :

جاد على الجزع بوادي الحمى ... صوبُ الحيا سكباً على سكبِ
حيثُ الصبا يهدي نسيم الربى ... طيّبةَ المسرى إلى الغرب
تمرُّ بالركبِ سحيراً فيا ... موقعَ رياها من الركب
وبالكثيب الفردِ من لعلع ... غزيّلٌ ضلّ[2] عن السرب
أفلتَ مني واغتدى قانصاً ... قلبي فيا ويحيَ من قلبي

---

١ ص : وعشرين .
٥٩٣ – تحفة القادم : ١٣٠ .
٢ ص : أضل .

فسرت أشتد على إثْره أنشده في ذلك الشعب
يا هل رأتْ عيناك من ناشدٍ يسعى بلا قلب ولا لب
أحببْ به من ملك جائرٍ[1] أحكامه تجري على الصب
يثنيه من خمر الصِّبا نشوةٌ لِعبَ الصَّبا بالغصن الرطب
يا جائرَ اللحظ على صبه سلّطتَ عيناك على قلبي

٥٩٤

المستنجد بالله

يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن جعفر ، أمير المؤمنين المستنجد بالله ابن المقتفي لأمر الله ابن المستظهر ابن المعتمد ابن القائم ابن القادر ابن المقتدر ابن المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور العباسي . خطب له والده بولاية العهد من بعده مستهلّ الحجة سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة . مولده سنة ثمان عشرة[2] وخمسمائة ، وتوفي ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وعمره ثمان واربعون[3] سنة وولايته إحدى عشرة[4] سنة ؛ وكانت أمراضه قولنجية .

١ ص : جائراً .

٥٩٤ – الروحي : ٦٧ والفخري : ٢٧٩ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٧٦ وتاريخ الخلفاء ٤٧٤ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٦٣ ومرآة الجنان ٣ : ٣٧٩ ومرآة الزمان : ٢٨٤ ومفرج الكروب ١ : ١٩٣ والزركشي : ٣٥٥ ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

٢ ص : عشر .

٣ ص : وأربعين . ٤ ص : عشر .

وكان طويل القامة جسيماً أسمر اللون كثيف اللحية ، وكانت أيامه أيام خصب ورخاء وأمن عام ، ودولته زاهرة ، وسياسته قاهرة ، وهيبته رائعة ، وسطوته قامعة ، ذلّت له رقاب الجبابرة في الآفاق ، وخضعت له منهم الأعناق ، وأشْحَنَ بالظّلمة الحبوس[1] وأزال الظلم والمكوس ، وتمكّنَ تمكُّنَ الخلفاء المتقدّمين ، قلّما انتهت إليه حالة مكروهة إلا أزالها ، وعثرة إلا أقالها ؛ ويقال إنّه رأى في منامه مكتوباً[2] في كفه أربع خاءات فعبرها أنه يلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وكتب إليه كمال الدين الشهرزوري قصة لما قدم إلى بغداد رسولاً من قبل نور الدين ابن زنكي مترجمة : « محمد بن عبد الله الرسول » ، فوقّع عند اسمه « صلى الله عليه وسلم » ؛ يقال إن ليلته حانت من ابنة عمه فلما توجه إليها وجد في طريقه بعض حجرات جواريه مفتوحَ الباب ، فدخل إليها ، فقالت له الجارية : امضِ[3] إلى ابنة عمك فإني أخاف أن تعلم بنا فلا آمن شرها ، فقال : في ساقها خلخال إذا جاءت عرفت بها . فمضت إليها[4] جارية ووشت بالحال ، فرفعت خلخالها إلى أعالي ساقها وقصدت المقصورة ، ففاحت روائح الطيب ، فنمّ ذلك عليها ، فخرج من المقصورة من الباب الآخر وقال :

استكتمتْ خلخالها ومشت ... تحت الظلام بـه فمـا نطقا
حتّى إذا هبّت نسيم صبـا ... ملأ العبيرُ بنشرهـا الطُّرُقا

وللشيخ صلاح الدين الصفدي في هذا المعنى :

---

١ ص : والجيوش .
٢ ص : مكتوب .
٣ ص : امضي .
٤ ص : اليه .

إذا شئتِ حليك أن لا يشي　　وقد زرتِ في الحندسِ المظلمِ
فردي السوارَ مكان الوشاحِ　　وخلي وشاحَكِ في المعصم

وله أيضاً :

قالوا وَشى الحليُ بها إذ مشت　　إليك من قبلِ ابتسامِ الصباحْ
فقلت : لا ، خلخالها صامت　　ثم تذكرتُ فضولَ الوشاح

ومن شعر المستنجد :

إذا مرضنا نوينا كل صالحةٍ　　وإن شُفينا فمنا الزيغ والزَّللُ
نُرضي الإله إذا خفنا ونغضبه　　إذا أمنّا فما يزكو لنا عمل

ومنه أيضاً :

عَيَّرَتني بالشّيبِ وهو وقارُ　　ليتها عيرَتْ بما هو عارُ
إن تكن شابتِ الذوائبُ مني　　فالليالي تنيرها الأقمار

وقال أيضاً :

يا هذه إن الخيال يزورني　　لو كان يسعف أو يرد سلاما
ما إن رأيت كزائرٍ يعتادني　　يُغضي العيون ويوقظ النوّاما

وقال أيضاً :

وباخلٍ أشعل في بيته　　طرمذةً منه لنا شمْعَه
فما جرت من عينها دمعة　　حتى جرت من عينه دَمْعَه

وقال أيضاً :

وصفراءَ مثلي في القياس ودمعها　　سجامٌ على الخدّين مثل دموعي
تذوب كما في الحبّ ذُبتُ[1] صبابة　　وتحوي حشاها ما حَوَتْهُ ضلوعي

---

[1] ص : دنب .

٥٩٥
الملك الناصر صاحب الشام

يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي ، السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابن الملك العزيز ابن الملك الظاهر ابن الناصر صلاح الدين ؛ هو صاحب حلب ثم صاحب الشام . ولد بقلعة حلب في رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة وقتل سنة تسع وخمسين ؛ تولى الملك عند موت والده العزيز سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وقام بتدبير دولته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني والأكرم ابن القفطي وعز الدين ابن المجلي والطواشي جمال الدولة إقبال الخاتوني ، والأمر كله لجدته الصاحبة صفيّة خاتون بنت العادل . ولما توجّه القاضي بهاء الدين إلى الكامل بوصية العزيز — وكان قد مات وعمره أربع وعشرون سنة — فلما رآها الكامل بكى وحلف للناصر لأجل أخته صفية خاتون ، فلما توفيت سنة أربعين اشتدّ الناصر وأمر ونهى ؛ فلما كانت سنة ست وأربعين ، سار من جهته نائبه شمس الدين لؤلؤ وحاصر حمص ، وطلب النجدة من الصالح نجم الدين أيوب فلم ينجده ، وغضب ، واستمرت حمص في ملك الناصر ؛ فلما كان شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ، قدم إلى دمشق وأخذها بلا كلفة . وفي أثناء السنة قصد الديار المصرية ، فما تمّ له ذلك . وفي سنة اثنتين وخمسين دخل على بيت السلطان علاء الدين صاحب الروم .

٥٩٥ — الزركشي : ٣٥٥ وذيل مرآة الزمان ١ : ٤٦١ ، ٢ : ١٣٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٠٣ ومرآة الجنان ٤ : ١٥١ وأمراء دمشق : ١٠٢ والشذرات ٥ : ٢٩٩ وعبر الذهبي ٥ : ٢٥٦ وابن خلكان ٤ : ١٠ (وقال إنه قتل في الثالث والعشرين من شوال سنة ٦٥٨) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة . وفيها بعض خروج على قواعد اللغة والاعراب .

وكان الناصر سمحاً جواداً حليماً حسن الأخلاق محبباً إلى الرعية ، فيه عدل وصفح ومحبة للفضلاء والأدباء ، وكان سوق الشعر نافقة في أيامه ، وكان يذبح في مطبخه كل يوم أربعمائة راس غنم سوى الدجاج والطيور والأجدية . وكان يبيع الغلمان من سماطه شي كثير عند باب القلعة بدمشق بأرخص الأثمان من المآكل الفاخرة .

حكى علاء الدين ابن نصر الله أن الناصر جاء إلى داره بغتة ؛ قال : فمددتُ له شيئاً كثيراً في الوقت بالدجاج المحشي بالسكر والفستق وغيره ، فقال : كيف تهيّا لك هذا ؟ فقلت : هو من نعمتك ، اشتريته من باب القلعة . وكانت نفقته في كل يوم أكثر من عشرين ألف درهم .

وكان يحاضر الأدباء والفضلاء ، وعلى ذهنه كثير من الشعر والأدب ، وله نوادر ونظم، وحسنُ ظنّ بالصالحين . وبنى بدمشق مدرسة جوّا باب الفراديس ، وبالجبل رباطاً ، وبنى الخان عند المدرسة الزنجيلية[1] . وبلغه عن بعض الفقراء من الأجناد أنه تسمّح في حقه فأحضره ليؤدبه ، فلما رأى وَجَلَه رقّ له وأمر له بذهب وصرفه ولم يؤاخذه . وكانت تمرّ له الأيام الكثيرة يجلس فيها من أول النهار إلى نصف الليل يوقّع على الأوراق ويصل الأرزاق ، وقيل إنه خلع في أقل من سنة أكثر من عشرين ألف خلعة .

وكانوا الفرنج قد ضمنوا له أخذ الديار المصرية على أن يسلّم إليهم القدس وبلاد أخر ، ودار الأمر على أن تعطى لهم أو للمصريين ، فبذل ذلك للمصريين اتباعاً لرضى الله عز وجل ، وقال : والله لا لقيت الله تعالى وفي صحيفتي إخراج القدس عن المسلمين . ولما بَعُدَ عن خزائنه احتاج إلى قرض أرهن أملاكه وضرب أواني الذهب والفضة، وقيل له في أخذ القابض[2] من الأوقاف ،

---

١ يقال لها أيضاً الزنبارية ، كانت خارج باب توما ، تنسب إلى فخر الدين عثمان بن الزنجيلي ، أنشئت في سنة ٦٢٦ (الدارس ١ : ٥٢٦) .

٢ كذا ولعلها : الفائض .

فما مدّ يده إلى شيء منها بدمشق ولا بحلب .

قال ابن العديم : حضر بعض المدرّسين إلى العسكر ، ورفع على يدي قصة بين يديه تتضمن التضوّر من قلة معلومه ، ويذكر أن عياله وصلوا من مصر وانه لا يطلب التثقيل على السلطان في مثل هذا الوقت الذي يحتاج فيه إلى الكلف بل يطلب زيادة في المدرسة التي هو بها . فسأل عن شرط الواقف ، فقيل : شرطه ما يتناوله الآن ، لكن ذكر أنه في كتاب الوقف ما يدلّ على أن السلطان يزيده إذا رأى في ذلك مصلحة . فأطرق كما هي عادته إذا لم يرى قضاء ما طلب ، ولم يردّ في ذلك جواباً ، ولم يهن عليه ردّه خائباً ، وتورّع عن مخالفة الواقف ، فقرر له ما طلبه على ديوانه دون الوقف .

قال ابن العديم : أنشدني لنفسه ، رحمه الله :

البدرُ يجنحُ للغروبِ ومهجتي لفراق مشبهه أسىً تتقطّعُ
والشَّرب قد خاط النعاسُ جفونهم والصبحُ من جلبابه يتطلّعُ

ومن شعره أيضاً :

سقى سابحَ الشهباءِ كلّ مُزْنة[1] سحائب غيث نوؤها ليس يقلع
فتلك ربوعي لا العقيقُ ولا الحمى وتلك دياري لا زَرُوْد ولَعْلَع

وقال أيضاً :

فوالله لو قطّعتَ قلبي تأسّفاً وجرّعتني كاسات دمعي دماً صرفا
لما زادني إلاّ هوىً ومحبةً ولا اتخذت روحي سواك لها إلفا

وورد الخبر في منتصف صفر من سنة ثمان وخمسين وستمائة بورود التتار إلى حلب ودخولها بالسيف ، فهرب السلطان مع الأمرا الموافقين له ، وزال ملكه ، ودخل التتار بعده بيوم إلى دمشق . وقري فرمان الملك بأمان

---

1 ص : مزنة .

أهل دمشق وما حولها حتى وصل السلطان إلى قطيا وتفرق عنه عسكره ، فتوجه مع خواصه إلى وادي موسى ثم جاء إلى بركة زيزا فكبسه كتبغا ، فهرب وأتى إلى التتار بالأمان ، فبقي معهم في ذلّ وهوان . فلما بلغ هولاكو قتل كتبغا قتله ، قيل إنه قتله بالسيف عقيب واقعة عين جالوت ، وقيل خُصّ بعذاب دون أصحابه ، وقيل جُعل هدفاً للسهام ، وقيل جمع له نخلتان ورُبط بينهما وافترقتا فذهبت كل واحدة بشقّ منه .

قال شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن العجمي : أنشدني الناصر لنفسه :

يا برقُ أنْشِ من الغمام سحابةً وطفاءَ هاميةً على بطياسِ
وأدمْ على تلك الربوع وأهلها غيثاً[1] يروّيها مع الأنفاسِ
وعلى ليالٍ بالصفاء قطعتُها مع كلِّ غانيةٍ وظبي كناس

فانشدته ارتجالاً :

فلتلكَ[2] أوطاني ومعهد أسرتي ومقرّ أحبابي ومجمعُ ناسي
ليس[3] الفؤاد وإن تناءت سالياً عنها ولا لعهودها بالناسي[4]

وكان قتله في الخامس وعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وعُمل عزاؤه في سادس وعشرين ربيع الآخر سنة تسع وخمسين بقلعة الجبل من الديار المصرية ، رحمه الله تعالى .

ورثاه غير واحد من شعراء دولته وغيرهم . فممن[5] رثاه أمين الدين

....

١ ص : غيث .
٢ ص : فتلك .
٣ ص : أيس .
٤ ص : بالناس .
٥ ص : فمن .

السليماني ، قال حين توجه الملك الناصر[1] مع التتار وانقطعت أخباره والتبس أمره :

بكى الملأُ الأعلى على الملكِ الأعلى وأصبحت الدنيا لفقدانه ثكلى
تولى صلاح الدين يوسف وانقضت[2] محاسنه الحسنى وسيرته المثلى
وفارقَ ملكَ الشامِ والشرقِ عنْوةً فريداً كما جرَّدت من غمده نصلا
وأضحى أسيراً في التتار مروَّعــاً فبكوا عزيزاً لم يكن يعرف الذلا
وأني لأرجو أن يكونَ كصارمٍ يجرده قينٌ ليحكمه صقلا
تناقضتِ الأخبـارُ عنـه لبعده فيا لحديثٍ ما أمرَّ ومـا أحـلى
فيا ليت عيني عاينت كُنْهَ حـالـهِ لقد شفَّني حزني عليه وقد أبلى
أبكّيـه في الأسرى وأرجو خلاصه رجاء بعيد أم أرثّيه في القتـلى
أبِنْ مخبراً : يا يوسفَ بنَ محمّدٍ أحيٌّ تُرجَّى أنت أم ميّتٌ تُسلى
ووالله ما يسلوك قلبُ ابن حرَّةٍ جعلتَ له من طَوْلكَ الفرضَ والنَّفلا

وقال فيه حين بلغه أن التتار قتلوه :

رمتِ الخطوبُ فأقْصَدَتْكَ نبالها والأرضُ بعدك زلزلت زلزالها
أأبا المظفر يوسفَ بن محمدٍ لا قلتُ بعـدك للحوادث يا لها
خذلتكَ أسرتك الذين ذخرتَهـم للنائباتِ وقد وقفتَ حيالها
تركوك منفرداً بِقَطْيَةَ ذاهلاً تُسفي عليك العاصفاتُ رمالها
تبكيك وَلْوَلَةُ الحريمِ حواسراً من كل مُعْوِلةٍ تضمُّ عيالهـا
ومصونةٍ في خدرها مـا شاهدت قبـل الرزيّة مـا يروّع بالهـا
كيف الخلاصُ من المنيّة لامرىءٍ من بعـد ما نصبت عليه حبالها
أأبا المظفـرْ يوسف بن محمـد جرّعت نفسي صابها وخبالها

---

[1] ص : النار .
[2] ص : وانفضت .

إن الملوكَ إذا تخاذل بعضها عن بعضها ففعالها أفعى لها
ذكري مصيبات الملوك تعلُّلاً إذ كان حالك في المصيبة حالها
إني لأجتنب المراثي طامعاً ببقاء نفسك بالغاً آمالها

٥٩٦
فخر الدين ابن الشيخ

يوسف بن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حموية ، الأمير فخر الدين ابن صدر الدين شيخ الشيوخ الحموي الجويني ؛ كان أميراً كبير عالي الهمة فاضلاً متأدباً سمحاً جواداً محبوباً إلى الخاص والعام ، خليقاً بالملك لما فيه من الأوصاف الجميلة ، تعلوه الهيبة والوقار . وكانت أمه ابنة المطهر ابن أبي عصرون قد أرضعت الملك الكامل ، فكانوا أولادها الأربعة اخوةَ الملك الكامل من الرضاعة ، وكان يحبهم ويعظمهم ، ولم يكن عنده أحد في رتبة الأمير فخر الدين ، لا يطوي عنه سراً ويثق به ويعتمد عليه في سائر أموره ، ونال الأمير فخر الدين وإخوته من السعادة ما لا ناله غيرهم . ولما ملك الملك الصالح البلاد ، أعرض عن الأمير فخر الدين واطرحه ثم اعتقله ثم أفرج عنه وأمره بلزوم بيته . ثم إنه ألجأته الضرورة إلى ندبه للمهمات لما لم يجد من يقوم مقامه ، فجهزه إلى بلاد الملك الناصر داوود ، فأخذها ولم يترك بيده سوى الكرك ، ثم جهزه لحصار حمص ، ثم ندبه لقتال الفرنج ، فاستشهد .

٥٩٦ – الزركشي : ٣٥٦ وطبقات السبكي ٥ : ١٥٢ والسلوك (ج : ١ في عدة مواضع) ودول الإسلام ٢ : ١١٦ والشذرات ٥ ٢٣٨ وعبر الذهبي ٥ : ١٩٤ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٦٣ والبداية والنهاية ١٣ : ١٧٨ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

وكان أول أمره مُعَمَّماً ، فألزمه الكامل أن يلبس الشربوش وزيّ الجند ، فأجابه إلى ذلك ، وأقطعه منية السودان بالديار المصرية ، ثم طلب منه [أن] ينادمه ، فأجابه إلى ذلك ، فأقطعه شُبرا ، فقال ابن بطريق :

على منيةِ السودان صار مُشرْبشا وأعطوه شبرا عندما شرب الخمرا
فلو ملكتْ مصرَ الفرنجُ وأنعموا عليه ببسّوس[1] تنصّر للأخرى

وقال فيه وفي أخيه عماد الدين ، وكان يذكر الدرس بالشافعي[2] رحمه الله :

ولدى الشيخ في العلوم وفي الإمـ ـرةِ بالمال وحده والجاهِ
فأميرٌ ولا قتال عليه وفقيه والعلم عند الله

وكان لهم مع الاقطاعات المناصب الدينية ، منها مدرسة الشافعي والمدرسة التي إلى جانب مشهد الحسين رضي الله عنه ، وخانقاه سعيد السعدا ؛ ولم تزل هذه المناصب بأيديهم إلى أن ماتوا .

وكان قد قدم دمشق ونزل في دار أسامة ، فدخل عليه الشيخ عماد الدين ابن النحاس وقال له : يا فخر الدين ، إلى كم ؟ — يشير إلى تناوله للشراب — فقال له : يا عماد الدين والله لأسبقنَّك إلى الجنة ، فاستشهد على المنصورة في الوقعة سنة سبع وأربعين وستمائة ، وتوفي عماد الدين سنة سبع وخمسين فسبقه كما قال إلى الجنة ، وحُمل إلى القاهرة ، وكان دفنه يوماً مشهوداً ، وعُمل له عزاء عظيم . وكان مولده سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة . ومن شعره :

صيَّرتُ فمي لفيه باللثم لثام غصباً ورشفتُ من ثناياه مدام
فاغتاظ وقال أنت في الفقه إمام ريقي خمرٌ وعندك الخمر حرام

ومن شعره :

---

[1] غير معجمة في ص .
[2] يعني بمدرسة الشافعي ، وسيذكرها بعد قليل .

وتعانقنا فقل ما شيت في ماءٍ وخمرِ
وتعاتبنا فقل ما شيت في غنج وسحر
ثم لما أدبر الليلُ وجاء الصبح يجري
قال إياك رقيبي بك يدري قلت يدري

وقال :

في حبك هجرت أمي وأبي الراحةُ للغيرِ وحظي تعبي
يا ظالم في الهوى أما تنصفني وَحدتُكَ في العشق فلِمْ تُشرك بي

وقال سيف الدين المشدّ يرثيه :

فُضَّ فمٌ نعى لنا يوم الخميس يوسفا
وا أسفا من بعده على العلا وا أسفا

٥٩٧

[بدر الدين الذهبي]

يوسف بن لؤلؤ الذهبي الأديب ، بدر الدين الدمشقي الشاعر ؛ كان والده لؤلؤ عتيق ولدرم الياروقي صاحب تلّ باشر . له نظم يروق الأسماع ، ويعقد[١] على فضله الاجماع ، مدح الناصر ابن العزيز والكبار ، وكان له بيت في الصادرية جوار جامع بني أمية . عاش ثلاثاً وسبعين سنة وتوفي رحمه الله في شعبان سنة ثمانين وستمائة . فمن شعره :

رفقاً أذبتَ حُشاشةَ المشتاقِ وأسلتها دمعاً من الآماقِ

---

٥٩٧ – الزركشي : ٣٥٧ والبدر السافر : ٢٤٨ .

١ ص : وتعقد .

وأَحَلتَهُ من بعد تسويفٍ على الصـ بر الذي لم يبقَ منه بَواقي
وطلبتَ مني في هواكَ مواثقاً والقلبُ عنـدك في أشدّ وثاق[1]
قلبٌ بعينٍ قد أُصيبَ وعارض فأعده لي فالدمع ليس بِراقي
أشقيقَ بدر التمّ طال تلهفي وأطال فيك العاذلون شقاقي
أنفقتُ من صبري عليك وإنه لرضاك لا لتملّقٍ ونفاقِ
وصبا بعثتُ بها إليك فلم تعد وأظنها حالت عن الميثاق
وبمهجتي المتحملون عشيّةً والركبُ بين تلازمٍ وعناقِ
وحُداتهم أخذت حجازاً[2] عندما غنّتْ وراءَ الظعن في عشّاق
وتنبهتْ ذاتُ الجناح بسُحْرةٍ بالواديين فنبهت أشواقي
ورقاءُ قد أخذت فنونَ الحزن عن يعقوبَ والألحانَ عن إسحاق[3]
قامتْ على ساقٍ تطارحني الهوى من دون صحبي بالحمى ورفاقي
أنّى تباريني جوًى وصبابةً وكآبةً وهوى وفيضَ مآقي
وأنا الذي أُملي الجوى من خاطري وهي التي تملي من الأوراق
ولقد صفحتُ عن الزمان لليلةٍ عدل الحبيب بها وجار الساقي
بسلافةِ الأقداح ذا يسعى وذا يعطو بسالفتيه والأحداق

وقال يتذكر أيام شبابه وملاعب أترابه ويصف طيور الواجب[4] :

هل ذاك برقٌ بالغوير أنارا أم أضرموا بِلوَى المحصّب[5] نارا
فكلاهما إن لاح من هُضْبِ الحمى لي شائقٌ ومهيّجٌ تذكارا
فبم[6] التعلل والشبابُ منكّب عني وقد شطّ الحبيب مزارا

---

١ ص : وثاقي .
٢ ص : حجاز ، وهو يشير بذكر حجاز وعشاق إلى نغمتين موسيقيتين .
٣ يعني اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وفي ذكر اسحاق مع يعقوب مناسبة .
٤ طيور الواجب : فصيلة من الجوارح .
٥ ص : المخصب . ٦ ص : فبما .

وقد استردَّ الدهرُ أثوابَ الصبا   وكذاك يُرجَعُ مـا يكون معارا
فارفقْ بدمعك في الفراق فما الذي   يبقى ليسقي أربعـاً وديارا
ودعِ النسيمَ يراوحُ القلبَ الذي   أورى زنادُ الشوق فيه أوارا
مع أنني أصبو إلى بـانِ الغضا   إن شمتُ برقاً أو شممتُ عرارا
فاليومَ لا دارٌ بمنعـرج اللـوى   تدنو بمحبوبٍ لنـا فتزارا
كلا ولا قلبي المشوقُ بصـابرٍ   عنهم فأندبَ دمنةً وديارا
فسقى اللوى لا بل سقى عهد اللوى   صوبُ الغمائم هامياً مدرارا
ولقـد ذكرتُ على الصَّراةِ مرامياً   تنسي بحسن وجوهها الأقمارا
وعلى الحمى يومـاً ونحن بلهونا   نَصِلُ النهارَ ونقطعُ الأنهارا
في فتيـةٍ مثـل النجوم تطلعوا   وتخيروا صدقَ المقالِ شعارا
من كلِّ نجمٍ في الدياجي قد لوى   في كفِّه مثـلَ الهلالِ فـدارا
متعطفاً من حـزم داودَ الـذي   فاقَ الأنامَ صناعةً وفخارا
والآن قد حنَّ المشوق إلى الحمى   وتذكّـر الأوطانَ والأوطارا
وصبا إلى البرزات قلبٌ كلما   طارت به خُزْرُ اللغالغ[1] طارا
فلأيِّ مرمىً أرتميـه وليس لي   قوسٌ رشيق مدمجٌ خطّارا
وأغنَّ أحوى كالهلال رشيّقاً   بل راشقاً بغروضه[2] سحارا
جبل على ضعفي إذا استعطفته   ألـوى عليّ العنـقَ والدستارا[3]
وبوجهه المنقوش أول مـا بدا   وبه أقام وأقعد الشطارا
وبدا بتجريمي بـلا سببٍ بـدا   مني وأودعه الرماة مرارا
يا حُسْنَهُ من مخلفٍ لكنّـه   في الجوّ عالٍ لا يُسِفّ مطارا
ويطيرُ خطفاً عن مقـامي عاضداً   ولشقوتي لا يدخلُ المقدارا

---

١ اللغالغ : جمع لغلغ وهو طائر يقال عنه إنه غير اللقلق .
الغروض : السهام ؛ ص : بفروضه .
٣ الدستار (بالفارسية) : منديل أو المنديل الذي يلاث عمامة ، ولعله يعني هنا ريش الرأس .

لا بندقي مهما خطوتُ يناله　　أنى ينالُ مراوغاً طيّارا
وسنان من خُزرِ اللغالغ لم يزل　　يرعى الرياضَ وليس يرعى الجارا
لا قادمٌ بل راحـلٌ عني إلى　　ماءِ الفرات يخوض منه غمارا
أو مـا تراني فاقـداً ومنعمـاً　　في الجوّ ليلاً[1] خلفـه ونهارا
دعني فقد برد الهواءُ وقد أتى　　أيلولُ يطفيء للهجيرِ جمارا
ووراءه تشرينُ جاء برعده　　عجلانَ يحدو للسحاب قطارا
والبارقُ الهامي على طلل الحمى　　سدّى هناك خيوطه وأنارا
والفيض[2] طام ماؤه متدفـقٌ　　والطير فيه يلاعبُ التيّارا
والنهرُ جنّ به فراح مسلسلاً　　صبٌّ تحيّر لا يصيب قرارا
بهر النواظرَ حين أنبت شطّه　　للناظرين شقائقاً وبهارا
والصبحُ في آفاقه يا سعدُ قد　　أخفى النجومَ وأطلعَ الغرّارا
فانهض إلى المرمى الأنيق بنا فقد　　هبَّ الصباحُ ونبّه الأطيارا
وتتابعت جفاتها[3] في أفقها　　مثلَ النعام قوادماً تتبارى
من جوّ زوراء العراقِ قوادماً　　يا مرحباً بقدومها زوّارا
فأصِخْ إلى رشق القسيّ إذا ارتمت　　مثل الحريق أطار عنه شرارا
واطربْ إلى نغمات أطيارٍ بدتْ　　في الجوّ وهي تجاوبُ الأوتارا
من كل طيّار كأن له دماً　　عند الرماة فثار يبغي الثارا
هل جاء في طلب القسيّ لحتفه　　أم جاء يطلب عندها الأوتارا
خاض الظلام وعبَّ فيه فسوّد الـ　　رجلين منه وسوّد المنقارا
وأتى يبشّر باللقاء فضمخت　　تلك المغارز عنبراً ونضارا
والكي[4] كالشيخ الرئيس مزمّلٌ　　في بردتيه هيبةً ووقارا

١ ص : ليل .　　٢ الفيض : نهر بالبصرة ؛ ص : والقيض .
٣ الجفة : الجماعة أو العدد الكثير ، والجفجفة : انتفاش الطائر .
٤ الكي : الطائر الذي يسمى أبو منجل أو Pelican .

يسطو على الأسماكِ[1] يوماً كلما ... أذكى له حرّ المجاعة نارا
والوزّ كم قد هاجنا بنغيمه ... ليلاً وكم قد شاقنا أسحارا
فإذا بدا ضوءُ الصباح ثنى له ... عطفاً وصفـّق بالجناح وطارا
وترى اللغالغَ تستبيك بأعين ... خزريـّةٍ صفرِ الجفون صغارا
فكأن ورساً ذيب في أجفانها ... فحكى النُّضارَ وحيـَّر النظارا
وترى الأنيساتِ الأوانس تنقضي ... بين الرياض كأنهن عذارى
يسلبن أربابَ العقولِ عقولهم ... ويرغن منه حيلةً ونفارا
وترى الحبارجَ[2] كالقطا أرياشها ... أو كالرياض تفتحت أزهارا
هجرت منازلها على برحِ الظما ... واستبدلت دويـّة وقفارا
والنسرُ سلطانٌ لها لكنـّـــه ... لم يلقها[3] لدمائها مهدارا
قد شاب منه راسُهُ من طولِ ما ... كرَّتْ عليه عصوره الأدوارا
أرخى جناحيه عليه كجوشنٍ ... لو كان يمنع دونه الأقدارا
وإذا العقابُ سطا وصال بكفـّه ... عاينت منه كاسراً جبارا
يعطي ويمنع غيرةً وتكرماً ... ويبيح ممنوعاً ويمنع جارا
وترى الكراكي كالرماد وربما ... قَرَقَتْ فأذكت في القلوب النارا
قد سُطِّرتْ في الجوّ منها أسطر ... وطوت سجلّ سخائها أسفارا
فإذا انصرعن فلا تكن ذا غفلة ... عن أن تنقط[4] حليهن مرارا
وبدت غرانيقٌ لهنّ ذوائبٌ ... لولا البياضُ لخلتهن عذارى
حُمْرُ العيون تديرُ من أحداقها ... فينا كؤوساً[5] قد ملين عقارا

---

١ ص : الأسمال .
٢ الحبرج : نوع من الحبارى ، وقال ابن البيطار (٢ : ٥) : طائر معروف بالديار المصرية مشهور بها .
٣ ص : يلفها .
٤ ص : تنفط .
٥ ص : كؤوس .

والصوغ[1] في أفق السماء محلّق[2] مثل الغمام إذا استقل وسارا
ذو مغرز ذرب[3] فلو يسطو[4] به فضح السنانَ وأخجل البتّارا
ومرازمٌ بيضٌ وحمرٌ ريشها كالورد بين الياسمين نثارا
خفقتْ بأجنحةٍ على محمرّه كمراوح أضرمن منه جمارا
وعجبتُ كيفَ صبّتْ إلى صلبانها تلك الرماةُ وما همُ بنصارى
وَشَبَيْطَرٌ[5] ما إن يحلُّ له دمٌ مهما علا شجراً[6] وحلَّ جدارا
السرُ فيه إلفه لمنازلٍ فاصبرْ له حتى يفارقَ دارا
وكأنما العَنَّازُ[7] لما أن بدا لبس السوادَ على البياضِ غيارا
وكأنّه قد ضاق عنه مزرّراً فوق القميص فحلّلَ الأزرارا
هل عبَّ في صرف العقار بمغرزٍ أم كان خاض من الرماء بحارا
خذْ مالكي وصف الجليل منقحاً يا سعدُ واقضِ برمّها الأوطارا
واستغنم اللذاتِ في زمن الصبا لا زال كفُّكَ للندى مدرارا

وقال أيضاً :

لو بلّغ الشوقَ هذا البارقُ الساري أو بعضَ وجديالذي أخفي وتذكاري
ما بتُّ أرعى الدجى شوقاً إلى قمرٍ ولا معنّىً بطيف طارق طاري
جيراننا كنتمُ بالرقمتين فمذ بعدتمُ صار دمعي بعدكم جاري
فكم أواري غراماً من جوىً وأسىً زناده تحت أثناء الحشا واري

....

١ كذا ولعل صوابه « صرغ » وهو فيما يبدو معرب جرغ : طائر من أنواع البازي .
٢ ص : مخلق .
٣ ص : درب .
٤ ص : تسطو .
٥ الشبيطر : مالك الحزين (دوزي) .
٦ ص : شجر .
٧ العناز : من الواضح أنه نوع من الطيور ، ولم أجد له وصفاً أو تعريفاً .

وكم أداري فؤاداً عزَّ مطلبه ... يومَ اللوى وأداري الوجدَ بالدار
أشتاق إن نفحتْ بالغورِ ريحُ صبا ... تُهدي شذا شيحه المطلول والغار
قد أنحلتني الغواني غيرَ راحمـــةٍ ... ومحّقتني الليالي بعد إبداري
وأضرمتْ أضلعي ناراً مؤججةً ... وحيرت أدمعي في العين يا حار[1]
فصرت كالسيف يغضي[2] الجفن منه على ... ماء ويطوى الحشا منه على نار
ذكرتُ عيشاً على لبنانَ جدّدَ لي ... من عهد لبنى صباباتي وأوطاري
فراجع القلبَ من أطرابه طربٌ ... وعاود العينَ طيفٌ منهمُ ساري
فبتُّ بالدمع كالغدرانِ طافحةً ... مني على ناقضٍ للعهد غدّار
فيا له من غريرٍ غرَّ بي طمعـــاً ... بموعدٍ من خيالٍ منه غرّار
بقامةٍ وعذارٍ حولَ وجنتـــه ... قامتْ بها وبه في الحبّ أعذاري
ألقى إليه القنا الخطارَ مقتحماً ... ولا أبالى بأهوالٍ وأخطار
أغنَّ ألمى رشيقِ القدّ معتدلٍ ... رَخص البنانِ كحيلِ الطرفِ سحّار
قد زنّر الخصر منه بالنحول وقد ... أغناه إفراطه عن شدّ زنار
يسعى بشمسيّةٍ كالشمس دائرة ... على مزاهر قيناتٍ وأزهار
تكلّلتْ بلآلٍ من فواقعها ... وزرّرتْ طوقها منه بأزرار
صهباء من عهد كسرى حين عتّقها ... في دنها وبه كانت بذي قار
قد أمطرتْ راحةُ الساقي الكؤوس لنا ... فأنبتتها رياضاً ذات نوّار[3]
تألقتْ مثلَ زهرِ الروض عن حبَبٍ ... فنحن ما بين نُوّار وأنوار
صلّى[4] المجوسُ إليها واصطلوا لهباً ... منها فصلوا لذات النور والنار
وسبح القومُ لما أن رأوا عجباً ... في أكؤسِ الراح نواراً على نار

١ ص والزركشي : جار .
٢ ص : يقضي .
٣ ص : بذيقار .
٤ ص والزركشي : صلوا .

في فتيةٍ هم أباحوا قتلها بيدٍ لكاعبٍ معصرٍ أو رِجْلِ عصار
على اصطخابِ المثاني كان سفكُهمُ دماءَها بين عيدانٍ وأوتار
ثارتْ لتقتصَّ من قومٍ فما برحتْ في حثّ كاسٍ على الأوتار والثار
فالقومُ من بعض قتلاها وما ظلمت وإنما أخذت منهم بأوتار
فاخلعْ عذارك والبسْ من أشعتها ولا تكونَنَّ من كاسٍ لها عار
ولا تطع أمرَ لاحٍ في هوى رشأ وكاسِ راحٍ فما اللاحي بأمّار

وقال رحمه الله تعالى :

تذكّرَ ربعاً بالشآم وَمَرْبَعـــا وملهىً لأيام الشبابِ ومرتعا
فعاوده داءٌ من الشوقِ مؤلمٌ أصاب حراراتِ القلوب فأوجعا
على حينَ شطّتْ بالفريقِ ركائبٌ وأسرى بها الحادي الطروبُ فأسرعا
وأتبعهم قلباً مطيعاً على الغضا وخليت لي جفناً على السفح أطوعا
وساروا يؤمّون الكثيبَ وخلّفوا الـ كثيبَ المعنّى في الديار مضيّعا
يكابد حرَّ الشوق بعد رحيلهم وفرطَ التشكي والحنينَ الموجّعا[1]
وأوجعُ من هذا وذلك كلــه شبابٌ أراه كلَّ يومٍ مودّعا
تولّى وأبقى في الجوانح حرقةً وأودع قلبي حسرةً حين ودّعا
وعاجلني صبحٌ من الشيب قبل أن أهوّمَ في ليل الشباب وأهجعا
وحجّبَ عني الغانياتِ كأنه بياضٌ على العينين والفود أجمعا
فيا ربةَ الخلخالِ والخالِ خفّضي على مغرم لولا النوى ما تضعضعا
ولا تذكريني الواديين ولا تُري لعينيَ أطلالَ الديار فتدمعا
فلولاكِ ما حنَّ المشوقُ إلى الحمى ولا شام برقَ الشام من سفح لعلعا
ولا راح يستسقي سقيطَ دموعه لسقطٍ بنعمانِ الأراك وأجرعا
ومما شجاني في الصباح حمامةٌ تحرّك بالشجو الأراكَ المفرعا

---

[1] لعل الصواب : « المرجعا » .

تذكرني أيامَنا بِسُوَيْقَةٍ ولیلاتِنا اللاتي مضتْ بطويلعا
فقلتُ لها لا تُظهري من لواعجٍ فنوناً بأفنانِ الأراك تصنّعا
فغصنك قد أضحى عليك منعماً وغصنيَ قد أمسى عليّ ممنّعا
بلى طارحيني ما شجاك فكلّنا على غُصُنٍ نبدي الأسى والتفجعا
وذي هَيَفٍ عذبِ اللّمى زارني وقد تلفّعَ خوفاً بالدجى وتدرّعا
فبتُّ أُعاطيه الحديثَ منمقـاً وبات يعاطيني العتيقَ مشعشعا
إلى أن دعا داعي الفلاح ولم يكن سوى أنه داعٍ على شملنا دعا
ولم أدرِ أنّ الصبحَ كان مراقبـاً لنا من وراء الليل حتّى تطلعا
فقام كظبي الرمل وسنانَ خائفـاً يكفكفُ من خوفِ التفرُّقِ أدمعا
« فلما تفرّقنا كأني ومالكـاً[1] لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا »[2]
فسحقاً لدهر لم أزل من صروفه بنائبةٍ في كلّ يوم مروّعا
إلى غرضي[3] الأقصى يسددُ سهمَه وعهدي به لم يبقِ في القوس منزعا
فحتّام لا أنفكُّ أشكو لياليّاً ودهراً[4] بتفريق الأحبة مولعا
وقد زجرتني الأربعونَ فلم تـدعْ ليَ الآن في وصل الكواكب مطمعا
ومرّ الشبابُ الغضُّ مني فمذ نأى تتابعه العيش اللذيذ تتبعا
وكانت بأحناءِ الضلوع حُشاشةٌ فأسبلتها فوق المحاجر أدمعا

وقال أيضاً :

بدا صُدغُ من أهواه في ماء خـدّه فحيرني لما التوى وتعقربا
[وقالوا يصير الشعر في الماء حيةً فكيف غدا في ذلك الخدّ عقربا][5]

---

١ ص : ومالك .
٢ البيت مضمن من شعر متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك .
٣ ص : غرض .
٤ ص : ودهر .
٥ زيادة من الزركشي .

وأنشدني الحاج لاجين الذهبي قال ، أنشدني بدر الدين لنفسه وقد تواترت الأمطار بدمشق :

إن أقامَ الغيثُ شهراً هكذا جاء بالطوفان والبحر المحيطْ
ما همُ من قوم نوحٍ يا سما أقْلعي عنهمْ فهم من قوم لوط

وقال في مليح بوجهه حَبُّ الشباب :

تعشقتُهُ لدنَ القَوامِ مُهَفْهفاً شهيَّ اللمى أحوى المراشفِ أشنبا
وقالوا بدا حبُّ الشباب بوجهه فيا حُسْنَهُ وجهاً إليّ محبّبا

وقال في النجم العيادي الكحال ، وقد كحل غلاماً غدوة ومات النجم في عشية ذلك النهار :

يا قومُ قد غلط الحكيمُ وما درى في كحله الرشأ الغرير بطبِّهِ
وأراد أن يمضي نصالَ جفونه ويحدّها لتصيبنا فبدت به

وقال أيضاً :

هلمَّ يا صاح إلى روضةٍ يجلو بها العاني صدا همّهِ
نسيمها يعثرُ في ذيلــه وزهرها يرقصُ في كمّه

وقال أيضاً :

أدرْ كؤوسَ الراح في روضةٍ قد نَمّقَتْ أزهارها السحبْ
الطّيرُ فيها مُغرمٌ شيّـقٌ وجدولْ الماء بها صبّ

وقال أيضاً :

لم لا أهيمْ إلى الرياضِ وطيبهـا وأبيتُ منها تحت ظلّ ضافِ
والزهرُ يلقاني بثغرٍ باسمٍ والماءُ يلقاني بقلبٍ صافِ

وقال :

أرأيتَ وادي النيرين ، وماؤه يبدي لناظرك العجيبَ الأعجبا
يتكسّـرُ الماءُ الزلالُ على الحصى فإذا غدا بين الرياض تشعبا

وقال في دولاب :

وروضةٍ دولابهـــا إلى الغصون قد شكا
من حيثُ ضاع زهرها دار عليه وبكى

وقال :

ربَّ ناعورةِ روضٍ بات يندى ويفوحُ
تضحكُ الأزهارُ منها وهي تبكي وتنوح

وقال :

رفقاً بصبٍّ مغرمٍ أبليته صدّاً وهجرا
وافاك سائلُ دَمْعِهِ فردَدْتَهُ في الحال نَهرا

وقال :

يا عاذلي فيه قلْ لي إذا بدا كيف أسلو
يمرُّ بي كلّ وقت وكلما مرَّ يحلو

وقال :

باكر إلى الروضةِ تستجلها فثغرُهـَا في الصبح بسّامُ
والنرجسُ الغضُّ اعتراه الحيا فغضَّ طرفاً فيه أسقام
وبلبلُ الدوح فصيحٌ على الا أيكة والشحرورُ تمتام
ونسمةُ الريح على ضعفها لها بنا مرٌّ وإلمـــام
فعاطني الصهباءَ مشمولةً عذراءَ فالواشون نُوّام
واكتمْ أحاديثَ الهوى بيننا ففي خلالِ الروضِ نمّام
وقال أيضاً في معذّر :

صدّوا وقد دبّ العذار بخدّه   ما ضرهم لو أنّهم جبروهُ
هل ذاك غير نباتِ خدّ قد حلا   لكنهم لما حلا هجروه

وقال وقد أُحيل على ديوان الحشر [1] :

أمولايَ محيي الدين طال ترددي   لجائزةٍ قد عيلَ من دونها صبري
وقد كنتُ قبل الحشر أرجو نجازها   فكيفَ وقد صيرتموها إلى الحشر

وقال في نجم الدين ابن اسرائيل ، وكان النجم قد هوي مليحاً يلقب بالجويرح :

قلبك اليوم طائرٌ   عنك أم في الجوانحِ
كيف يُرْجى خلاصُهُ   وهو في كفّ جارح

ثم بلغه أنه تركه فكتب إليه :

خلّصْتَ طائر قلبك العاني ترى   من جارح يغدو به ويروحُ
ولقد يسرُّ خلاصه إن كنت قد   خلصته منه وفيه روح

وقال في مليح ورّاق :

خليليّ جدّ الوجدُ واتصل الأسى   وضاقت على المشتاق في قصده السُبلُ
وقد أصبح القلبُ المعنّى كما ترى   معنّى بورّاقٍ وما عنده وصل

وقال في زهر اللوز :

الزهرُ أحسنُ ما رأيـ   ـت إذا تكاثرت الهمومُ
تحنو عليّ غصونـــه   ويرقّ لي فيه النسيم

وقال فيه أيضاً :

---

[1] ديوان الحشر هو الذي يعنى بالمواريث الحشرية وهي تركة من لا وارث له، أوله وارث إلا أنه لا يستغرق الميراث كله (صبح الأعشى ٤ : ٣٣ وانظر ملحق دوزي « حشر ») .

عرّج على الزهرِ يا نديمي   وَمِلْ إلى ظلّه الظليلِ
فالزهرُ يلقاك بابتسامٍ   والريحُ تلقاك بالقبول

وقال ملغزاً في السرطان :

ما اسمٌ إذا ما أنت صحفته   صار مثنّى باعتبارينِ
في الراس والعين يُرى دائماً   وهو بلا راسٍ ولا عين

وقال في واقعة : .

ومعذّر قد بيّتْهُ جماعةٌ   ولووا بما وعدوه طولَ الليلِ
واكتاله كلٌّ هناك وما رأى   منهم سوى حَشَفٍ وسوء الكيل

وقال أيضاً :

حلا نباتُ الخدّ يا عاذلي   لما بدا في خدّه الأحمرِ
فشاقني ذاك العذارُ الذي   نباته أحلى من السكـــر

وقال في الشمعة :

وذات قدٍّ أهيفٍ   فؤادها قد التهبْ
كصعدةٍ من فضّةٍ   لها سنانٌ من ذهب

وقال فيها :

وشمعة وقفت تشكو لنا حُرقاً   وأدمعاً لم تزل تهمي سواكبُها
وحيدة في الدجى من طول ما مكثت   تكابدُ الليلَ قد شابت ذوائبها

وكتب إلى صاحب[1] له :

شوقي إليك مع البعاد تقاصرتْ   عنه خُطايَ وقصّرتْ أقلامي
واعتلتِ النّسَمَاتُ فيما بيننا   مما أحمّلها إليك سلامي

... ...

١ ص : صاحباً .

وقال في مليح يلقب بالشقيق :

يا قامةَ الغصنِ الرطيبِ إذا انثنى   ولوى معاطفَه نسيمُ الريحِ
أشقيقُ روضٍ أنت يا بدرَ الدجى   بالله قل لي أم شقيقُ الروح

وقال في مليح رفّا :

وبمهجتي الرفّا الذي   فضح الذوابلَ لينُهُ
لم يرفُ قلبَ متيمَ   قد مزّقته جفونه

وقال في مليح اسمه داود :

قد كنتُ جلداً في الخطوب إذا عرت   لا تزدهيني الغانياتُ الغيدُ
وعهدتُ قلبي من حديدٍ في الحشا   فألانه بجفونـــه داود

وقال في الذهبيات :

انظرْ إلى الأغصانِ كيف تذهبتْ   وأتى الخريفُ بحمرها وبصفرها
تحلو شمائلها إذا ما أدبرت   وتزيد حسناً في أواخر عمرها

وقال في الكاس المصوّرة :

انظر إلى صُوَرِ الفوارسِ إذ بدت   بالخيل في كاس المـدامـة ترتمي
ما بين طافٍ في المـدام وراسبٍ   كفوارس الهيجاء تسبحُ في الـدم

وقال :

ورياضٍ وقفت أشجارهـا   وتمشّتْ نسمةُ الصبح إليها
طالعتْ أوراقَها شمسُ الضحى   بعـد أن وقّعتِ الورقُ عليهـا

وقال :

وجنانٍ ألفتُها إذ تغنّتْ   فوقها الورقُ بكرةً وأصيلا
نهرها مسرعاً جـرى وتمشت   في رباها الصَّبا قليلاً قليلا

وقال في مليح يلقب بالشهاب :

يا قضيبَ الأراك عند التثني هزَّ عطفيه حين ماس الشبابُ
عجباً كيف ضلّ فيك المحبّو نَ بليل الأسى وأنت شهاب

وقال في مليح أراد تقبيله في فمه فامتنع فجاءت القبلة في خده :

منعتَ ارتشاف الثغرِ يا غايةَ المنى وزحزحتني منه إلى خدّك القاني
لئن فاتني منه الأقاحي فإنني حصلتُ على وردٍ جنيّ وريحان

وقال ، وكان يبات كثيراً بالجامع الأموي :

طال نومي بالجامعِ الرحبِ والبر د مبيدي وليس منه خلاصُ
كيف أدفا فيه وتحتي بلاطٌ ورخامٌ حولي وفوقي رصاص

وقال :

لا تلحني اليوم في ساقٍ وصهباء وسقّني كاسها صرفاً بلا ماء
وانفِ الهمومَ بها عني فقد كثرت آلامها واشفِ ما بالقلب من داء
عذراءُ مشمولةٌ تطفو فواقعها كأنها أدمعٌ في خدّ عذراء
أبدى الحبابُ لها خطاً فأحسن ما قد كان حرّر من ميم ومن هاء
قديمة ذاتها في روض جنتهــا كانت وكان لها عرشٌ على الماء

وقال يذكّر بوعد :

إني أذكّر مولانــا الأميرَ ومــا أظنّــه ناسيَ الوعدِ الــذي ذكرا
والدوحُ يبدي[1] الجنى لكنّ أغصُنَهُ لــو لم تُهزّ لما ألقت لك الثمرا

وقال في مليح نجار :

بروحيَ نجارٌ حكى الغصنَ قــدّه رشيقُ التثني أحور الطرفِ وسنانُ

[1] ص : يبدو .

يميلُ على الأعوادِ قطعاً بما جنَتْ   وما سرقت من قدّه وهي أغصان

وقال يحذّر من صحبة الناس :

لا ترمْ في الدنـ ـياودّاً من النا   سِ وإن كنتَ عندهم مشكورا
ودّهم في الدنوّ منهم قليـلٌ   فإذا ما بعدتَ كـان كثيرا
وكذا الشمس والهلال اصطحاباً   كلما زاد بعده زاد نورا

وقال في مليح يسمى زهر السفرجل :

أحنُّ إلى الأزهارِ ما هبّتِ الصَّبا   وما ناح في الأيك الحمامُ المطوّقُ
وأشتاق زهر اللوز كل عشيّةٍ   وإني إلى زهر السّفرجلِ أشوق

وكتب إلى شهاب الدين السنبلي يعرّض بطلب فحم :

جاء الشتاءُ الغثُّ يا سيـدي   بل يا شهابي في دجى الهمِّ
وفصلُهُ الباردُ قـد جـاءني   منه بكانونٍ بلا فحم

وقال من قصيدة :

وأرّقني خيالٌ من حبيب   تناءت داره حتى نآني
فمن سهري[1] يلمُّ فما أراه   ومن سقمي يطوف فما يراني

وقال أيضاً :

أمولاي أشكـو إليـك الخمار   وما فعلت بي كؤوس العقارْ
وجورَ السقاةِ التي لم تـزلْ   تريني الكواكب وسط النهار

---

١ ص : شهري .

٥٩٨
[محيي الدين ابن زيلاق]

يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة بن ابراهيم بن الحسن بن ابراهيم ، الصدر محيي الدين ابن زيلاق العباسي الهاشمي الموصلي الكاتب الشاعر ؛ مولده سنة ثلاث وستمائة ، وقتله التتار حين ملكوا الموصل في سنة ستين وستمائة .

قال بهاء الدين ابن الفخر عيسى في وصفه : الصاحب محيي الدين يضرب به المثل في العدالة ، وله الرتبة العليا في الشرف والأصالة ، وكان شاعراً مجيداً فاضلاً حسن المعاني ، رحمه الله . فمن شعره ما كتبه إلى بعض أصحابه وهو بدمشق يصفها :

أدمشقُ لا زالتْ تجودك ديمةٌ ... ينمى بها زهرُ الرياضِ ويونقُ
أهوى لك السقيا وإن ضنّ الحيا ... أغناكِ عنه ماؤكِ المتدفق
ويسرُّ قلبي لو تصحّ ليَ المنى ... أني أنالُ بك المقامَ وأرزق
وإذا امرؤ كانت ربوعك حظّه ... من سائرِ الأمصار فهو موفّق
أنّى التفتّ فجدولٌ متسلسلٌ ... أو جنة مرضيّةٌ أو جوسق
يبدو لطرفك حيث مال حديقةٌ ... غنّاءُ نورُ النّورِ منها يشرق
يشدو الحمامُ بدوحها فكأنما ... في كلّ عودٍ منه عودٌ مورق
وإذا رأيتَ الغصنَ ترْقصه[1] الصبا ... طرباً رأيتَ الماءَ وهو يصفق
لبستْ جنانُ النيربين محاسناً ... وقفتْ عليها كلَّ طرفٍ يرمق

٥٩٨ — الزركشي : ٣٥٩ وذيل مرآة الزمان ١ : ٥١٣ ، ٢ : ١٨١ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٣٦ والحوادث الجامعة : ٣٤٨ والشذرات ٥ : ٣٠٤ وعبر الذهبي ٥ : ٢٦٢ ؛ وقد أخلت المطبوعة بقسم من هذه الترجمة .

١ ص : يرقصه .

فحمامها غردٌ ونبتُ رياضها خَضِلٌ وركب نسيمها مترفق
وسرت لداريا[1] المعطّرِ تربها ريّـا ذكيُّ المسك منهـا يعبق
وترى من الغـزلان في ميدانها فرقـاً أسودُ الغيلِ منهـا تفرق
من كـلّ وسنانِ الجفون محبُّهُ سهرانُ من وجـدٍ عليه مؤرّق
حيثُ الهوى في جانبيه مخيمٌ وخيولُ فرسانِ الشبيبة تعنق
والقاصدون إليه إما شائقٌ متنزّهٌ أو عاشقٌ متشوق
صنفانِ هذا باسمٌ عن ثغره عجباً ، وهذا بالمدامعِ يشرق
هذي المنازل لا أُثيلاتُ الحمى بُعْداً لهنَّ ولا اللوى والأبرق
لا تُخْدَعَنَّ فما اللذاذة والهوى ومواطنُ الأفراحِ إلاّ جلّق

هذه الخدمة — حرس الله مجد المجلس العالي ، وجعل السعادة من صحبه ، والأيام من حزبه ، والمكرمات من كسبه ، وأهدى القرّةَ إلى طرفه والمسرة إلى قلبه ، وأوجب له لباس الإقبال ولا روّعه بسلبه ، وعوّض عن الوحشة ببعده الإيناسَ بقربه — نائبةٌ عن مسطّرها في تقبيل يده الكريمة ، ووصف مسراته النازحة وأحزانه المقيمة ، وشكاية ما أجداه البعد من تحرقه وتلهفه ، ووفرته الغيبة من تشوقه إلى الحضرة السامية وتشوفه ، هذا مع أن الذكرى تمثل شخصه فلا يكاد يغيب ، ويناجيه الخاطر وهو بعيد كمناجاته[2] وهو قريب ، وبحسب ذلك أورد هذه الخدمة مطوّلا ، وأفاض فيها مسترسلاً ، متأنساً بمفاوضته ، ومتذكراً أوقات محاضرته ، وراغباً أن يريه دمشق بعين وصفه ، ويثبت نعتها لديه فكأنها حيال طرفه ، وأول ما يبدأ بوصف الرحلة إليها ويقول : إن الزمان صورّها للنظر قبل الإشراف[3] عليها ، فقدمناها

١ ص : لدياريا .
٢ ص : كما جاءته .
٣ ص : الاشراق .

والفصل ربيع ، ومنظرُ الروض بديع ، والربَى مخضرّةٌ أكنافها ، مائسةٌ أعطافها ، تبكي بها عيونُ السحاب فتتبسم ، وتخلع[1] عليها ملابس الشباب فتتقمص وتتعمم ، فما أتينا على مكان إلا وجدنا غيره أحقّ بالثناء وأجدر ، ولا أفلَ بدرٌ من الزهر إلا بزغتْ شمسٌ فقلنا هذا أكبر ، حتّى إذا بلغت النفس أمنيتها ، وأقبلنا على دمشق فقبّلنا ثنيتها ، رأينا منظراً[2] يقصر عنه المتوهم ، ويملأ عينَ الناظر المتوسِّم ، ظلّ ظليل ، ونسيمٌ عليل ، ومغنى[3] بنهاية الحسنِ كفيل ، يُطوى الحزنُ بنشره ، ويقفُ قدر البلدان دون قدره ، فيصغر عند صفته شِعْبُ بَوّان ، ويغمد في مفاصله سيف غمدان ، ويبهت لمباهاته ناظرُ الإيوان ، فالأغصانُ مائسةٌ في سندسيّها ، متظاهرة بفاخر حليّها ، قد ألقحتها الأنهارُ فأثقلتها بحملها ، ولاعبتها الصبا فتلقت كلّ واحدة بمثلها :

لها ثمرٌ تشيرُ إليك منه ... بأشربة وقفنَ بلا أواني[4]
وأمواهٌ يصلُّ بها حصاها ... صليل الحلي في أيدي الغواني

فسرنا منها بين جنات ، كظهور البزاة ، وجداول كبطون الحيّات ، قد هزّ الشوقُ أطيارها فصدحت ، وحرك النسيمُ رباها فنفحت ، فحنتْ عليها أفنانها حنوّ الوالداتِ على اليتيم ، وحجبت عن معارضتنا حاجب الشمس وأذنت للنسيم ، فإذا أصابت شمسها فرجةً لاحظتنا ملاحظة الحياء ، وألقت فضة الماء شعاعها فصححت صنعة الكيمياء ؛ ثم أفضينا إلى فضاء قد أثرى من الروض ثراه ، وغني عن منّة السحاب ذراه ، قد تشابه فيه الشقيقان خداً وزهرا ، واقترن به الياسمين أقاحاً وثغرا ، وتغاير أخضراه آساً وعذارا ،

١ ص : ويخلع .
٢ ص : منظر .
٣ ص : ومعنى .
٤ الشعر للمتنبي .

وأصفراه[1] عاشقاً وبهارا ، فأي همّ لا تطرده أنهارها المطّردة ، وفرح لا تجلّيه أطيارها المغرّدة . ولما وصلنا إلى محلها الذي هو مجتمع الأهواء ، ومقرّ السرّاء ، ومقتنص الظباء ، واستوطنّا وطنها الذي هو للظامي نهلة ، وللمستوفز عقلة :

أجدّ لنا طيبُ المكانِ وحسنه منىً فتمنينا فكنتَ الأمانيا

هذا مع إكثاره لا يبلغ اليسير من نعتها ، وما نرى آيةً من الحسن إلا هي أكبر من أختها :

وإن دمشقاً وهي في الأرضِ جنَّةٌ محاسنها للبعدِ عنك معايبُ

والله تعالى يجمع الشمل على الإيثار ، ويملأ أوطان المولى باليسار . تمَّت .

ومن شعر ابن زيلاق ، رحمه الله تعالى :

إلى الله أشكو هاجري ومعنّفي عليه فكلّ جائرٌ في احتكامهِ
حبيبٌ نأى عني الكرى بملاله وواشٍ دنا مني الأسى بملامه
غريبُ المعاني قام عذرُ صبابتي بحسنِ عِذاريْهِ ولينِ قوَامه
له هَيَفُ الغصنِ الرطيبِ ولينهُ ولي من تجنيه بكاءُ حمامه
تفرَّد قلبي دونه بهمومِهِ وشارك جسمي خَصْرَهُ في سقامه
سقى الله ليلاً حين جاد بوصله وقد كان لا يسخو بردّ سلامه
فطاف كمثل الظبي عند التفاته بحمراءَ مثلِ الجمرِ عند اضطرامه
كسا المزجُ[2] أعلاها حباباً كأنه ثناياه أبداهنّ حُسْنُ ابتسامه
شككنا فلم نعرفْ أمنظومُ عقده من الدرّ أم من ثغره أم كلامه
ولم ندرِ هذا السكرُ من سحرِ طرفه ومن خدّه والريقِ أم من مدامه

---

١ ص : وصفراه .

٢ ص : المزاج .

وقال أيضاً :

يفديك جفنٌ بمائهِ شرقُ جارٍ عليه البكاءُ والأرقُ
ومهجةٌ لم تزلْ حُشاشتها منك بنار الجفاء تحترق
يا قمراً أصبحتْ محاسنه تنهب ألبابنا وتسترق
تجمعتْ فيك للورى فتنٌ على تلافِ النفوسِ تتفق
طرفٌ كحيلٌ ووجنةٌ كسيَتْ حمرةَ دمعي ومبسمٌ يقَق
جالت على عطفه ذوائبُه كالغصن زانت فروعَه الورق
رأوك لي جنّةً معجلةً ما وجدوا مثلها ولا رزقوا
هم حسدوني عليك فاختلفوا بكلّ زورٍ عليك واختلقوا
سعوا بتفريقنا فلا اجتمعوا على وصالٍ يوماً ولا اتفقوا
فأين كانوا وأدمعي بددٌ تركضُ فيَّ وجنتي وتستبق
ومقلتي حشوها السهادُ وأحـ ناءُ ضلوعي تعتادها الحرق
ماذا يضرُّ الوشاةَ أنهمُ رقّوا لقلبي الموجوع أو رفقوا
بمن كسا وجنتيك من حللِ الـ حُسْن رياضاً نسيمها عبق
وأطلع البدرَ من جبينك مـ فوفاً بصدْغٍ كأنه الغسق
لا تثنِ عطفاً إلى الوشاةِ فما سلاك قلبي لكنهم عشقوا
أنت بحالي أدرى وحالهمُ قد وضحت في حديثنا الطرق
ما كنت يوماً إليكَ معتذراً لو أنهم في مقالهم صدقوا

وقال أيضاً :

أظهرتْ حسنَ معانيه الشَّمولُ فاختفى اللائمُ واستحيا العذولُ
وثنتْ منه الحميّا قامةً علّمتْ بانَ الحمى كيف يميل
رشأٌ يفتكُ في عشّاقهِ صارمٌ من لحظه الساجي صقيل
أصلُ وجدي فيه فرعٌ مرسلٌ مثل ليلي فاحم اللون طويل

وفمٌ عذب وثغرٌ أشنبٌ ... خَصِرٌ من برده يشفي الغليل
أنا للجفـوة منه قابـلٌ ... ولأعباءِ تجنّيه حمول
وأمورُ الحبِّ من أعجبها ... أن ترى القاتل يهواه القتيل

وقال أيضاً :

لك السلامةُ من وجدي ومن حرقي ... وما تعانيه أجفاني من الأرقِ
أدرت فينا كؤوسَ الشوق مترَعةً ... وأسكرتنا حمياها فلم نُفقِ
يا مظهراً بمحياه وطرتهِ ... فضيلةَ الجمعِ بين الصبح والغسق
حمّلتَ مهجتيَ الأسقام فاحتملت ... وزدتها بعده بعـداً فلم تطق
مهمـا نسيتُ فلا أنسى زيارته ... في خفية لابساً ثوباً من الفرق
نشوانَ تستّر عطفيه ذوائبه ... كما اكتسى الغصنُ الميّالُ بالورق
يسعى إليَّ براح من مُقبّـله ... يلذ مصطبحي فيها ومغتبقي
لا أسأل الليلَ عن بدر السماء إذا ... رقدتُ فيه وبدرُ الأرض معتنقي

وقال أيضاً :

ثنى مثل قدِّ السَّمْهريِّ ولينهِ ... وجرَّد عضباً مرهفاً من جفونهِ
وبات يرينا كيف يجتمعُ الدجى ... مع الصبح في أصداغـه وجبينه
وكيف قرانُ الشمسِ والبدرِ كلّما ... غدا يلثمُ الكاسَ التي بيمينـه
وبت أفـديّه بنفسٍ بذلتهـا ... غراماً لمحفوظِ الجمال مَصُونـه
وأُرخصُ دمعَ العين وجداً بمبسم ... يقابله من دره بثمينـه
سقى ذلك الوادي وإن فتكت بنا ... نحورُ حـواريه وأعينُ عينِـه
ولا زال مبيضُّ الأقاحيِّ ضاحكاً ... به كلُّ منهلِّ الغمام هَتُـونـه

وقال أيضاً :

بعثت لنا من سحر مُقلتك الوسنى ... سهاداً يذودُ الجفنَ أن يألف الجفنا
وأبرزت وجهاً يُخجل البدرَ طالعاً ... وميستَ بقدّ علم الهيفَ الغصنا

وأبصر جسمي حسنَ خصرك ناحلاً فحاكاه لكن زاد في دقّة المعنى
أسمراءُ إن أطلقتِ بالهجر عبرتي فإن لقلبي من تباريحه سجنـــا
وإن تحجبي بالبيض والسمر فالهوى يهوّن عند العاشق الضربَ والطعنا
وما الشوق إلا أن أزورك معلناً فلا مضمراً خوفاً ولا طالباً إذنا
وألقاك لا أخشى الغيورَ وانثني ولو حجبت أسدُ الشرى ذلك المغنى

وقال أيضاً :

أريقته في الكأسِ أم صِرْفُ خمرهِ وهذا حَبَابُ المزج أم سمطُ ثغرِهِ
يَضُوع بأيدينا وقد قام ساقيـــاً بصنفين من نشر المدام ونشره
له جنـــة من وجنتيـــه وإنمــا تعارضنا من دونـــه نار هجـــره
وصبحُ جبينٍ نهتدي بضيائه إذا ما ضللنا في غياهبِ شعره
لئن كان دمعي مطلقــا بجفائـهِ ففي أسره قلبي المعنّى بأسره
وليلٍ طويلِ العمرِ أحوى كأنه غدائر من أهواه أو يومُ غدره
إذا خشيتْ فيه المنى من ضلالها هدانا إلى مطلوبها نورُ بـــدره

وقال أيضاً :

بدا لنا من جبينه قمـــرُ تضلُّ في ليل شعره الفكرُ
ظبيٌ غريرٌ في طرفه سِنَةٌ يلذّ فيها للعاشقِ السهر
جديدُ بُردِ الشباب حفّ بريّ حانٍ وورد بخدّه نَضِـر
ولا رعت مقلة نباتَ عِذا ريه فيحتاج عنه تعتذر
جوامعُ الحسن فيه جامعةٌ فالقلبُ وَقف عليه والبصر

وقال أيضاً :

ألمّ وأعين الرقبـــاء وسنى كما تمّ الهـــلالُ سناً وسنّـــا
ومال بعطفه مرح التصابي كما عطفتْ نسيمُ الروض غصنا
وخص رياض خديه شقيقٌ يلوحُ عليـــه خالٌ عَمّ حسنا

وطاف بقهوة لم تُبقِ فيهــا مصاحبةُ الليالي غــير معنى
فخلنا الشمسَ طالعةً علينا وقد برزتْ من الراووق وَهْنَا
فلا تحفل بأعلام المصلى ولا تسأل بهــا طللاً ومغنى
وملْ نحــو الخلاعةِ والتصابي إذا فنٌّ مضى جددت فنــا
وعاط الكأس أحورَ ذا دلالٍ أغنّ يناسب الظبيَ الأغنــا
يظنّ حمامــةً تشدو بغصن إذا ما مال معتــدلاً وغنى

وقال رحمه الله تعالى ، موشح :

يا نديميَّ بالرياض قفــا فهي لي مذهبْ
وأديراها سُلافاً قرقفا [1] لونها مُذْهب
خلت فيها الحباب حين صفا أنجماً تغــرب

حُجبت بالبهــاء والحســن عن عيون البشر
وبدت في الخفاءِ كالوهـــم تجْتَنى بالفِكَر

لا تخالفْ يا منيتي أمري وادعني بالرحيق
ما ترى صحبتي من السكر ليس فيهم مفيق
نحن قوم من شيعة الخمر ونحبُّ العتيــق

قد نقضنا [2] غباية [3] الحزنِ بسماع الوتر
وحمــانا من ناصبِ الهــمّ وعدك المنتظر

صاح لا تستمع من اللاحي واطرح ما يقول
فمن الغبْنِ إن تبِتْ صاحي من كؤوس الشمُول

١ غير منسجم في الوزن مع سياق الأشطار الأخرى .
٢ لعل الصواب « رفضنا » ليكون « الرفض » مقابلا لـ « النصب » .
٣ ص : غناية .

فاكسُ راح النديم بالراح واعصِ قولَ العذول

ما ترى العذلَ في الصّبا يغني عن [. . .]
بنت خدر تشفي من السقـــم فاقض منها وطر

حثَّ شمسَ الكؤس يا بدرُ فالندامى نجوم
واسقنيها كأنهـــا تبرُ من بنات الكروم
ضحكت في ثغــورها الزهــر ببكاءِ الغيوم

وتغنّتْ بأطيب اللحـــن صادحات الشجر
ناطقات بألسنٍ عُجـــم طاب شربُ السحر

حثّها بيننا رشأً وسنان نلت منه الأمان
ناعسُ الطرفِ بابليْ الأجفان باسمْ عن جُمّان
قد سكرنا من لحظه الفتـــان قبل خمر الدنان

ربّ خمرٍ شربتُ من جفن واجتنيت الزهر
من خــــدود تحمى عن اللثم بسيوف الحوَر

وقال أيضاً :

أمحلَّ صبوتنا تحيـــةَ مغرمٍ يُهدي السلامَ على البعاد برغمه
أثرى ثرى ذاك الجناب من الحيا الـ غادي ومَنْ لي لو ظفرت بلثمه
فبشعب ذاك الحيِّ مثلُ غزاله في غنجه وهلالـهِ في تمه
دمعي ومبسمه لكلَّ منهمـــا معنىً غنيتُ بنثره وبنظمـــه
والخصرُ منه والجفونُ وعهدُه كلٌّ كسا جسمي النحولَ بسقمه
متلون أصْلَى بجمرة حـــربه طوراً وطوراً أستريح بسلمه
ويسيء بي فعلاً ويحسنُ ثغره لثماً فيشفع ظَلْمُهُ في ظُلْمـــه

وقال أيضاً :

ما وجه عُذْرك والكؤوسُ تُدَار ضاقت بمن جهل الصبا أعــذارُ
سفرت لك اللذاتُ واتسعت بها الـ أوقاتُ واجتمعتْ لكَ الأوطار
ساقٍ يسوق إلى السرور ومطرب حسن الغناء وروضة وعقار
أو ما ترَى حسنَ الربيع وقد غدا يختال في حـبراته آذار
روضٌ كما يرضي العيونَ يزينــه زهر تُسَتَّرُ بحسنه الأسرار
وجداولٌ نشأتْ بهنَّ حـدائقٌ ضحكت خلالَ فروعها الأنوار
وكأنما أشجارهنّ عـرائسٌ تجلى ومن درّ السحابِ نثار
تشدو حمائمهــا ويرقصُ دَوْحُها غبَّ الصَّبا وتصفّقُ الأنهار
فأدمْ لنا أفراحنا بمدامــةٍ لم تتصلْ بصفائها الأكدار
حمراءَ تبدو في الكؤوسِ كأنهـا ذهبٌ عليه من اللجَـينِ إزار
يسعى عليك بها غريرٌ أهيفٌ نومُ المحبِّ إذا جفاه غرار
وسنانُ فيه للغزالةِ وابنهـا وجهٌ وطرفٌ فاترٌ ونفـار
رشأ ولكنْ في القلوبِ كناســه قمرٌ ولكنْ أفقه الأزرار
ظهرت عذاراه فزادت وجهــه نوراً وتُشْرِقُ في الدجى الأقمار
وافاك يحملُ مثلَ ما في خـدّه ماء به تروى القلوبُ ونار
في مجلسٍ تمت لساكنه[1] المنى وتكفّلَتْ بسعودها الأقـدار

وقال أيضاً :

سل عن فؤادٍ بنارِ الهجرِ تحرقُهُ وناظر بتجنيه تؤرقُــهُ
ولا تُرجِّ سلوّاً من غريم هوىً موكل بجديدِ الصبر يخلقه
أهواهُ معتدلَ الأعطافِ مائلهـا يجور فيَّ إذا ما اهتز مُورقه
غصنٌ ولكنْ بماء الحسنِ منبته بدرٌ ولكنْ من الأزرار مشرقه
يجلو الظلامَ محياه ويعذبُ مجْـ ناه وتحلو ثناياه ومنطقه

١ ص : بساكنه .

ملاحةٌ تسترقُ القلبَ رقتها … ونظمُ ثغرٍ يروقُ العينَ رونقه
ثلاثة منه أعداني السقامُ بها … مجرى الوشاح وجفناه وموثقه
ألقى الرماحَ بقلبٍ غير مكترثٍ … وأتّقي طرفه الساجي وأفرقه
فالأبيضُ العَضْبُ ما تبديه مقلته … والأسمر اللَّدْنُ ما يحويه قرطقه

وقال أيضاً :

قم لا عدمتك فالرياح تُغربِلُ … والرعدُ يطحنُ والغمائمُ تنخلُ
والمسكُ قد عَجَنَ الثرى بسحيقه … والعودُ يحرقُ والحميّا تشعل
والدنُّ تنورٌ توقّد جمرةُ الـ … صهباءِ باطنَه وفار المبزل
هي قوتُ أرواحٍ عنت بحصادها الـ … أيدي كما اكتنف الدياس الأرجل
اللونُ تبرٌ والحقيقةُ جوهرٌ … والريحُ مسكٌ والمذاقة فوفل
والبردُ قد ولّى فمالك راقداً … متدثراً[1] يا أيها المزمل ؟
أو ما ترى فصلَ الربيع وحسنه … والروضُ يضحكُ والحيا يتهلل
والغيمُ كالكافورِ ينثر لؤلؤاً … والجوُّ مسكٌ والغديرُ مصندل
أبدت بدائعَ زهرها لك جنةٌ … قد زخرفت فنعيمها متعجّل
نسجتْ يدا الإبداع وشيَ رقومها … فلأجلِ ذاك النسج عيني تغزل
فمحبّرٌ ومعصفرٌ ومبيض … وموطسٌ ومريّش ومكلل
ومدبّجٌ ومكتّبٌ ومذهّبٌ … ومفضّضٌ باللازورد مكحل
جلّ المكوّنْ أعينا ما زانها … كحل ومبدعْ صبغة لا تنْصل
فإذا اجتليتَ فكلُّ شبرٍ نزهة … وإذا ظمئتَ[2] فكلُّ باع منهل
فهزارها شحرورها ورشانها … سمّانها دراجها والبلبل
هذا يجاوب ذا بأحسنِ منطقٍ … فإذا شدا الثاني أعاد الأول

١ [illegible]
٢ [illegible]

وتقيمُ مأتمَها الفواختُ سحرة   فكأنهن مُفَجّعاتٌ ثُكَّل
وعلى الغدير شباكُ تبر حاكها   شمسُ الضحى وسنَا دروعٍ تصقل
روضٌ ومعشوقٌ وحسنُ حمائمٍ   وصَفاء ساقيةٍ وراحٌ سلسل
وظلالُ غاديةٍ فسيفُ بروقهـا   ماضٍ وطيبٌ هوائها مستقبل
والشمسُ تجنحُ للغروب فثوبها الـ   ذهبيُّ مصفرٌّ البقاع مجلل
ما للمسرةِ عن حمانا مخـرجٌ   كلا ولا لأسىً علينا مـدخل
ومحاسنُ الحدباء مشرقة على   كلّ البلاد لها الفخار الأفضل
يا حبّذا الشرفُ المطلّ وديرها الـ   عالي وطيبُ فضائه والهيكل
ورواقه [وبهاؤه] [1] وجواره   والعيشُ فيه والهواء الأعدل
وعبيره يهدى بطيب نسيمه   وشموله يبقى فدام الشمأل
يا طيب صحته وصحبته ونـا   قوس الصباح على الصّبوح يحيعل
مغنىً أقام به الرشيد وحلّه الـ   منصور والمأمونُ والمتوكل
يا ساحةَ الحدباءِ تُرْبُكِ إثمدٌ   للناظرين فما الدّخولُ فحومل ؟
هبني أحاولُ غيرها أو أبتغـي   عوضاً عن الأوطان أو أتبدّل
فعنِ الذين عهدتهم بفنائها   أهلي وجيراني بمن أستبدل
فالدهرُ لا يبقى على حالاته   فيجور أحياناً وطوراً يعدل
صبراً فكلُّ ملمةٍ من بعدها   فرجٌ وكلّ عسيرِ أمرٍ يسهل

وقال أيضاً :

وإذا شكوتُ من الزمان ومسَّني   ضيمٌ ونَكّس صَعْدتي إعسار
وعلمتمُ أني بكم متعلـقٌ   فعلى علاكم لا عليّ العار

---

١ سقط من ص وزدته من المطبوعة .

٥٩٩
الملك الجواد

يونس بن مودود[1] بن محمد بن أيوب ، السلطان الملك الجواد مظفر الدين ابن الأمير مظفر الدين ابن الملك العادل أبي بكر ؛ كان في خدمة عمه الكامل ، فوقع بينهما ، فسار إلى عمه المعظم فأقبل عليه ، ثم عاد إلى مصر واصطلح مع الكامل ، فلما مات الأشرف جاء مع الكامل إلى دمشق، فلما مات الكامل تملك الجواد دمشق . وكان جواداً كلقبه ، ولكن كان حوله ظَلَمَة ، وكان يحب الصالحين والفقراء .

وتقلبت به الأحوال وعجز عن مملكة دمشق . وكاتب الصالح نجم الدين أيوب ، فقدم وسلم إليه دمشق وعوضه سنجار وعانة ، وسار إلى الشرق فلم يتم له الأمر ، وأخذ منه سنجار وبقي بيده عانة . فسار إلى بغداد وقدم على الخليفة فأكرمه . فأباعه عانة بذهب كثير ، ثم سار إلى مصر وافداً على عمه الصالح فهمّ بالقبض عليه ، فتسحب إلى الكرك إلى الملك الناصر داود ، فقبض عليه . ثم انفلت منه وقدم على الصالح إسماعيل صاحب دمشق فلم يهشّ له . فقصد ملك الفرنج الذي بصيدا وبيروت فأكرمه ، وشهد مع الفرنج وقعة قلنسوة . وقتل فيها ألف مسلم . ثم بعث إليه الصالح الأمير ناصر الدين ابن يغمور ليحتال عليه بخديعة . فيقال إن ابن يغمور اتفق معه على مسك الصالح إسماعيل . ثم إن الصالح ظفر بهم فسجن الجواد بقلعة

٥٩٩ مرآة الزمان : ٧٠٤ وتاريخ أبي الفدا (وفيات سنة ٦٣٨) والسلوك ١ : ٢١٤ والنجوم الزاهرة (ج : ٦ صفحات متفرقة) ومرآة الجنان ٤ : ١٠٤ .

١ [illegible] ممدود .

غزتا وسجن ابن يغمور بقلعة دمشق ، فطلب الفرنج الجواد من الصالح وقالوا : لا بد منه ، فأظهر أنه مات ، ويقال إنه خنقه ، وأخرج من السجن ميتاً ، ودفن بقاسيون بتربة المعظم سنة إحدى وأربعين وستمائة ، رحمه الله ، ويقال إن أمه كانت افرنجية ، والله أعلم .

تمّ المجموع المسمى بفوات الوفيات

والذيل عليها

في العشر الأول من المحرم سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة من الهجرة النبويـة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل .

محتويات الكتاب

«م» — تتمة —

ن

هـ

و

ي

تنبيه

عدد التراجم في هذا الكتاب ستمائة (٦٠٠) ولكن العدد جاء في الترقيم ٥٩٩ وذلك لتكرر الرقم ٥٧٠ في الجزء الرابع